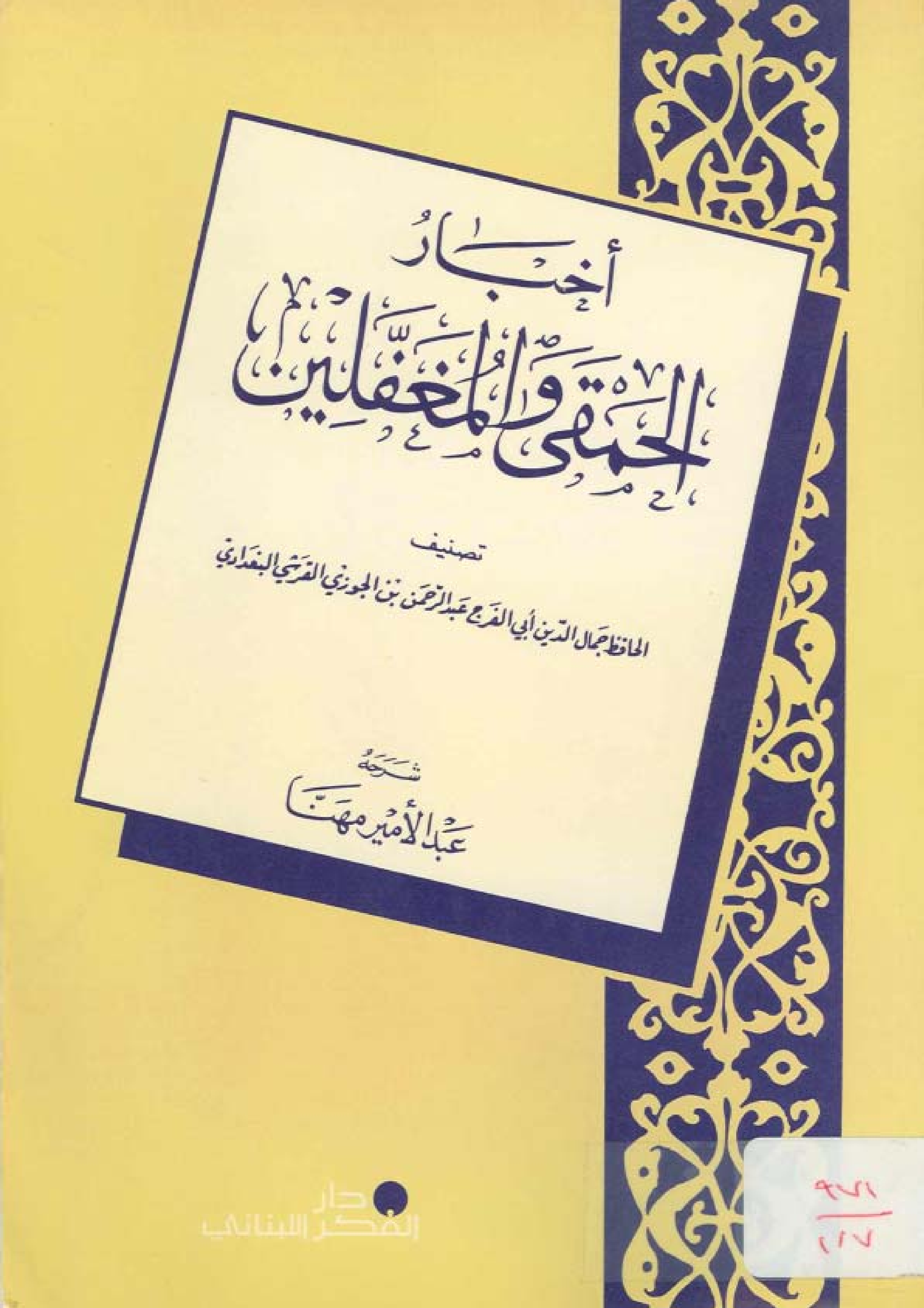

أخبار
الحمقى والمغفلين
تصنيف
الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي
شرحه
عبد الأمير مهنا
دار الفكر اللبناني
٩٧١
١٧٧



أخبار الحمقى والمغفلين

من الفقهاء والمفسرين والرواة والمحدثين والشعراء
والمتأدبين والكتاب والمعلمين والتجار والمتسببين
وطوائف تتصل للغفلة بسبب متين

تصنيف

الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي
(٥٠٨ ـ ٥٩٧ هجرية)

شرحه :
عبد الأمير مهنّا

طبعة دار الفكر اللبناني الأولى
١٤١٠ هجرية = ١٩٩٠ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن الجوزي

٥٠٨ ــ ٥٩٧هـ
١١١٤ ــ ١٢٠١م

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، القرشي التيِّمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ.

و «الجوزي» نسبه إلى محلّة في البصرة تسمّى محلّة الجوز، أو مشرعة الجوز. وُلِدَ في بغداد سنة ٥٠٨هـ ــ ١١١٤م. وتوفي والده وهو طفل، فاعتنى به خاله أبو الفضل محمد بن ناصر البغدادي وعلّمه جميع الفنون المعروفة في عصره، وكان من أساتذته الأديب أبو منصور الجواليقي، والمحدّث ابن الطبر الحريري، والعالم بالقراءات أبو منصور محمد بن خيرون وغيرهم كثير.

كان شغوفاً بتحصيل العلم. وكان يقوم برحلات طويلة في سبيل ذلك. يقول في كتابه «صيد الخاطر»:

«كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيش، فلا أقدر على أكلها إلاّ عند المساء، فكلّما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همّتي لا ترى إلاّ لذة تحصيل العلم».

وتوفي ابن الجوزي ليلة الجمعة ثاني عشر رمضان سنة ٥٩٧هـ ـ ١٢٠١م ببغداد، ودُفن فيها بباب حرب في يوم مشهود، إذ ازدحم الناس لتشييعه إلى مثواه الأخير فغُلقت الأسواق وأُفطر بعضهم لشدّة الزحام والحرّ، لم يصل إلى حفرته عند قبر الإمام أحمد بن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة.

كان ابن الجوزي علاَّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنّف في فنون تناولت جميع علوم عصره، وكُتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: «إنه جُمعت الكراريس التي كتبها وحُسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدّة فكان ما خصّ كلّ يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل».

ويُقال إنه جُمعت بُراية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ، فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يُسخّن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفّت وفضل منها.

كان ابن الجوزي يضنُّ بوقته، إذ يرى أن العمر شرف يجب أن يُصان من الضياع، وها هو يقول:

«رأيت خلقاً كثيرين يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة، فلما رأيت الزمان أشرف شيء كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين، إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تقبّلته منهم ضاع الزمان، فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غُلبت قصّرت في الكلام لأتعجّل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لأوقات لقائهم لئلاَّ يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من المستعدّ للقائهم قطع الكاغد (الورق) وبري الأقلام وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بُدَّ منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلاَّ يضيع شيء من وقتي، نسأل الله أن يعرّفنا شرف أوقات العمر».

وذكر المؤرخون أن له ديواناً من الشعر بعنوان «ما قلته من الأشعار»، وقالوا: إن شعره في عشر مجلدات، لكن ما وصل إلينا من شعره لا يزيد عن مئة بيت.

قال ابن خلِّكان في وَفَيات الأعيان: «له أشعار لطيفة، أنشدني له بعض الفضلاء يخاطب أهل بغداد»:

عذيري من فتيةٍ بالعراق ... قلوبهمُ بالجفا قُلَّبُ
يرون العجيب كلامَ الغريبِ ... وقولُ القريب فلا يُعجبُ
ميازيبهم إن تندّت بخيرٍ ... إلى غير جيرانهم تقلبُ
وعذرهمُ عند توبيخهم ... مغنّية الحيّ ما تطربُ

وكانت له في مجالس الوعظ أجوبة نادرة، فمن أحسن ما يُحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة في المفاضلة بين أبي بكر وعليّ، رضي الله عنهما، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاما ــ أي السنة والشيعة ــ شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسي في مجلس وعظه، فقال: أفضلهما مَنْ كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فقالت السنّة: هو أبو بكر لأن ابنته عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ. وقالت الشيعة: هو عليّ لأن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ تحته. وهذا من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة، وكانت له محاسن كثيرة يطول شرحها.

وابن الجوزي على جلالة قدره لم يسلم من الطعن والتجريح، ولعلّ السبب في ذلك ما كان من غروره وإعجابه بنفسه وهجومه على الناس. قال ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»:

«كان كثير الوقيعة في الناس، لا سيَّما في العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له»، فكان لا بُدَّ أن يكون له خصوم وأعداء، كما اتَّهمه بعضهم بأنه يروي في وعظه أحاديث غير صحيحة، وأنه كثير الأغلاط في تصانيفه. فقال ابن خلِّكان: وكان ولده محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن محتسب بغداد، وتولّى تدريس المدرسة المستنصرية لطائفة الحنابلة، وكان يتردّد في الرسائل إلى الملوك، وصار أستاذ دار الخلافة.

أمّا مصنفات ابن الجوزي فهي كثيرة بلغت أكثر من ٤٠٠ مصنّف، نذكر منها ما هو مطبوع ومخطوط ما يلي:

- تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار.
- الأذكياء وأخبارهم.
- مناقب عمر بن عبد العزيز.
- روح الأرواح.
- شذور العقود في تاريخ العهود.
- المدهش، في المواعظ وغرائب الأخبار.
- المقيم المقعد، في دقائق العربية.
- صولة العقل على الهوى، في الأخلاق.
- الناسخ والمنسوخ، حديث.
- تلبيس إبليس.
- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.
- لقط المنافع، في الطب والفراسة عند العرب.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.
- الذهب المسبوك في سير الملوك.
- عجائب البدائع.
- كتاب الحمقى والمغفلين، وهو الذي نشرحه.
- الوفا في فضائل المصطفى، في جزءين.
- مناقب عمر بن الخطاب.
- مناقب أحمد بن حنبل.

(*) تصدى الباحث العراقي الأستاذ عبد الحميد العلوجي لهذا الموضوع، فألف كتاباً في مؤلفات ابن الجوزي ضبطها في دليل نقدي مقارن، ورتبها على حروف المعجم مع ذكر طبعاتها وأماكن وجود المخطوط منها، وبلغ عددها ٤٠٢. والكتاب نشرته وزارة الثقافة والإرشاد في بغداد برقم ٩ من سلسلة الكتب الحديثة.

ـ صيد الخاطر، آراء وسوانح.
ـ الياقوتة، وعظ.
ـ مختار من أخبار المختار.
ـ مثير عزم الساكن إلى أشرف الأماكن، في تاريخ مكة والمدينة.
ـ المجتبى من المجتنى، جزء في أنواع العلم.
ـ مناقب بغداد، رسالة.
ـ الضعفاء والمتروكين، في رجال الحديث.
ـ المنظوم والمنثور في مجالس الصدور.
ـ المنهل العذب ـ أو الموارد العذاب، في الوعظ.
ـ غريب الحديث، ستة أجزاء.
ـ تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي، ويقال له التبصرة.
ـ ريّ الظماء في من قال شعراً من الإماء.
ـ بحر الدموع، في الوعظ.
ـ المنعش.
ـ المصفى بأكف أهل الرسوخ في الناسخ والمنسوخ، في القرآن.
ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تفسير.
ـ الحدائق لأهل الحقائق، ثلاثة مجلدات مواعظ.
ـ المنتخب في النوب.
ـ المقامات.
ـ أسماء الضعفاء والواضعين، في رجال الحديث.
ـ فضائل القدس.
ـ تبصرة الأخيار، في نِيل مصر وأنهارها.
ـ تقديم اللسان.
ـ جامع المسانيد والألقاب، خمسة مجلدات.
ـ الموضوعات في الأحاديث المرفوعات.
ـ زاد المسير في علم التفسير.

ـ نتيجة الإحياء، اختصر به إحياء علوم الدين.
ـ شرح مشكل الصحيحين.
ـ دفع شبهة التشبيه والردّ على المجسّمة.
ـ التحقيق، في أحاديث الخلاف.
ـ أحكام النساء.
ـ ذم الهوى.
ـ صفة الصفوة.
ـ لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.
ـ أخبار النساء، وينسب إلى ابن قيّم الجوزية.
ـ تمييز الطيب من الخبيث.
ـ الحسن البصري، سيرته وآدابه.
ـ تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم العمر.
ـ رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير.
ـ الطب الروحاني.
ـ عجيب الخطب.
ـ ملتقط الحكايات.
ـ مولد النبي ﷺ.

كتاب «أخبار الحمقى والمغفّلين»

يعالج الكتاب موضوع الحمقى والمغفّلين، وقد قسّمه ابن الجوزي إلى أربعة وعشرين باباً ففرّق بالحماقة وشرح معناها، وذكر أسماء الحمقى وبيّن صفاتهم، وحذّر من صحبتهم، وأشار إلى من ضرب المثل في حمقه وتغفيله، وذكر جماعة من العقلاء صدرت عنهم أفعال الحمقى فأصرّوا عليها مستصوبين لها فصاروا بذلك الإصرار حمقى ومغفّلين. ثم انتقل ابن الجوزي ليحدثنا عن المغفلين من القراء والمصحفين ثم ذكر المغفلين من رواة الحديث، ومن الأمراء والولاة، وذكر

المغفلين من القضاة ومن الكتّاب والحجاب والمؤذنين والأئمة والأعراب والمتحذلقين، وأشار إلى ذكر من قال شعراً من المغفلين، وتحدث بعد ذلك عن المغفلين من القصّاص والوعّاظ والمتزهّدين والمعلّمين والحاكة، وأنهى الكتاب بفصل طويل تحدث فيه عن أخبار المغفّلين على الإطلاق، وهو باب جامع لأصناف كثيرة من هؤلاء.

ـ وابن الجوزي في هذا الكتاب، أديب رائق العبارة، متفنّن في طرق الأداء، قادر على التعبيرات النادرة والتصوير الرقيق في أسلوب مرسل لا يجري وراء حلى الألفاظ ولا ينزل على حكم التكلّف، طرائفه ممتعة، ومِلَحُهُ عذبة، ونوادره شيقة، ولطائفه مسلّية تستحقّ التوقف عندها ليس فقط لفائدتها الترفيهيّة بل لما تنطوي عليه أيضاً من فوائد نقدية واجتماعية فهي خير أنيس وخير جليس. آملاً أن أكون وُفِّقت في شرح هذا الكتاب، والله الموفّق.

عبد الأمير مهنّا

بيروت في ١٩٩٠/١/١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلِّف

قال الشيخ الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي:

الحمد لله الذي أعطى الأنعام جزيلاً، وقبل من الشكر قليلاً، وفضَّلَنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لم يجعل له من جنسه عديلاً، وعلى آله وصحبه بكرة وأصيلاً.

وبعد، فإني لمّا شرعت في جمع «أخبار الأذكياء»، وذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثالاً يُحتذى ـ لأن أخبار الشجعان تعلِّم الشجاعة ـ آثرت أن أجمع أخبار الحمقى والمغفلين، لثلاثة أشياء:

الأول: أن العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه، فحثه ذلك على الشكر.

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، قال: حدثنا علي بن الحسين بن الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثنا خلف بن هشام، قال: حدثنا الحكم بن سنان، عن حوشب، عن الحسن أنه قال: خلق الله عز وجل آدم حين خلقه، فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى، فدبُّوا على وجه الأرض، منهم الأعمى والأصم والمبتلى، فقال آدم: يا رب، ألا ساويت بين ولدي؟ قال: يا آدم إني أردت أن أُشْكَرَ.

أخبرنا محمد بن عبد الملك، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال: حدثنا أبو عمر بن حيوية، قال: أنبأنا ابن المرزبان، قال: قال حارث بن محمد: سمعت محمد بن مسلم يقول: تكلَّم رجل في مجلس ابن عباس[1]، فأكثر الخطأ، فالتفت عبد الله بن عباس إلى عبد له فأعتقه، فقال له الرجل:

ما سبب هذا الشكر؟ قال: إذ لم يجعلني الله مثلك.

والثاني: أنَّ ذِكْر المغفلين يحثّ المتيقظ على اتقاء أسباب الغفلة إذا كان ذلك داخلاً تحت الكسب وعامله فيه الرياضة، وأما إذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع، فإنها لا تكاد تقبل التغيير.

والثالث: أن يروِّح الإنسان قلبه بالنظر في سِيَر هؤلاء المبخوسين[2] حظوظاً يوم القسمة، فإن النفس قد تمل من الدؤوب في الجد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو، وقد قال رسول الله ﷺ لحنظلة: «ساعة وساعة».

وعن حنظلة الكاتب[3] أن النبي ﷺ ذَكَر الجنة والنار وكنا كأنا رأينا رأي عين، فخرجت يوماً فأتيت أهلي فضحكت معهم فوقع في نفسي شيء، فلقيت أبا بكر، فقلت: إني قد نافقت، قال: وما ذاك؟ قلت: كنت عند النبي ﷺ، فذكر الجنة والنار، فكنا كأنا رأينا رأي عين، فأتيت أهلي فضحكت معهم. فقال أبو بكر:

---

(١) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمّة، الصحابي الجليل، وُلد بمكة ونشأ في عصر النبوّة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع عليّ الجمل وصفين، وكفّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨هـ.

(٢) بخسه بخساً: نقصه، ومنه لا تبخس أخاك حقّه. وتباخس القوم: تغابنوا.

(٣) حنظلة الكاتب: هو حنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي، صحابي، يُقال له حنظلة الكاتب لأنه كان من كتاب النبي ﷺ، وهو ابن أخي أكثم بن صيفي. شهد القادسية ونزل الكوفة وتخلّف عن عليّ يوم الجمل، ونزل قرقيساء (بين الخابور والفرات) حتى مات في خلافة معاوية نحو سنة ٤٥هـ. (راجع الأعلام للزركلي ٢: ٢٨٦).

إنا لنفعل ذلك. فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «يا حنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق، يا حنظلة ساعة وساعة».

وقال علي بن أبي طالب[1]: روِّحوا القلوب واطلبوا لها طرف الحكمة فإنها تملّ كما تملّ الأبدان. وقال أيضاً: إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً.

وعن أسامة بن زيد[2]، قال: روِّحوا القلوب تعي الذكر.

وعن الحسن، قال: إن هذه القلوب تحيى وتموت، فإذا حييت فاحملوها على النافلة، وإذا ماتت فاحملوها على الفريضة.

وعن الزهري[3] قال: كان رجل يجالس أصحاب رسول الله ﷺ ويحدثهم، فإذا كثروا وثقل عليه الحديث قال: إن الأذن مجّاجة وإن القلوب حمضة فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم.

وقال أبو الدرداء[4]: إني لأستجم نفسي ببعض الباطل كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يملها.

---

(١) رابع الخلفاء الراشدين، توفي سنة ٤٠هـ.

(٢) أسامة بن زيد: هو أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: صحابي جليل، كان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين. هاجر مع النبي ﷺ إلى المدينة، وأمّره رسول الله ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفراً موفقاً. مات في آخر خلافة معاوية. وفي تاريخ ابن عساكر أن رسول الله استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر، توفي أسامة سنة ٥٤هـ.

(٣) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش. أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة. كان يحفظ الفين ومئتي حديث. توفي سنة ١٢٤. (راجع الأعلام ٧:٩٧).

(٤) أبو الدرداء: هو عويمر بن مالك بن قيس بن أُميّة الأنصاري، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجراً في المدينة ثم انقطع للعبادة. ولما ظهر الإسلام =

وعن محمد بن إسحاق[٤] قال: كان ابن عباس إذا جلس مع أصحابه حدَّثهم ساعة ثم قال: حمضونا، فيأخذ في أحاديث العرب، ثم يعود يفعل ذلك مراراً.

وعن الزهري أنه كان يقول لأصحابه: هاتوا من أشعاركم، هاتوا من حديثكم، فإن الأذن مجّة والقلب حمض.

وقال ابن إسحاق: كان الزهري يحدِّث ثم يقول: هاتوا من ظرفكم، هاتوا من أشعاركم، أفيضوا في بعض ما يخفف عليكم وتأنس به طباعكم، فإن الأذن مجّاجة والقلب ذو تقلُّب.

وعن مالك بن دينار[١] قال: كان الرجل ممن كان قبلكم إذا ثقل عليه الحديث قال: إن الأذن مجّاجة والقلب حمض، فهاتوا من طرف الأخبار.

عن ابن زيد[٢] قال: قال لي أبي: إن كان عطاء بن يسار[٣] ليحدّثنا أنا

= اشتهر بالشجاعة والنسك. وفي الحديث: عويمر حكيم أمّتي، ونعم الفارس عويمر. ولّاه معاوية قضاء دمشق بأمر من عمر بن الخطاب وهو أول قاض بها، وهو أحد الذين جمعوا القرآن، حفظاً على عهد النبي ﷺ. توفي سنة ٣٢هـ. (راجع الأعلام ٥: ٩٨).

(١) محمد بن إسحاق: أبو بكر، وقيل أبو عبد الله بن إسحاق بن يسار بن خيار. صاحب المغازي والسّير، كان جدّه يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي، سباه خالد بن الوليد من عين التمر، وكان محمد المذكور ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء. قال ابن شهاب الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق. ذكره البخاري في تاريخه، وتوفي سنة ١٥١هـ. (راجع وفيات الأعيان ٤: ٢٧٦، والأعلام ٦: ٢٨).

(٢) مالك بن دينار: هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري، وهو من موالي بني أسامة بن لؤي القرشي، كان عالماً زاهداً كثير الورع قنوعاً لا يأكل إلّا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة. كان من كبار السادات. توفي سنة ١٣١هـ بالبصرة قبل الطاعون بيسير. (راجع وفيات الأعيان ٤: ١٣٩، والأعلام ٥: ٢٦٠).

(٣) ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني. توفي سنة ١٨٢هـ. (راجع الشذرات).

(٤) عطاء بن يسار المدني: فقيه روى عن كبار الصحابة، وكان يقضي بالمدينة. توفي سنة ١٠٣هـ.

وأبـا حازم[1] حتى يبكينـا، ثم يحدثنـا حتى يضحكنا، ثم يقـول: مـرة هكـذا ومـرة هكذا.

قلت: وما زال العلماء والأفاضل يعجبهم الملح[2] ويهشـون لها، لأنهـا تجم النفس وتُسريح القلب من كـد الفكر. وقـد كان شعبـة[3] يحدِّث، فـإذا رأى المريـد النحوي قال: إنه أبو زيد:

أٱسْتَعْجَمَتْ دَارُ نَعَمٍ مـا تُكَلِّمُنَـا ۝ والـدَّارُ كَـلَّمَـتْـنَـا ذَات أَخْـبَـارِ

وقد روينا عن ابن عـائشة[4] أحـاديث ملاحـاً في بعضها رفث[5]، وإن رجـلاً قال له: أيأتي من مثلك هذا؟ فقال له: ويحـك، أما تـرى أسانيـدها؟ مـا أحد ممن رويت عنه هو أفضل من جميع أهل زماننا، ولكنكم ممن قبح بـاطنه فـرأى ظاهـره، وإن باطن القوم فوق ظاهرهم.

ووصف رجل من النسّاك عند عبيد الله بـن عائشة فقالوا: هو جدٌّ كله، فقـال: لقد أضاق على نفسه المرعى وقصر لها طول النهى، ولو فككهـا بالانتقـال من حال إلى حال لتنفس عنها ضيق العقدة، وراجع الجد بنشاط وحدة.

---

(١) أبـو حازم: هـو ابن حازم سلمـة بن دينار المخـزومي، عالِم المـدينة وشيخهـا. توفي سنـة ١٤٠هـ. (راجع الأعلام ٣:١١٣).

(٢) الملح: النوادر والطرائف.

(٣) شعبـة: هو شعبـة بن الحجاج بن الـورد العتكي الأزدي، الواسـطي ثم البصري. من أئمـة رجال الحديث حفظاً ودراية وتثبتاً. وهو أول من فتّش في العراق عن أمر المحـدثين وجانب الضعفـاء والمتروكين. كـان عالمـاً بالأدب والشعـر. تـوفي سنـة ١٦٠هـ. (راجـع الأعـلام ٣:١٦٤).

(٤) ابن عائشة: هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن معمر التيمي، أبو عبد الرحمن، المعروف بابن عائشة. عالِم بالحديث والسيـر، أديب، من أهل البصـرة. زار بغداد وحـدث بها سنـة ٢١٩هـ. وكان كريماً متلافاً. وعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيـد الله التيمي، ويُقال له: العيشي أيضاً. توفي سنة ٢٢٨هـ. (راجع الأعلام ٤:١٩٦).

(٥) رفـث: فـحـش.

وعن الأصمعي[1] قال: سمعت الرشيد[2] يقول: النوادر تشحذ الأذهان وتفتق الآذان.

عن حماد بن سلمة[3] أنه كان يقول: لا يحب الملح إلاَّ ذُكرانَ الرجال، ولا يكرهها إلاَّ مؤنثهم.

وعن الأصمعي قال: أنشدت محمد بن عمران التميمي قاضي المدينة، وما رأيت في القضاة أعقل منه.

يا أيُّها السائلُ عَنْ مَنْزلي   نَزَلْتَ في الخَانِ على نَفْسي
يغدُو عليَّ الخبز من خَابزٍ   لا يَقْبَلُ الرَّهْنَ ولا ينسى
آكِلُ مِنْ كِيسي وَمِنْ كِسْوَتي   حتَّى لقد أَوْجَعَني ضِرْسِي

فقال: أكتبه لي، قلت: أصلحك الله إنما يكتب هذا الأحداث، فقال: ويحك أكتبه، فإن الأشراف يعجبهم الملاحة.

---

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جدّه أصمع، ومولده ووفاته في البصرة. كان الرشيد يسمّيه شيطان الشعر، وكان أتقن القوم للّغة وأعلمهم بالشعر وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة. توفي سنة ٢١٦هـ. (راجع الأعلام ٤: ١٦٢).

(٢) الرشيد: هو الخليفة المشهور هارون الرشيد، المتوفى سنة ١٩٣هـ. (راجع الأعلام ٨: ٦٢).

(٣) حماد بن سلمة: مفتي البصرة وأحد رجال الحديث. توفي سنة ١٦٧هـ. كان حافظاً ثقة مأموناً. قال الذهبي: كان حماد إماماً في العربية، فقيهاً، فصيحاً مفوهاً، شديداً على المبتدعة، له تآليف. (راجع الأعلام ٢: ٢٧٢).

(فصـــل)

فقد بان مما ذكرنا أن نفوس العلماء تسرح في مباح اللهو الذي يكسبها نشاطاً للجد فكأنها من الجد لم تزل، قال أبو فراس[1]:

أروِّحُ القَلْبَ بِبَعْضِ الهَزْلِ ... تجاهُلاً مِنِّي، بِغَيْرِ جَهْلِ
أمْزَحُ فيه، مَزْحَ أهْلِ الفَضْلِ ... والمزْحُ، أحياناً، جلاءُ العَقْلِ

(فصـــل)

فإن قال قائل: ذكر حكايات الحمقى والمغفلين يوجب الضحك؛ وقد رويتم عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الرجُلَ ليتكلمُ بالكلمة يضحكُ بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا»، فالجواب: إنه محمول على أنه يُضحكهم بالكذب، وقد روي هذا في الحديث مفسراً: «ويلٌ للذي يحدِّث الناس فيكذب ليضحك الناس». وقد يجوز للإنسان أن يقصد إضحاك الشخص في بعض الأوقات، ففي أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لأكلمن رسول الله لعله يضحك، قال: قلت: لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة فوجأت[2] عنقها، فضحك رسول الله ﷺ».

وإنما يكره للرجل أن يجعل عادته إضحاك الناس لأن الضحك لا يذم قليله، فقد كان رسول الله ﷺ يضحك حتى تبدو نواجذه[3]، وإنه يكره كثيره لما روي عنه عليه السلام أنه قال: «كثرة الضحك تُميت القلب»، والارتياح إلى مثل هذه الأشياء في بعض الأوقات كالملح في القِدْر.

---

(١) أبو فراس: هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أبو فراس الحمداني، الشاعر المشهور، وهو ابن عم سيف الدولة. كان الصاحب بن عباد يقول: بدىء الشعر بملك وختم بملك ــ يعني امرؤ القيس وإبا فراس. له وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة. توفي سنة ٣٥٧هـ. (راجع الأعلام ٢ : ١٥٥).

(٢) وجأ عنقها: ضربها.

(٣) النواجذ: أقصى الأضراس وهي أربعة.

(فصـــل)

وقد قسمت هذا الكتاب أربعة وعشرين باباً، وهذه تراجمها:

الباب الأول : في ذِكْر الحماقة ومعناها.

الباب الثاني : في بيانْ أنْ الحمق غريزة.

الباب الثالث : في ذِكْر اختلاف الناس في الحمق.

الباب الرابع : في ذِكْر أسماء الأحمق.

الباب الخامس : في ذِكْر صفات الأحمق.

الباب السادس : في التحذير من صحبة الأحمق.

الباب السابع : في ضرب العرب المثل بمن عُرف حمقه.

الباب الثامن : في ذِكْر أخبار من ضُرب المثل بحمقه وتغفيله.

الباب التاسع : في ذِكْر جماعة من العقلاء صدر عنهم فعل الحمقى.

الباب العاشر : في ذِكْر المغفلين من القرّاء.

الباب الحادي عشر : في المغفلين من رُواة الحديث وتصحيفه.

الباب الثاني عشر : في ذِكْر المغفلين من القُضاة.

الباب الثالث عشر : في ذِكْر المغفلين من الأمراء والوُلاة.

الباب الرابع عشر : في ذِكْر المغفلين من الكتَّاب والحجَّاب[1].

الباب الخامس عشر : في المغفلين من المؤذِّنين.

الباب السادس عشر : في المغفلين من الأئمّة.

الباب السابع عشر : في المغفلين من الأعراب.

الباب الثامن عشر : في مَنْ قَصَد الفصاحة والإعراب من المغفلين.

الباب التاسع عشر : في مَنْ قال شعراً من المغفلين.

---

(١) الحجاب: جمع حاجب، وهو البوّاب، وربّما خُصّ ببواب الملك.

* * *



الباب الأول:

في ذِكْر الحماقة ومعناها

قال ابن الأعرابي: الحماقة مأخوذة من «حمقت السوق» إذا كسدت، فكأنه كاسد العقل والرأي فلا يُشاوَر ولا يُلتفَت إليه في أمر حرب.

وقال أبو بكر المكارم: إنما سُمِّيَت البقلة[1] الحمقاء، لأنها تنبت في سبيل الماء وطريق الإبل. قال ابن الأعرابي: وبها سُمِّي الرجل أحمق لأنه لا يميِّز كلامه من رعونته[2].

(فصل)

وقد ذكرنا ما يتعلَّق باللغة في هذا الاسم ولا يظهر المقصود إلَّا بكشف المعنى، فنقول:

معنى الحمق والتغفيل: هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، بخلاف الجنون، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة، والمقصود جميعاً، فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد ورويته في الطريق الوصال إلى الغرض غير صحيحة، والمجنون أصل إشارته فاسد، فهو يختار ما لا يُختار، ويبيِّن هذا ما سنذكره عن بعض المغفلين، فمن ذلك: أنَّ طائراً طار من أمير فأمر أن يغلق باب المدينة! فمقصود هذا الرجل حفظ الطائر.

* * *

(١) البقلة: الهندباء، وتعرف أيضاً بالفرفحين.

(٢) الرعونة: الحمق. ورعن رعناً: كان أهوج في كلامه فهو أرعن.

الباب الثاني:

في أنَّ الحمق غريزة

عن أبي إسحاق، قال: إذا بلغك أنَّ غنياً افتقر فصدِّق، وإذا بلغك أنَّ فقيراً استغنى فصدِّق، وإذا بلغك أنَّ حياً مات فصدِّق، وإذا بلغك أنَّ أحمق استفاد عقلاً فلا تصدِّق.

عن أبي يوسف[1] القاضي قال: ثلاث؛ صدِّق باثنتين ولا تصدِّق بواحدة: إن قيل لك إنَّ رجلاً كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدِّق، وإن قيل لك إنَّ رجلاً فقيراً خرج إلى بلد فاستفاد مالاً فصدِّق، وإن قيل لك إنَّ أحمق خرج إلى بلد فاستفاد عقلاً فلا تصدِّق.

عن الأوزاعي[2] إنه يقول: بلغني أنه قيل لعيسى ابن مريم عليه السلام: يا روح الله إنك تحيي الموتى؟ قال: نعم بإذن الله، قيل: وتبرىء الأكمه[3]؟ قال: نعم بإذن الله، قيل: فما دواء الحمق؟ قال: هذا الذي أعياني.

---

(١) أبو يوسف: هو يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد.. أبو محمد، حافظ للحديث، له فيه كتاب السنن. كان ثقة صالحاً مهيباً. وُلِّي قضاء البصرة وواسط سنة ٢٧٦هـ. وضمّ إليه قضاء الجانب الشرقي من بغداد، ومات مصروفاً عن القضاء. توفي سشنة ٢٩٧هـ. (راجع الأعلام ٨: ٢٥٨).

(٢) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد. وُلد في بعلبكّ ونشأ في البقاع وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ. عرض عليه القضاء فامتنع. (راجع الأعلام ٣: ٣٢٠).

(٣) الأكمه: المولود الأعمى.

قال جعفر بن محمد[1]: الأدب عند الأحمق كالماء في أصول الحنظل، كلما ازداد رياً زاد مَرارة.

قال المأمون[2]: تدرون ما جرى بيني وبين أمير المؤمنين هارون الرشيد؟ كان لي إليه ذنب فدخلت مسلِّماً عليه فقال: أغرب[3] يا أحمق، فانصرفت مغضباً ولم أدخل إليه أياماً، فكتب إليَّ رقعة يقول:

لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ تَمادَى بِكَ الهَجْـ ـرُ أَمِنْكَ التَّفْرِيطُ أَمْ كانَ مِنِّي
إنْ تَكُنْ خُنْتَنَا فَعَنْكَ عَفَا الله وَإنْ كِنْتُ خُنْتَكُم فاعْفُ عَنِّي

فسرت إليه، فقال: إن كان الذنب لنا فقد استغفرناك، وإن كان لك فقد غفرناه، فقلت له: قلت لي يا أحمق ولو قلت لي يا أرعن[4] كان أسهل عليَّ، فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت له: الرعونة تتولَّد عن النساء، فتلحق الرجل من طول صحبتهن، فإذا فارقهن وصاحب فحول الرجال زالت عنه، وأما الحمق فإنه غريزة. وأنشد بعض الحكماء:

وَعِلاجُ الأبْدَانِ أَيْسَرُ خَطْباً حينَ تُعْتَلُّ مِنْ عِلاجِ العُقُولِ

* * *

---

(١) جعفر بن محمد: لعلّه المتوكل العباسي المتوفى سنة ٢٤٧هـ. (راجع الأعلام ٢: ١٢٧).

(٢) المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك، في سيرته وعلمه وسعة ملكه. توفي سنة ٢١٨هـ. (راجع الأعلام ٤: ١٤٢).

(٣) أغرب: ابتعد.

(٤) الأرعن: الأحمق.

الباب الثالث:

في ذِكْر اختلاف الناس في الحمق

وقد ذكرنا أن الحمق فساد في العقل أو في الذهن، وما كان موضوعاً في أصل الجوهر فهو غريزة لا ينفعها التأديب، وإنما ينتفع بالرياضة والتأديب من أصلٍ جوهره سليم، فتدفع الرياضة العوارض المفسدة. وبعد، فإن الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوه منه، فلهذا يتفاوت الحمق.

قيل لإبراهيم النظّام[1]: ما حدّ الحمق؟ فقال: سألتني عما ليس له حد. وتلا عمر هذه الآية: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾[2]، قال: الحمق يا رب.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ليس من أحَد إلاّ وفيه حمقة فيها يعيش.

وقال أبو الدرداء: كلنا أحمق في ذات الله.

وقال وهَب بن مُنَبِّه[3]: خلق الله آدم أحمق، ولولا ذلك ما هناه العيش.

---

(١) إبراهيم النظام: هو إبراهيم بن سيّار بن هانىء البصري، أبو إسحاق، من أئمة المعتزلة. قال الحافظ: الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له فإن صحّ ذلك فأبو إسحاق من أولئك. تبحّر في علوم الفلسفة وانفرد لآراء خاصة تابعه فيها فرقة من المعتزلة سمّيت «النظامية» نسبة إليه. توفي سنة ٢٣١هـ. (راجع الأعلام ١: ٤٣).

(٢) سورة الإنفطار: الآية ٦.

(٣) وهب بن منبه: أبو عبد الله، مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعدّ في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمّه من حمير. وُلد ومات بصنعاء وولاّه عمر بن عبد العزيز قضائها. توفي سنة ١١٤هـ. (راجع الأعلام ٨: ١٢٥).

وعن مُطرِّف[1] قال: لو حلفت، لرجوت أن أبرّ أنه ليس أحد من الناس إلّا وهو أحمق فيما بينه وبين الله عز وجل، وكان يقول: ما أحد من الناس إلّا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه عز وجل، غير أن بعض الحمق أهون من بعض. وعنه قال: عقول الناس على قدر زمانهم، وكان يقول: هم الناس والنسناس[2]، وأرى أناساً غمسوا في ماء الناس.

وقال سفيان الثوري[3]: خُلق الإنسان أحمق لكي ينتفع بالعيش. وأنشد بعضهم:

لَعَمْرِكَ ما شيءٌ يَفُوتك نَيْلَهُ ... بِغُبْنٍ ولَكِنْ في العُقُولِ التَّغابنِ

* * *

(١) مطرف: هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العاوي البصري، فقيه زاهد، توفي سنة ٨٧ هـ.

(٢) النسناس: دابة وهمية يزعمون أنها على شكل الأنسان. وهي عند العامة نوع من القردة.

(٣) سفيان الثوري: كان سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. وُلد ونشأ بالكوفة وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى وخرج إلى مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى. توفي سنة ١٦١هـ. (راجع الأعلام ٣: ١٠٤).

الباب الرابع :

في ذِكْر أسماء الأحمق

الأحمق، الرقيع، المائق، الأزبق، الهجهاجة، الهلباجة، الخطل، الخرف، المِلغ، الماج، المسلوس، المأفون، المأفوك، الأعفك، الفقاقة، الهجأة، الألق، الخوعم، الألفت، الرطىء، الباحر، الهجرع، المجع، الأنوك، الهبنك، الأهوج، الهبنق، الأخرق، الداعك، الهداك، الهبنقع، المدله، الذهول، الجعبس، الأوره، الهوف، المعضل، الفدم، الهتور عياياء، طباقاء.

فإذا كان يتجه لشيء في أسماء كثيرة وقريب هذه الأسماء على أحمق، وقيل: لو لم يكن من فضيلة الأحمق إلّا كثرة أسمائه لكفى.

قال ابن الأعرابي: الرقيع هو الذي يحتاج أن يرقع من حمقه.

وسُئل بعض الأعراب، ما الفرق بين الأحمق والمائق؟ فقال: الأحمق مثل المائح[1] على رأس البئر، والمائق مثل المائح الذي هو أسفل البئر، فبينهما من الجودة في الحماقة ما بين هذين. والعرب تقول: أحمق ما يتوجه إلى ما يحسن أن يأتي الغائط. والأخرق هو الذي يخرق الأشياء ولا يحسن لها مأتى.

ومن أسماء النساء ذوات الحمق: الورهاء[2]، الخرقاء، الدفنس[3]،

---

(١) المائح: المغترق الماء بيده.

(٢) الورهاء: قال صاحب اللسان، الورهاء: الخرقاء بالعمل، والوره: الحمق في كل عمل. (راجع اللسان: مادة وره)، .

(٣) الدفنس: قال صاحب اللسان، الدفنس: بالكسر: المرأة الحمقاء، وقيل: الدفنس: الرعناء البلهاء (راجع اللسان: مادة دفنس).

الخذعل، الهوجاء، القرثع[1]، الداعكة[2]، الرطيئة.

* * *

(١) القرثع: قال صاحب اللسان، هي المرأة الجريئة القليلة الحياء، وقيل: هي البلهاء التي تلبس قميصها أو درعها مقلوباً وتكحل إحدى عينيها وتدع الأخرى رعونةً. وقال ابن الأثير في صفة المرأة، الناشز: هي كالقرع، قال: هي البلهاء. (راجع اللسان: مادة قرثع).

(٢) الداعكة: قال صاحب اللسان، الداعكة الحمقاء الجريئة. (راجع اللسان: مادة دعك).

الباب الخامس:

في ذِكْر صفات الأحمق

صفات الأحمق تقسم إلى قسمين: أحدهما من حيث الصورة، والثاني من حيث الخصال والأفعال.

ذكر القسم الأول:

قال الحكماء: إذا كان الرأس صغيراً رديء الشكل دلَّ على رداءة في هيئة الدماغ.

قال جالينوس[1]: لا يخلو صغر الرأس البتة من دلالة على رداءة هيئة الدماغ، وإذا قصرت الرقبة دلت على ضعف الدماغ وقلته، ومن كانت بنيته غير متناسبة كان رديئاً حتى في همته وعقله مثل الرجل العظيم البطل، القصير الأصابع، المستدير الوجه، العظيم القامة، الصغير الهامة[2]، اللحيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين، فكأنما وجهه نصف دائرة، كذلك إذا كان مستدير الرأس واللحية، ولكن وجهه شديد الغلظ وفي عينيه بلادة وحركة فهو أيضاً من أبعد الناس عن الخير، فإن جحظتا فهو وقح مهذار، فإن كانت العين ذاهبة في طول البدن فصاحبها مكار لص، وإذا كانت العين عظيمة مرتعدة فصاحبها كسلان بطال أحمق محب للنساء.

والعين الزرقاء التي في زرقتها صفرة كأنها زعفران، تدل على رداءة الأخلاق جداً. والعين المشبهة لأعين البقر تدل على الحمق. وإذا كانت العين كأنها ناتئة وسائر الجفن لاطيء[3] فصاحبها أحمق. وإذا كان الجفن من العين منكسراً

---

(١) جالينوس: طبيب إغريقي له اكتشافات في علم التشريح.

(٢) الهامة: الرأس. (٣) لاطئة: لاصقة.

أو متلوِّناً من غير علة، فصاحبها كذاب مكار أحمق. والشعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجرأة، وعلى الصدر والبطن يدل على قلة الفطنة. ومن طالت عنقه ورقّت، فهو صياح أحمق جبان. ومن كان أنفه غليظاً ممتلئاً، فهو قليل الفهم. ومن كان غليظ الشفة، فهو أحمق غليظ الطبع. ومن كان شديد استدارة الوجه، فهو جاهل. ومن عظمت أذنه، فهو جاهل طويل العمر.

وحسن الصوت دليل على الحمق وقلة الفطنة، واللحم الكثير الصلب دليل على غلظ الحس والفهم، والغباوة والجهل في الطول أكثر. ومن العلامات التي لا تخطىء طول اللحية، فإن صاحبها لا يخلو من الحمق.

وقد روى أنه مكتوب في التوراة: إن اللحية مخرجها من الدماغ، فمن أفرط عليه طولها قل دماغه، ومن قل دماغه قل عقله، ومن قل عقله كان أحمق.

قال بعض الحكماء: الحمق سماد اللحية، فمن طالت لحيته كثر حمقه. ورأى بعض الناس لرجل لحية طويلة فقال: والله لو خرجت هذه من نهر لَيبس.

وقال الأحنف بن قيس[1]: إذا رأيت الرجل عظيم الهامة طويل اللحية، فاحكم عليه بالرقاعة ولو كان أمية ابن عبد شمس[2].

---

(١) الأحنف بن قيس: أبو بحر، سيد تميم وأحد العظماء والدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يُضرب به المثل في الحلم. وُلد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يَره. وفد على عمر حين آلت الخلافة إليه في المدينة فاستبقاه عمر، فمكث عاماً وأذن له فعاد إلى البصرة، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فادنُ الأحنف وشاوره واسمع منه. . . وشهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل ثم شهد صفين مع علي. توفي سنة ٧٢هـ. (راجع الأعلام ١ : ٢٧٦).

(٢) أُمية بن عبد شمس: هو جدّ الأمويين بالشام والأندلس. جاهلي، كان من سكان مكة. وكانت له قادة الحرب في قريش بعد أبيه. عاش إلى ما بعد مولد النبي ﷺ، وكان هو وابن عمه عبد المطلب بن هاشم فيمن وفد على سيف بن ذي يزن في قصره «غمدان» بصنعاء لتهنئته بانتصاره على الحبشة وروى له الأزرقي أبياتاً من الشعر في رحلته هذه. (راجع الأعلام ٢ : ٢٣).

وقال معاوية لرجل عتب عليه: كفانا في الشهادة عليك في حماقتك وسخافة عقلك، وما نراه من طول لحيتك.

وقال عبد الملك بن مروان[1]: من طالت لحيته فهو كوسج[2] في عقله. وقال غيره: من قصرت قامته وصغرت هامته وطالت لحيته فحقيقاً[3] على المسلمين أن يعزوه في عقله. وقال أصحاب الفراسة[4]: إذا كان الرجل طويل القامة واللحية فاحكم عليه بالحمق، وإذا انضاف إلى ذلك أن يكون رأسه صغيراً فلا تشك فيه.

وقال بعض الحكماء: موضع العقل الدماغ، وطريق الروح الأنف، وموضع الرعونة طويل اللحية. وعن سعد بن منصور، أنه قال: قلت لابن إدريس: أرأيت سلام بن أبي حفصة؟ قال: نعم، رأيته طويل اللحية وكان أحمق.

وعن ابن سيرين[5]، أنه قال: إذا رأيت الرجل طويل اللحية لم، فاعلم ذلك في عقله. قال زياد ابن أبيه: ما زادت لحية رجل على قبضته، إلّا كان ما زاد فيها نقصاً من عقله.

قال بعض الشعراء:

إذا عَرِضَتْ لِلْفَتَى لِحْيَةٌ   وَطَالَتْ فَصَارَتْ إلى سُرَّتِهْ

---

(١) عبد الملك بن مروان: أبو الوليد من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيهِ سنة ٦٥هـ. فضبط أمورها. توفي سنة ٨٦هـ. (راجع الأعلام ٤: ٦٥).

(٢) الكوسج: الأشطّ، والذي لا شعر على عارضيه. قال الأصمعي: هو الناقص الأسنان وأصله بالفارسية كوسه. (راجع اللسان: مادة كسج).

(٣) حقيقياً: جديراً.

(٤) الفراسة: تثبيت النظر وإدراك الباطن من نظر الظاهر.

(٥) ابن سيرين: هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتّاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازاً في آذانه صمم. وتفقه وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. توفي سنة ١١٠هـ. (راجع الأعلام ٦: ١٥٤).

فَنُقْصَانُ عَقْلِ الفَتَى عِنْدَنَا ... بِمِقْدارِ ما زادَ في لِحْيَتِهْ

ومن صفات الأحمق: صغر الأذن، ويُعرف الأحمق بمشيه وتردده، وكلام الأحمق أقوى الأدلة على حمقه.

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قال: بلغني أن المهدي[1] لمّا فرغ من (عيسا باذ)[2] ركب في جماعة يسيرة لينظر، فدخل مفاجأة فأُخرج كل من كان هناك من الناس وبقي رجلان خفيا عن أبصار الأعوان، فرأى المهدي أحدهما وهو دهش لا يعقل، فقال: من أنت؟ قال: أنا أنا أنا، قال: ويلك من أنت؟ قال: لا أدري، قال: ألك حاجة؟ قال: لا، لا، قال: أُخرجوه أخرج الله نفسه، فدفع في قفاه، فلما خرج قال لغلامه: اتبعه من حيث لا يعلم، فسَل عن أمره ومهنته، فإني أخاله حائكاً، فخرج الغلام يقفوه[3].

ثم رأى الآخر فاستنطقه، فأجابه بقلب قوي ولسان جريء فقال: من أنت؟ فقال: رجل من أبناء رجال دعوتك، قال: فما جاء بك إلى هنا؟ قال: جئت لأنظر هذا البناء الحسن، وأتمتع بالنظر، وأُكثر من الدعاء لأمير المؤمنين بطول المدة، وتمام النعمة، ونماء العز والسلامة، قال: ألك حاجة؟ قال: نعم، خطبت ابنة عم لي فردني أبوها وقال: لا مال لك، والناس يرغبون في المال وأنا بها مشغوف، قال: قد أمرت لك بخمسين ألف درهم، قال: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين، قد وصلت فأجزلت الصلة ومننت فأعظمت المنة، فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه، وآخر أيامك خيراً من أولها، ومتعك بما أنعم به وأمتع رعيتك بك. فأمر أن

---

(١) المهدي: هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، من خلفاء الدولة العباسية بالعراق. وُلِّيَ بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٥٨هـ. وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً، ومات في ماسبذان صريعاً عن دابته في الصيد، وقيل مسموماً وذلك في سنة ١٦٩هـ. (راجع الأعلام ٦: ٢٢١).

(٢) عيسى باذ: محلة كانت في شرقي بغداد. (راجع معجم البلدان: ٣: ٧٥٢).

(٣) يقفوه: يتبعه.

(٤) أجزلت: أكثرت.

يجعل صلته ووجه بعض خاصته معه وقال: سل عن مهنته فإني أخاله كاتباً. فجاء الرسول الأول فقال: وجدته حائكاً، وأخبر الآخر قال: وجدته كاتباً. فقال المهدي: لم يخف عليَّ مخاطبة الحائك والكاتب.

وقد روى عن معاوية أنه قال لأصحابه: بأي شيء تعرفون الأحمق من غير مجاورة؟ فقال بعضهم: من قبل مشيته ونظره وتردده، وقال بعضهم: لا بل يُعرف حمق الرجل من كنيته ونقش خاتمه، فبينما هم يخوضون في حديث الحمقى إذ صاح رجل لرجل: يا أبا الياقوت؛ فدعا به معاوية، فإذا رجل عليه بزة، فحاوره ساعة ثم قال: ما الذي على فص خاتمك؟ فقال: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[1]، فقالوا: يا أمير المؤمنين، الأمر كما قلت.

وعن الشافعي[2] أنه قال: إذا رأيت الرجل خاتمه كبير وفَصُّه صغير فذاك رجل عاقل، وإذا رأيت فضته قليلة وفصه كبير فذاك عاجز، وإذا رأيت الكاتب دواته على يساره فليس بكاتب، وإذا كانت على يمينه وقلمه على أذنه فذاك كاتب.

ذكر القسم الثاني:

وهو المتعلق بالخصال والأفعال. من ذلك ترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه ولا يخبره، ومنها أنه لا مودة له، ومنها العجب وكثرة الكلام. قال أبو الدرداء[3]: لا يغرنكم ظرف الرجل وفصاحته، وإن كان مع ذلك قائم الليل صائم النهار إذا رأيتم فيه ثلاث خصال، العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وإن يجد على الناس فيما يأتي مثله، فإن ذلك من علامة الجاهل.

وقال عمر بن عبد العزيز[4]: ما عدمت من الأحمق فلن تعدم

---

(١) سورة النمل: الآية ٢٠.

(٢) الشافعي: هو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنَّة. توفي سنة ٢٠٤هـ.

(٣) أبو الدرداء: تقدمت ترجمته.

(٤) عمر بن عبد العزيز: أبو حفص الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. وُلِّيَ =

خلتين[1]، سرعة الجواب، وكثرة الالتفات. وتكلّم رجل عند معاوية، فأكثر الكلام، فضجر معاوية فقال: أسكت، فقال: وهل تكلمت؟

ومن علامات الأحمق خلوّه من العلم أصلاً، فإن العقل لا بد أن يحرك إلى اكتساب شيء من العمل وإن قلّ، فإذا غلب السن ولم يحصل شيئاً من العلم دلّ على الحمق. قال الأعمش[2]: إذا رأيت الشيخ ليس عنده شيء من العلم أحببت أن أصفعه.

كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[3] صديقاً للوليد[4] يأتيه ويؤانسه، فجلسا يوماً يلعبان بالشطرنج، إذ أتاه الآذن فقال: أصلح الله الأمير، رجل من أخوالك من أشراف ثقيف قدم غازياً، فأحب السلام عليك؟ فقال: دعه، فقال عبد الله: وما عليك، إئذن له فنظل نحن على لعبنا، فادع بمنديل يوضع عليها ونسلم على الرجل ونعود. ففعل ثم قال: إئذن له، فإذا هو رجل له هيبة وبين عينيه أثر السجود، وهو معتم قد رجل[5] لحيته، فسلّم ثم قال: أصلح الله الأمير، قدمت غازياً فكرهت أن أجوزك حتى أقضي حقك، فقال:

= الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ، فبويع في مسجد دمشق. وسكن الناس في أيامه فمنع سبّ علي بن أبي طالب، ولم تطل مدّته. قيل دسّ له السمّ وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به سنة ١٠١هـ. (راجع الأعلام ٥: ٥٠).

(١) الخلة: الصلة.

(٢) الأعمش: هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي بالولاء الملقب بالأعمش، محدث الكوفة. توفي سنة ١٤٨هـ.

(٣) هو من شعراء الطالبين وشجعانهم. قُتل خنقاً سنة ١٢٩هـ، وقيل سنة ١٣١هـ. (راجع الأعلام ٤: ١٣٩).

(٤) الوليد: هو الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس، من ملوك الدولة الأموية في الشام. وُلِّيَ بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ. فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجال موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد. وامتدّت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند فتركستان فأطراف الصين. كان ولوعاً بالعمران. توفي سنة ٩٦هـ. (راجع الأعلام ٨: ١٢١).

(٥) رجّل لحيته: سرّحها.

حياك الله وبارك عليك، ثم سكت عنه، فلما أنس أقبل عليه الوليد فقال: يا خال، هل جمعت القرآن؟ قال: لا، كانت شغلتنا عنه شواغل، قال: أحفظت من سنّة رسول الله ﷺ ومغازيه أو أحاديثه شيئاً؟ قال: لا، كانت شغلتنا عن ذلك شواغل. قال: فأحاديث العرب وأشعارها؟ قال: لا، قال: فأحاديث أهل الحجاز ومضاحيكها؟ قال: لا، قال: فأحاديث العجم وآدابها؟ قال: ذاك شيء ما طلبته، فرفع الوليد المنديل وقال: شاهك، فقال عبد الله بن معاويَة: سبحان الله، قال: لا والله ما معنا في البيت أحد، فلما رأى ذلك الرجل خرج، وأقبلوا على لعبهم.

ومن خصال الأحمق فرحه بالكذب من مدحه، وتأثره بتعظيمه، وإن كان غير مستحق لذلك.

عن الحسن[1] أنه يقول: خفق النعال خلف الأحمق قلما يلبث.

وقال زيد بن خالد[2]: ليس أحد أحمق من غني قد أمن الفقر، وفقير قد آيس من الغنى.

وقال الأصمعي: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد فحدِّثه بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليه وقبله فاعلم أنه أحمق، وإن نكره فهو عاقل.

وقال بعض الحكماء: من أخلاق الحمق، العجلة، والخفة، والجفاء، والغرور، والفجور، والسفه، والجهل والتواني، والخيانة، والظلم، والضياع والتفريط، والغفلة، والسرور، والخيلاء، والفجر، والمكر، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر[3]، وإن قال فحش، وإن سئل بخل، وإن سأل ألحّ، وإن

---

(١) الحسن: هو الحسن بن علي بن أبي طالب. توفي مسموماً سنة ٥٠هـ. كانت مدّة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام.

(٢) زيد بن خالد: هو زيد بن خالد الجهني المدني: صحابي شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح. له ٨١ حديثاً. توفي في المدينة سنة ٧٨هـ. (راجع الإصابة ١: ٥٦٥، الترجمة ٢٨٨٩، وتذهيب الكمال ١٠٩).

(٣) الأشر: البطر.

قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك نهق، وإن بكى خار[1].

وقال بعض الحكماء: يُعرف الأحمق بست خصال؛ الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام من غير منفعة، والثقة بكل أحد، وإفشاء السر، وأن لا يفرق بين عدوه وصديقه، ويتكلم ما يخطر على قلبه، ويتوهم أنه أعقل الناس.

وقال أبو حاتم بن حيان الحافظ: علامة الحمق سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقيعة في الأخيار، والاختلاط بالأشرار، والأحمق إن عرضت عنه آغتم، وإن أقبلت عليه اغتر، وإن حلمت عنه جهل عليك، وإن جهلت عليه حلم عليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإذا ظلمته أنصفت منه، ويظلمك إذا أنصفته، فمن ابتلى بصحبة الأحمق فليكثر من حمد الله على ما وهب له حرمه ذاك.

قال محمد الشامي:

لَنَا جَليسٌ تَرِكٌ للأدَبِ جَليسُه مِن قَوْلِه في تَعَبِ
يغضَبُ جَهْلاً عِنْدَ حَالِ الرِّضَى ومِنْهُ يَرضى عند حالِ الغضبِ

* * *

(1) خار: صاح.

الباب السادس:

في التحذير من صحبة الأحمق

قال عليه السلام: «لا تؤاخي الأحمق فإنه يشير عليك ويجهد نفسه فيخطىء، وربما يريد أن ينفعك فيضرك، وسكوته خير من نطقه، وبُعْده خير من قُرْبه، وموته خير من حياته».

وقال ابن أبي زياد: قال لي أبي: يا بُنَي، إلزم أهل العقل وجالسهم واجتنب الحمقى، فإني ما جالست أحمق فقمت، إلّا وجدت النقص في عقلي.

عن عبد الله بن حبيق، قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام (لا تغضب على الحمقى فيكثر غمك). وعن الحسن، قال: هجران الأحمق قربة إلى الله عز وجل.

وعن سلمان بن موسى، قال: ثلاثة لا ينتصف بعضهم من بعض، حليم من أحمق، وشريف من دنيء، وبر من فاجر.

وكذلك روينا عن الأحنف بن قيس أنه قال: قال الخليل بن أحمد[1]: الناس أربعة، رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فخذوا عنه، ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري فذاك ناسٍ فذكّروه؛ ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري، فذاك طالب فعلّموه؛ ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذاك أحمق فارفضوه.

---

(١) الخليل بن أحمد: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. وُلد ومات بالبصرة وعاش فقيراً صابراً. له كتاب «العين» وغيره. توفي سنة ١٧٠هـ. (راجع وفيات الأعيان ١:١٧٢، والحور العين ١١٢).

وقال أيضاً: الناس أربعة، فكلِّم ثلاثة ولا تكلِّم واحداً، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فكلِّمه، ورجل يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلِّمه، ورجل لا يعلم ويرى أنه لا يعلم فكلِّمه، ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم فلا تكلِّمه.

قال جعفر بن محمد: الرجال أربعة: رجل يعلم ويعلم أنه يعلم، فذاك عالم فتعلَّموا منه، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم، فذاك نائم فأنبهوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم، فذاك جاهل فعلِّموه، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم، فذاك أحمق فاجتنبوه.

وقد روينا عن أبي يوسف القاضي أنه قال: الناس ثلاثة: مجنون ونصف مجنون، وعاقل. فأما المجنون ونصف المجنون فأنت معهما في راحة، وأما العاقل فقد كفيت مؤونته.

عن الأعمش أنه قال: معاتبة الأحمق نفخ في تليسه.

عن عبد الله بن داود الخريبي[1]، أنه قال: كل صديق ليس له عقل فهو أشد عليك، من عدوك.

عن بشر بن الحارث[2] أنه قال: النظر إلى الأحمق سخنة عين. وسمعته يقول: يأتي على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى. وعنه، أنه قال: الأحمق سخنة عين غاب أو حضر.

عن شعبة، أنه قال: عقولنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلاً منا ذهب ذلك القليل، فإني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلاً منه فأمقته.

---

(١) عبد الله بن داود الخريبي: حافظ، زاهد. سمع الأعمش. وتوفي سنة ٢١٣هـ.

(٢) بشر بن الحارث: المعروف بالحافي. من كبار الصالحين. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مرو. سكن بغداد وتوفي بها. قال المأمون: لم يَبقَ في هذه الكورة أحد يستحي منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث. توفي سنة ٢٧٧هـ. (راجع روضات الجنات ١: ١٢٣، ووفيات الأعيان ١: ٩٠).

قال بعض الحكماء: مؤنة العاقل على نفسه، ومؤنة الأحمق على الناس، ومن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة.

قال حكيم آخر: ليس كل أحد يحسن يعامل الأحمق وأنا أحسن أعامله، قيل له كيف؟ قال: أبخسه حتى يطلب الحق بعينه، إذ متى أعطيته حقه طلب ما هو أكثر منه.

وأنشدوا:

إتّقِ الأحْمَقَ أن تَصْحَبَه ... إنّما الأحمقَ كالثّوب الخَلقِ
كلّما رَقَعْتَ مِنهُ جانباً ... خَرَقَتْهُ الرّيح وهْناً فانْخَرقِ
أو كَصَدع في زجاجٍ فاحش ... هل تَرَى صدعَ زُجاج يُرتَتَقِ
كَحِمَارِ السُّوقِ إن أقْضَمْتَهُ[1] ... رَمَحَ النّاس وإنْ جَاع نَهقِ
أو غلامِ السُّوء إنْ اسْغَبْتَه[2] ... سَرَقَ النّاسَ وإن يَشْبع فسق
وإذا عَاتَبْتَه كي يَرْعوي ... أفْسَدَ المجلسَ مِنْهُ بالخَرَقِ

* * *

(١) قاضم مقاضمةً: أخذ الشيء اليسير بعد الشيء، وهي في البيع والشراء أن يُشترى رزماً رزماً دون الأحمال.

(٢) السَّغب: الجوع.

الباب السابع:

في ضرب العرب المثل بمن عرف حمقه

العرب تضرب للأحمق، تارة بمن قد عُرف حمقه من الناس، وتارة بما ينسب إلى سوء التدبير من البهائم والطير، وتارة بما لا يقع منه فعل، ولكن لو تصور له فعل كان ما ظهر منه حمقاً.

فأما ضربهم المثل بمن قد عرف حمقه، فقال أبو هلال العسكري[١]:

تقول العرب: (أحمق من هبنقة)[٢] وستأتي أخباره، و(أحمق من حذنة)[٣]، قيل: هو رجل بعينه؛ وقيل: هو الصغير الأذن، الخفيف الرأس، القليل الدماغ، وكذلك يكون الأحمق. وقيل: حذنة امرأة كانت تتمخط بكوعها.

وتقول العرب: (أحمق من أبي غبشان)[٤]، و(أحمق من جحا)، و(أحمق من عجل بن لجيم)[٥]، و(أحمق من حجينة) وهو رجل من بني الصداء، و(أحمق

---

(١) أبو هلال العسكري: هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري: أبو هلال، عالِم بالأدب، له شِعر. نسبته إلى «عسكر مُكرم» من كور الأهواز. توفي بعد سنة ٣٩٥هـ. (راجع الأعلام ٢: ١٩٦، وخزانة الأدب للبغدادي ١: ١١٢).

(٢) راجع مجمع الأمثال للميداني ١/٢١٧.

(٣) يُقال إنه أحمق من كان في العرب على وجه الأرض، ويُقال: بل هي امرأة من قيس بن ثعلبة تمتخط بكوعها (راجع مجمع الأمثال للميداني ١: ٢١٨)،

(٤) (راجع أصل هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني ١: ٢١٦).

(٥) هو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. قال حمزة: هو أيضاً من الحمقى المنجبين، وذلك أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ فقام ففقأ عينه وقال: سميته الأعور، وفيه يقول جرثومةٍ الغزي:

=

من بيهس)[1]، و (من مالك بن زيد مناة)، ومن (عدي بن حباب)، و (أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها).

وأما ذكرهم للبهائم فيقولون: (أحمق من الضبع)، و (أحمق من أم عامر)، و (أحمق من نعجة على حوض) لأنها إذا وردت الماء أكبت عليه ولا تنثني، و (أحمق من ذئبة) لأنها تدع ولدها وترضع ولد الضبع.

وأما ذكرهم الطير فيقولون: (أحمق من حمامة) لأنها لا تصلح عشها وربما سقط بيضها فانكسر، وربما باضت على الأوتاد فيقع البيض، و (أحمق من نعامة) لأنها إذا مرت ببيض غيرها حضنته وتركت بيضها، و (أحمق من رخمة)[2]، و (أحمق من عقعق)[3] لأنه يضيع بيضه وفراخه، و (أحمق من كروان)[4] لأنه إذا رأى أناساً سقط على الطريق فيأخذونه.

ومن الموصوف بالحمق من الحيوان: الحباري[5]، والنعجة، والبعير، والطاووس، والزرافة.

وأما ضربهم المثل بمن لا فعل له كقولهم (أحمق من رجلة) وهب البقلة الحمقاء لأنها تنبت في مجاري السيل.

* * *

= رمتني بنو عجل بداء أبيهمُ ... وأي امرىء في الناس أحمق من عجل؟
أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب في الجهل
(راجع مجمع الأمثال للميداني ١: ٢١٧).

(١) قال أبو عبيد: أصله أن رجلاً أعطى رجلاً مالاً فتزوج به ابنة المعطي، ثم إن الزوج امتنّ عليها بما مهرها. (راجع مجمع الأمثال للميداني ١ : ٢١٩).

(٢) الرخم: طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع، الواحدة رخمة جمع رخم.

(٣) العقعق: طائر على شكل الغراب أو هو الغراب، والعامة عندنا تسميه القعق، وكانت العرب تتشاءم منه.

(٤) الكروان: طائر صغير حسن الصوت.

(٥) الحبارى: طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقاً، يُضرب به المثل في البلاهة. والحبارى أنواع كثيرة.

الباب الثامن:

فِي ذِكْـر أخـبار مَـن ضُرِب المثل بحمقه وتغفيله

هؤلاء ينقسمون إلى رجال ونساء.

فمنهم «هبنقـة» واسمه يـزيد بنِ ثـروان[1]، ويقال ابن مـروان، أحد بني قيس ابن ثعلبة، ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف وقال: أخشى أن أضـل نفسي ففعلت ذلك لأعـرفها بـه، فحُوِّلت القـلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه، فلمّا أصبح قال: يا أخي، أنت أنا فمن أنا؟

وأضل بعيراً، فجعل ينادي: من وجـده فهو لـه، قيل لـه: فلِمَ تنشده؟ قـال: فأين حلاوة الوجدان؟ وفي روايـة. من وجده فله عشـرة، فقيل لـه: لِمَ فعلت هذا؟ قال: للوجدان حلاوة في القلب.

واختصمت طفاوة[2] وبنو راسب[3] في رجل ادعى كل فريق أنه في عرافتهم، فقال هبنقة: حكمه أن يُلقى في الماء، فإن طفا فهو من طفاوة، وإن رسب فهـو من

---

(١) يـزيد بن ثـروان القيسي، من قيس بن ثعلبـة، أبـو ثـروان المعـروف بهبنقـة، ويُلقّب بـذي الودعات، وهو جاهلي. قال ابن زيدون في رسالته التهكمية: وهبنقة مستوجب لاسم العقل إذا أُضيف إليك. وفي قصيدة للفرزدق:

فـلو كـان ذو الـوداع ابن ثـروان لا لـتوت ... بـه كـفّـه أعـنـي يـزيـد الـهـبـنّـقـا

(راجع الأعلام ٨: ١٨٠، وثمار القلوب ١١٢، وأزهار الرياض ١: ٨٥).

(٢) طفاوة: نسبة إلى طفاوة بنت جرم ريان، أم جاهلية يُنسب إليها الـطفاويـون وهم أبناؤها من زوج أعصر بن سعد بن قيس عيلان.

(٣) بنو راسب: نسبة إلى راسب بن الخزرج بن حدة بن جرم بن ريان، جدّ جاهلي.

راسب، فقال الرجل: إن كان الحكم هذا فقد زهدت في الديوان.

وكان إذا رعى غنماً جعل يختار المراعي للسمان وينحي المهازيل ويقول: لا أصلح ما أفسده الله.

ومنهم «أبو غبشان»، وهو من خزاعة[1]، كان يلي الكعبة، فاجتمع مع قصي بن كلاب[2] بالطائف على الشرب، فلمّا سكر اشترى منه قصي ولاية البيت بزقّ خمر، وأخذ منه مفاتيحه وسار بها إلى مكة، وقال: يا عشر قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم. وأفاق أبو غبشان فندم، فقيل: (أندم من أبي غبشان)، وأخسر من أبي غبشان، وأحمق من أبي غبشان، قال بعضهم:

باعَتْ خُزَاعَةُ بيتَ الله إذْ سَكِرَتْ ... بِزقِّ خَمْرٍ فَبِئْسَتْ صَفْقَةُ البَادي

باعَتْ سَدَانتها[3] بالخمرِ وانْقرضت ... عن المَقَامِ وضلّ البيت والنّادي

ثم جاءت خزاعة فغالبوا قصياً فغلبهم.

ومنهم «شيخ مهو»، وهي قبيلة من عبد القيس[4] واسمه عبد الله بن بيدرة،

---

(١) خزاعة: اسم للقبيلة المعروفة.

(٢) قصي بن كلاب: سيّد قريش في عصره ورئيسهم. قيل: هو أول من كان له ملك من بني كنانة، وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. مات أبوه وهو طفل، فتزوّجت أمّه برجل من بني عذرة، فانتقل بها إلى أطراف الشام فشبّ في حجره وسمي «قصياً» لبعده عن دار قومه. وأكثر المؤرخين على أن اسمه «زيد» أو«يزيد»، ولما كبر عاد إلى الحجاز. (راجع الأعلام ٥: ١٩٨، وطبقات ابن سعد ١/ ٣٦).

(٣) سدانة الكعبة خدمتها.

(٤) عبد القيس: هو عبد القيس بن أفصى بن دعميّ، من أسد ربيعة، من عدنان: جدّ جاهلي، النسبة إليه عبديّ، وقيسي، وعبد قيسي، وعبد قيسيّ. كانت ديار بنيه بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين واستقرّوا بها، وهم بطون كثيرة وظهر فيهم مشاهير. (راجع الأعلام ٤: ٤٩، وجمهرة الأنساب ٢٧٨، ونهاية الأدب: ٢٧٥).

وكانت إياد[1] تعير بالفسو، فقام رجل منهم بعكاظ[2] ومعه بُردا حبرة[3]، فنادى: ألا إنني من إياد، فمن يشتري مني عار الفسو ببرديَّ هذين؟ فقام عبد الله بن بيدرة فقال: أنا، واتَّزَر بأحدهما وارتدى الآخر، وأشهد الأيدي عليه أهل القبائل، وانصرف عبد الله إلى قومه فقال: جئتكم بعار الأبد، فلزم العار بذلك عبد القيس.

ومنهم «عجل بن لجيم» بن مصعب بن علي بن بكر بن وائل. من حمقه أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ فقام إليه ففقأ إحدى عينيه وقال: سميته الأعور.

قال العنزي:

رَمَتْني بَنُو عجلٍ بداءِ أبيهم ... وأيُّ امرئٍ في النّاس أحْمَقُ من عِجل

ألبَس أبوهم عارَ عين جَوَاده ... فصارتْ به الأمثالُ تُضْرَبُ بالجَهْلِ

ومنهم «حمزة بن بيض»[4]. عن أبي طالب عمر بن إبراهيم أنه قال: دعا حمزة بن بيض حجاماً، وكان الحجام ثقيلاً كثير الكلام، فلما أرهف المشاريط قال له: الساعة توجعني، قال: لا، قال: فانصرف اليوم، قال: انصرف وعُد إليَّ غداً، قال: لست تدري ما يحدث إلى غد والمشاريط حادة وإنما هي لحظة، قال: إن كان كما تقول فاعطني فردة بيضة من خصيتيك تكون في يدي رهينة، إن أوجعتني

---

(١) إياد: نسبة إلى إياد بن نزار بن معد، جدّ جاهلي. كانت ديارهم في الجاهلية جهات الحرم وما بين تهامة وحدود نجران.

(٢) عكاظ: نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يُقال له الأُثيداء، وبه كانت أيام الفجار. وقال الواقدي: عكاظ بين نخلة والطائف وذو المجاز خلف عرفة ومجنّة بمرّ الظهران، وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيه أعظم من عكاظ. (راجع معجم البلدان ٤: ١٤٢).

(٣) الحبرة: الكسوة.

(٤) حمزة بن بيض: شاعر، مجيد، سائر القول، كثير المجون، من أهل الكوفة. كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى بلال بن أبي بردة، وحصلت له أقوال كثيرة. وأخباره مع عبد الملك بن مروان وغيره كلّها طرف. (راجع فوات الوفيات ١: ١٤٧، والأعلام ٢: ٢٧٧).

أوجعتك، فقام الحجام وقال: أرى أن تدع الحجامة في هذا العام، وانصرف.

عن محمد بن العلاء الكاتب أنه قال: قال حمزة بن بيض لغلام لـه: أيّ يوم صلّينا الجمعة في الرصافة؟ ففكّر الغلام ساعة ثم قال: يوم الثلاثاء.

وقيل لحمزة بن بيض: كم تشرب من النبيذ؟ قال: أكثر من رطلين[1] شيء.

ومنهم «أبو أسيد». عن محمد بن رجاء قال: قال أبو أسيد وحدَّث بحديث: كان ذلك في خلافة المهدي[2] قبل موت المنصور، وقال: مرَّ عليَّ أبي أسيد بعيران، فقال قوم كانوا حوله: ما أفرههما؟ فقال أبو أسيد: أحدهما أفره من الآخر، قالوا: أيهما أفره؟ قال: القدامي أفره من الأول.

وعن محمد بن عبد المطلب قال: قال أبو أسيد ونظر إلى رجل نائم: قم، فكم تنام كأنك بعير ناد.

وقيل لأبي أسيد: حدَّثنا عن ابن عمر، فقال: كان يحف[3] شاربه حتى يبدو بياض إبطيه.

ومنهم «جحا»[4]، ويكنّى أبا الغصن، وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء، إلاَّ أنَّ الغالب عليه التغفيل، وقد قيل: إن بعض مَن كان يعاديه وضع له حكايات، والله أعلم.

عن مكي بن إبراهيم[5] أنه يقول: رأيت جحا رجلاً كَيِّساً ظريفاً، وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه، وكان له جيران مخنَّثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه.

---

(١) الرطل: كان في ما مضى يقرب من الأوقيتين.

(٢) وُلِّيَ المهدي الخلافة بعد وفاة أبيه، وبعهد منه سنة ١٥٨هـ، وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً. وتوفي سنة ١٦٩هـ.

(٣) حفّ شاربه: أزال الشعر عنه.

(٤) جحا: الرجل الأسطوري المعروف.

(٥) مكي بن إبراهيم البلخي: آخر من روى من الثقات عن يزيد بن أبي عبيد. توفي سنة ٢١٥هـ.

وعن أبي بكر الكلبي أنه قال: خرجت من البصرة، فلمّا قَدِمْت الكوفة، إذا أنا بشيخ جالس في الشمس، فقلت: يا شيخ، أين منزل الحكم؟ فقال لي: وراءك، فرجعت إلى خلفي، فقال: يا سبحان الله! أقول لك وراءك وترجع إلى خلفك.

أخبرني عكرمة[1]، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[1]، قال: بين أيديهم، فقلت: أبو من؟ قال: أبو الغصن، فقلت: الاسم؟ قال: جحا. وقد رُويت لنا هذه الحكاية على غير هذه الصفة.

وعن عباد بن صهيب قال: قَدِمْت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن أبي خالد، فمررت بشيخ جالس، فقلت: يا شيخ، كيف أمرّ إلى منزل إسماعيل بن أبي خالد؟ فقال: إلى ورائك، فقلت: أرجع؟ فقال: أقول لك وراءك وترجع! فقلت: أليس ورائي خلفي؟ قال: لا.

ثم قال: حدَّثني عكرمة عن ابن عباس (وكان وراءهم)، أي بين أيديهم، قال: قلت: بالله من أنت يا شيخ؟ قال: أنا جحا.

قال المصنف: وجمهور ما يروي عن جحا، تغفيل نذكره كما سمعناه.

عن أبي الحسن: قال رجل لجحا: سمعت من داركم صراخاً، قال: سقط قميصي من فوق، قال: وإذا سقط من فوق؟ قال: يا أحمق لو كنت فيه أليس كنت قد وقعت معه؟

---

(١) عكرمة: هو كرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس. تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل منهم أكثر من سبعين تابعياً. وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي الصفرية وعاد إلى المدينة فطلبه أميرها فتغيب عنه حتى مات. كانت وفاته بالمدينة هو وكثيّر عزّة في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. (راجع الأعلام ٤: ٢٤٤، وتهذيب التهذيب ٧: ٢٦٣، وابن خلّكان ١: ٣١٩).

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٩.

وحكى أبو منصور الثعالبي[1] في كتاب «غرر النوادر»، قال: تأذَّى أبو الغصن جحا بالريح مرة، فقال يخاطبها: ليس يعرفك إلّا سليمان بن داوود الذي حبسكِ حتى أكلتِ خراك.

وخرج يوماً من الحمّام في يوم بارد، فضربته الريح فمسَّ خصيتيه، فإذا إحدى بيضتيه قد تقلَّصت، فرجع إلى الحمّام وجعل يفتش الناس، فقالوا: ما لك؟ فقال: قد سُرقت إحدى بيضتيَّ. ثم إنه دفيء وحمي، فرجعت البيضة، فلمّا وجدها سجد شكراً لله وقال: كل شيء لا تأخذه اليد لا يُفقد.

ومات جار له، فأرسل إلى الحفار ليحفر له، فجرى بينهما لجاج[2] في أجرة الحفر، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها، فسُئل عنها، فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير.

وحكي: أن جحا تبخَّر يوماً فاحترقت ثيابه، فغضب وقال: والله لا تبخَّرتُ إلّا عرياناً.

وهبّت يوماً ريح شديدة، فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون، فصاح جحا: يا قوم، لا تعجِّلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن.

وذكر أنه اجتمع على باب دار أبي جحا تراب كثير من هدم وغيره، فقال أبوه: الآن يُلزمني الجيران برمي هذا التراب وأحتاج إلى مؤنة وما هو بالذي يصلح لضرب اللَّبن فما أدري ما أعمل به، فقال له جحا: إذا ذهب عنك هذا المقدار فليت شعري أي شيء تحسن، فقال أبوه: فعلِّمنا أنت ما تصنع به، فقال: يحفر له آبار ونكبسه فيها.

---

(١) الثعالبي: هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور، من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور. كان فراءً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ وصنّف الكتب الكثيرة. توفي سنة ٤٢٩هـ. (راجع الأعلام ٤: ١٦٣، ومعاهد التنصيص ٣: ٢٦٦).

(٢) لجاج: جدل.

واشترى يوماً دقيقاً وحمله على حمّال فهرب بالدقيق، فلمّا كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه، فقيل له: ما لك تفعل كذا؟ فقال: أخاف أن يطلب مني كِرَاه[1].

ووجّهه أبوه ليشتري رأساً مشوياً، فاشتراه وجلس في الطريق، فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه، وحمل باقيه إلى أبيه، فقال: ويحك، ما هذا؟ فقال: هو الرأس الذي طلبته. قال: فأين عيناه؟ قال: كان أعمى. قال: فأين أذناه؟ قال: كان أصم. قال: فأين لسانه؟ قال: كان أخرس. قال: فأين دماغه؟ قال: فكان أقرع. قال: ويحك، ردّه وخذ بدله. قال: باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب.

وحكي: أن جحا دفن دراهم في صحراء وجعل علامتها سحابة تظللها.

ومات أبوه، فقيل له: إذهب واشترِ الكفن، فقال: أخاف أن أشتري الكفن فتفوتني الصلاة عليه.

وحكي: أن المهدي أحضره ليمزح معه، فدعا بالنطع[2] والسيف، فلمّا أقعد في النطع، قال للسيّاف[3]: انظر، لا تصب محاجمي فإني قد احتجمت.

ورأوه يوماً في السوق يعدو، فقالوا: ما شأنك؟ قال: هل مرّت بكم جارية رجل مخضوب اللحية؟

واجتاز يوماً بباب الجامع، فقال: ما هذا؟ فقيل: مسجد الجامع، فقال: رحم الله جامعاً، ما أحسن ما بنى مسجده.

ومرّ بقوم وفي كمه خوخ، فقال: مَن أخبرني بما في كمي فله أكبر خوخة. فقالوا: خوخ، فقال: ما قال لكم هذا إلّا من أمّه زانية.

وسمع قائلاً يقول: ما أحسن القمر، فقال: أي والله خاصة في الليل.

وقال له رجل: أتحسن الحساب بإصبعك؟ قال: نعم، قال: خذ جريبين[4]

---

(١) كراه: أُجرته.

(٢) النطع: بساط من جلد يوضع تحت المحكوم عليه بالموت.

(٣) السيّاف: الذي يضرب بالسّيف.

(٤) الجريب: مكيال بمقدار معلوم. (راجع اللسان: مادة جرب).

حنطة، فعقد الخنصر والبنصر، فقال له: خذ جريبين شعيراً، فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى، فقال الرجل: لِمَ أقمت الوسطى؟ قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير.

ومرَّ يوماً بصبيان يلعبون ببازي[1] ميت، فاشتراه منهم بدرهم وحمله إلى البيت، فقالت أمه: ويحك، ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها: اسكتي، فلو كان حياً ما طمعت في شرائه بمائة درهم.

وخرج أبوه مرة إلى مكة، فقال له عند وداعه: بالله لا تطل غُيبتك، واجتهد أن تكون عندنا في العيد لأجل الأضحية.

ومنهم «مزبد»[2]. قال أبو زيد: قيل لمزبد: إن فلاناً الحفار قد مات، فقال: أبعده الله، من حفر حفرة سوء وقع فيها.

وقال مزبد لرجل: أيسرّك أن تُعطى ألف درهم وتسقط من فوق البيت؟ قال: لا، قال مزبد: وددت أنها لي وأسقط من فوق الثريا، فقال له الرجل: ويلك فإذا سقطت متّ، قال: وما يدريك! لعلي سقطت في التبانين أو على فرش زبيدة[3].

وقيل له: أيسرّك أن تكون هذه الجبة لك؟ قال: نعم وأُضرب عشرين سوطاً، قالوا: ولِمَ تقول هذا؟ قال: لأنه لا يكون شيء إلاَّ بشيء.

ومنهم «أزهر الحمار». كان جالساً بين يدي الأمير عمرو بن الليث يوماً يأكل بطيخاً، فقال له عمرو: كيف طعمه يا أزهر أحلو هو؟ قال: ما أكلت (الخرا) قط؟

وقدم على الأمير عمرو رسول من عند السلطان، فأحضر مائدته، فقال

---

(١) البازي: اسم طائر معروف.

(٢) مزبد: هو أبو إسحاق المدني. (راجع فوات والوفيات للكتبي).

(٣) زبيدة: هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية، أم جعفر، زوجة هارون الرشيد وبنت عمه، وهي أم الأمين والمأمون. اسمها أمة العزيز وغلب عليها لقبها زبيدة. وإليها تنسب عين زبيدة في مكة. توفيت سنة ٢١٦هـ. (راجع الأعلام ٣:٤٢، ووفيات الأعيان ١:١٨٩).

لأزهر: جملنا بسكوتك اليوم، فسكت طويلاً ثم لم يصبر، فقال: بنيت في القرية برجاً ارتفاعه ألف خطوة، فأومأ إليه حاجبه أن اسكت، فقال له الرسول: في عرض كم؟ قال: في عرض خطوة، فقال له الرسول: ما كان ارتفاعه ألف خطوة لا يكفي عرضه خطوة! قال: أردت أن أزيد فيه فمنعني هذا الواقف.

وقدم رسول آخر فقيل لأزهر: لا تتكلّم اليوم وتجمَّل لهذا الرسول، فسكت ساعة، فعطس الرسول، فأراد أزهر أن يشمته، فيقول يرحمك الله، فقال: صبَّحك الله، فقال الأمير: أليس قد قدمت إليك أن لا تتكلم! فقال: أردت أن لا يرجع الرسول إلى بغداد فيقول: إن هؤلاء لا يعرفون العربية.

وقال له الطبيب: خذ رمانتين فاعصرهما بشحمهما وتشرب ماءهما، فعمد إلى رمانتين وقطعة شحم ودقّهما في موضع واحد وعصرهما وأخذ ماءهما فشربه.

ومنهم «أبو محمد جامع الصيدلاني». قال علي بن معاذ: كتبت إلى جامع الصيدلاني كتاباً، فكتب جوابه وجعل عنوانه، إلى الذي كتب إليَّ.

وجاء إليه قوم في أمر حائط فقالوا: يا أبا محمد، منذ كم تعرف هذا الحائط؟ فقال: أعرفه منذ كان وهو صغير لفلان.

وقيل له يوماً: كم سنة تعد؟ فقال: إحدى وسبعين سنة، قيل له: فمن تذكر من ولد العباس؟ قال: أيتاخ[1].

وركب زورقاً فأعطى الملاح قطعة فاستزاده، فقال: مسخني الله ذو أربع قوائم مثلك إن زدتك شيئاً.

ومضى إلى السوق ليشتري لابنه نعلاً، فقيل له: كم سنّه؟ فقال: ما أدري ولكنه ولد أول ما جاء العنب الداراني[2]، ومحمد ابني، استودعه الله، أكبر منه بشهرين ونصف سنة.

---

(١) ايتاخ: قائد تركي، سجنه المتوكّل فمات عطشاً سنة ٢٣٥هـ.

(٢) داراني: نسبة إلى داريّا، وهي قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. (راجع معجم البلدان: ٢/٤٣١).

وكانت له بنت، فقيل له: كم سنّها؟ فقال: ما أدري إلاَّ أنها وُلدت أيام البراغيث.

وانبثق كنيف لجامع الصيدلاني، فقال لغلامه: بادر واحضر من يصلحه حتى نتغذى به قبل أن يتعشى بنا.

وحج ابنه في بعض السنين، فقال له: يا بني أنت تعلم أنني لا أصبر عنك، فاجهد نفسك أن لا تضحي إلاَّ عندنا، فإنك تعلم أن أمك لا تأكل شيئاً في العيد حتى تجيء من الصلاة.

ومنهم «أبو عبد الجصاص». حُكي عنه أنه كان يوماً أكل مع الوزير، فلمّا فرغ من الأكل قال: الحمد لله الذي لا يحلف بأعظم منه.

ونظر يوماً في المصحف وجعل يقول: رخيص والله، وهذا من فضل ربي، آكل وأتمتع بدرهم، وإذا في المصحف: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾[1]، فصحف (ذرهم) فظن أنه درهم.

ودخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير الخاقاني[2] وفي يده بطيخة كافور، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة، فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة، فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحيّر وقال: والله العظيم لقد أخطأت وغلطت وأردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة، فقال له الوزير: كذلك فعلت يا جاهل. فغلط في الفعل وأخطأ في الاعتذار.

ونظر يوماً في المرآة، فقال: اللهم بيِّض وجوهنا يوم تبيض وجوه، وسوِّدها يوم تسود وجوه.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٣.

(٢) ابن الفرات: هو علي بن محمد بن موسى، أبو الحسن، وزير من الدهاة الفصحاء الأدباء الأجواد. وهو ممهّد الدولة للمقتدر العباسي. وُلد في النهروان الأعلى بين بغداد وواسط، واتّصل بالمعتضد بالله، فولّاه ديوان السواد ثم بلغ رتبة الوزارة في أيام المقتدر فتولّاها ثلاث مرات. قتل سنة ٣١٢هـ. (راجع الأعلام ٤: ٣٢٤، والوزراء للصابي).

وقال يوماً: أشتهي بغلة مثل بغلة النبـي ﷺ حتى أسمّيها دُلْدُل[1].

وقال يوماً: خريت على يـدي، فلو غسلتها ألف مـرة لَمْ تنظف حتى أغسلهـا مرتين.

ونظر يوماً في المرآة فقال لإنسان عنده: ترى لحيتي طالت؟ فقال لـه: المرآة في يدك، فقال: صدقت، ولكن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب.

وكسـر يومـاً لوزاً فـطارت لوزة، فقـال: لا إلَـه إلاَّ الله، كـل شيء يهـرب من الموت حتى البهائم.

وأهدى إلى العباس بن الأحنف الوزير نبقاً[2] وكتب إليه: «تفيَّلت[3] أن تبقى فأهديتك النبقا»، فكتب في جوابه: «ما تفيَّلت[4] يا أبا عبد الله ولكن تبقَّرت»[4].

وكان ابن الجصاص يسبح كل يوم فيقول: نعـوذ بالله من نعمـه، ونتوب إليـه من إحسـانـه، ونستقيله من عـافيتـه، ونسـألـه عـوائق الأمـور، حسبـي الله وأنبيـاؤه والملائكة الكرام.

ومن دعـائه: اللهمَّ أدخلنـا في بـركـة القصـور على قبـورهم والبيـع والثغـور والكنائس، سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله.

---

(١) دُلْـدُل: بغلة كانت للنبي ﷺ وهي أول بغلة رُكبت في الإسـلام، أهداهـا المقوقس حـاكم مصـر وأهدى معهـا حماراً يُقـال لـه عفيـر، وكـانت قـد بقيت حتى زمـان معـاوية. وكـان للنبـي ﷺ بغلة أخرى اسمها فِضّة فوهبها لأبـي بكر الصديق.
وقـال معمر بن راشـد عن الزهـري: قال: دُلْـدُل أهداهـا فروة بن عمـرو الجذامي وحضـر رسـول الله ﷺ عليهـا القتـال يـوم حنين. (راجـع تـركـة النبـي ﷺ لحمـاد بن إسحــاق بن إسماعيل ص ٩٩ ــ ١٠٠).

(٢) النبق: هو ثمر السدر.

(٣) تفيّلت: أراد تفاءلت.

(٤) ما تفيّلت: هنا بمعنى ما أصبحت فيلاً.

(٥) تبقّرت: أصبحت بقرة.

وأتاه غلامه يوماً بفرخ وقال: انظروا إلى هذا الفرخ ما أشبهه بأمه، ثم قال: أمه ذكر أم أُنثى؟

واعتلَّ مرة فقيل له: كيف تجدك؟ فقال: الدنيا كلها محمومة.

وذكر محمد بن أحمد الترمذي[1] قال: كنت عند الزجّاج[2] أعزيه بأمه وعنده الخلق من الرؤساء والكتّاب، إذ أقبل ابن الجصاص، فدخل ضاحكاً وهو يقول: الحمد لله قد سرَّني والله يا أبا إسحاق، فدهش الزجاج ومَن حضر، وقيل له: يا هذا، كيف سرَّك ما غمّه وغمّنا؟ فقال: ويحك، بلغني أنه هو الذي مات، فلمّا صحَّ عندي أنها هي التي ماتت سرَّني ذلك، فضحك الناس جميعاً.

وكتب ابن الجصاص إلى وكيل له يحمل إليه مائة منٍّ[3] فحملها، فلما حلجها[4] خرج منها ربع الوزن، فكتب إلى الوكيل: لم يحصل من هذا القطن إلاَّ خمسة وعشرون مناً، فلا تزرع بعد هذا إلاَّ قطناً محلوجاً وشيئاً من الصوف أيضاً.

ودخل يوماً بستاناً فثار به المرار[5]، فطلب بصلاً بخل ليطفىء المرار، ولم يكن عند البستاني، فقال له: لِمَ لَمْ تزرع لنا بصلاً بخل.

وكان يوماً خلف الإمام، فقال الإمام: ولا الضالين، فقال ابن الجصاص: أي لعمري.

وكان إذا سبح يقول: حسبي الله وحدي.

---

(١) الترمذي: هو محمد بن أحمد بن جعفر، أو جعفر الترمذي، الفقيه الشافعي المشهور. توفي سنة ٢٩٥هـ.

(٢) الزجّاج: هو إبراهيم بن السَرّيّ بن سهل، أبو إسحاق، عالِم بالنحو واللغة. وُلد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو، فعلّمه المبرّد. كانت له مناقشات مع ثعلب وغيره. توفي سنة ٣١١هـ. (راجع الأعلام ١: ٤٠، ومعجم الأدباء ١: ٤٧).

(٣) المنّ: الكيل، وهو شرعاً ١٨٠ مثقالاً.

(٤) حلج القطن: ندفه حتى خلص الحب منه.

(٥) المرار: نوع من النبات الشديد المرارة.

وقال يوماً: كان الفأر يؤذينا في سقوفنا، فوصف لي إنسان دواء فما سمعت لهم حسوه، وأراد حساً.

وذكر يوماً ثلاثة أصناف من الثياب، ثم قال: إذا لبست واحداً من هؤلاء فما أبالي بغيرها.

وقال يوماً: كان الهواء البارحة بارداً، إلّا أني لم أجده.

وقدمت له هريسة[1] من نعامة، فاستطابها فقال: كيف لو أكلتها بقرية؟ أراد سكباجاً[2].

ومرض فقيل له: لعلك تناولت شيئاً ضاراً؟ فقال: لا والله ما أكلت إلّا مزورة بفرخ فروج.

وذكر بين يديه رجل فقال: أخبرتني أمه أنه ولد أبوه وله ثمانون سنة.

وقدمت إليه اسفيداجة، فقال لمن حوله: كلوا، فهذه أم القرى.

وقال يوماً: قمت البارحة إلى المستراح وقد انطفأ القنديل، فما زلت أتلمظ[3] المقعدة حتى وجدتها.

ودخل يوماً على مريض فجلس عنده، فشكا إليه الكتف فقال: والله ما أغفل من وجع كتفي هذين، وضرب يديه على ركبتيه.

وقد نقل عن ابن الجصاص ما يدل على أنه كان يقصد التطابع لا إنه كان بهذه المثابة.

---

(١) الهريسة: نوع من الأكل يستعمل فيه القمح المدقوق ويُخلط باللحم.

(٢) السكباج: مرق يعمل من اللّحم والخلّ.

(٣) تلمظ: مدّ لسانه ولحس شفاهه.

عن علي بن أبي علي التنوخي[1]، عن أبيه[2]، قال: اجتمعت ببغداد سنة وست وخمسين وثلاثمائة مع أبي علي بن أبي عبد الله بن الجصاص، فرأيته شيخاً حسناً طيب المحاضرة، فسألته عن الحكايات التي تنسب إلى أبيه، مثل قوله خلف الإمام حين قرأنا (ولا الضالين)، فقال: أي لعمري، بدلاً عن آمين؛ ومثل قوله أراد أن يقبل رأس الوزير فقيل له: أفيه ذهب؟ فقال: لو كان في رأس الوزير خراً لقبّلته؛ ومثل قوله وقد وصف مصحفاً بالعتق فقال: كسروي! فقال: أما أي لعمري ونحو هذا فكذب، وما كان فيه سلامة تخرجه إلى هذا وما كان إلّا من أدهى الناس، ولكنه يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما يحكى عنه لسلامة طبع كان فيه، ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء فيسلّم عليهم.

وأنا أحدثك عنه حديثاً حدثنا به تعلم معه أنه كان في غاية الحزم، فإنه حدثني فقال: إن أبا الحسن بن الفرات لمّا وُلّي الوزارة قصدني قصداً قبيحاً، فأنفذ العمال إلى ضياعي وأمر بقبض معاملاتي وبسط لساني بثلبي[3] وتنقّصني في مجلسه، فدخلت يوماً داره فسمعت حاجبه يقول وقد وليت: أي بيت مال يمشي على وجه الأرض ليس له من يأخذه؟ فقلت: إن هذا كلام صاحبه وإني مسلوب، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عيناً وجواهر، سوى ما يحتويه علي ملكي. فسهرت ليلتي أفكر في أمري معه، فوقع لي الرأي في الثلث الأخير، فركبت إلى داره في الحال فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها، فقال البوابون: من هذا؟ قلت: ابن الجصاص، فقالوا: ليس هذا وقت وصول، والوزير نائم. فقلت:

---

(١) التنوخي: هو علي بن المحسن بن علي التنوخي، أبو القاسم، قاضٍ من علماء المعتزلة تقلّد القضاء في عدة نواحٍ، منها المدائن وأذربيجان وقرميسين. وكان ظريفاً نبيلاً جيّد النادرة، وهو حفيد القاضي التنوخي الكبير. توفي سنة ٤٤٧هـ. (راجع الأعلام ٤ :٣٢٣، وفوات الوفيات ٢ :٦٨).

(٢) مات والده سنة ٣٨٤هـ. وهو شاعر وأديب وقاض.

(٣) ثلبة: تنقصه وأظهر سيئاته.

عرفوا الحجاب إني حضرت في مهم، فعرفوهم فخرج إليَّ أحدهم. فقال: إنه إلى ساعة ينتبه فيجلس. فقلت: الأمر أهم من ذلك. فنبهه وعرفه عني، فدخل وأبطأ ساعة، ثم خرج وأدخلني إلى دار حتى انتهيت إلى مرقده، وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشاً وغلمان، كأنهم حفظة وهو مرتاع قد ظن أن حادثة حدثت وأني جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما أورده.

فقام فرفعني وقال: ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ هل حدثت حادثة أو معك من الخليفة رسالة؟ قلت: خير، ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئت إلّا في أمر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح المفاوضة فيه إلّا على خلوة، فسكن وقال لمن حوله: انصرفوا. فمضوا وقال: هات، قلت: أيها الوزير إنك قد قصدتني أقبح قصد وشرعت في هلاكي وإزالة نعمتي، وفي إزالتها خروج نفسي وليس عن النفس عوض، ولعمري إني أسأت في خدمتك وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجد عندي، وقد اجتهدت في إصلاحك بكل ما قدرت عليه، وأبيت إلّا الإقامة على إيذائي، وليس شيء أضعف في الدنيا من السنور[1]، وإذا عوينت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزها إلى زاوية ليخنقها وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه ومزقت ثيابه وطلبت الحياة بكل ما يمكنها، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ولست أضعف من السنور بطشاً، وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيِّناً فإن نزلت تحت حكمي في الصلح وإلّا فعليَّ وعلى، وحلفت أيماناً مغلظة لأقصدنَّ الخليفة الساعة ولأحولنَّ إليه من خزائني ألفي ألف دينار عيناً وورقاً ولا أصبح إلّا وهي عنده، وأنت تعلم قدرتي عليها، وأقول خذ هذا المال وسلِّم ابن الفرات إلى فلان واستوزره، وأذكر له أقرب ما يقع في نفسي أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن، ولا أعتمد إلّا على بعض كتّابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً، فيسلمك في الحال ويراني المتقلد بعين من أخذه وهو صغير فجعله وزيراً وغرم عليه هذا المال الكثير فيخدمني ويتدبَّر برأيي وأسلمك إليه

(١) السنّور: الهرّ.

فيفرغ عليك العذاب حتى يأخذ ألفي ألف الدينار منك بأسرها، وأنت تعلم أن حالك تفي بهذا ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال إليَّ ولا يذهب مني شيء، وأكون قد أهلكت عدوي، وشفيت غيظي، واسترجعت مالي، وصفت نعمتي، وزاد محلي بصرفي وزيراً وتقليدي وزيراً.

فلمّا سمع هذا الكلام سقط في يده[1] وقال: يا عدو الله أو تستحل هذا؟ قلت: لست عدو الله، بل عدو الله من استحل مني هذا الذي أخرجني إلى الفكر في مثل هذا، ولِمَ لا أستحل مكروه من أراد هلاكي وزوال نعمتي؟ فقال: أو إيش؟ فقلت: أو تحلف الساعة بما استحلفك به من الأيمان المغلظة أنك تكون لي لا عليَّ في صغير أمري وكبيره، ولا تنقص لي رسماً، ولا تغير لي معاملة، ولا تدسس عليَّ المكاره، ولا تشر لي في سوء أبداً ظاهراً ولا باطناً.

فقال: وتحلف أنت أيضاً لي بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة والمؤزارة؟ فقلت: أفعل، فقال: لعنك الله فما أنت إلّا إبليس، والله لقد سحرتني، واستدعى دواة وعملنا نسخة يمين فأحلفته أولاً بها ثم حلفت له، فلما أردت القيام قال: يا أبا عبد الله لقد عظمت في نفسي وخففت ثقلاً عني، والله ما كان المقتدر[2] يفرق بين كفاءتي وبين أخس كتابي مع المال الحاضر، فليكن ما جرى مطوياً. فقلت: سبحان الله. فقال: إذا كان غداً فصر إلى المجلس لترَ ما أعاملك به، فنهضت، فقال: يا غلمان بأسركم بين يدي أبي عبد الله، فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت إلى داري.

ولمّا طلع الفجر واسترحت جئته في المجلس فعرفني الذين كانوا بحضرته

---

(١) سقط في يده: تحيّر وندم واضطرب.

(٢) المقتدر: هو جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق، خليفة عباسي. بويع الخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي سنة ٢٩٥هـ، فاستصغره الناس فخلعوه سنة ٢٩٦هـ، ونصبوا عبد الله بن المعتزّ، ثم قتلوا ابن المعتزّ وأُعيد المقتدر بعد يومين فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن. توفي سنة ٣٢٠هـ. (راجع الأعلام ٢:١٢١، وابن الأثير ٨:٣، والنجوم الزاهرة ٣:٢٣٣).

وعرفهم ما جرى من التفريط التام، وعاملني بما شاهده الحاضرون، وأمر بإنشاء الكتب إلى عمال النواحي بإعزازي وإعزاز وكلائي وعمالي، وصيانة أسبابي وضياعي، فشكرت الله وقمت. فقال: يا غلمان بين يديه فخرج الحجاب يجردون سيوفهم بين يدي والناس يعجبون، ولم يعلم أحد سبب ذلك فما حدثت بذلك إلاّ بعد القبض عليه. قال لي أبو علي: هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات؟ قلت: لا.

وقد حكى التنوخي أن ابن الجصاص صودر في أيام المقتدر فارتفعت مصادراته سوى ما بقي له من الظاهر، وكانت ستة آلاف ألف دينار.

قال التنوخي: وحدثني أبومحمد عبد الله بن أحمد بن مكرم، قال: حدثني بعض شيوخنا، قال: كنا بحضرة أبي عمرو القاضي فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته، فقال أبو عمرو: معاذ الله ما هو كما يقال عنه، ولقد كنت عنده منذ أيام وفي صحن داره سرادق مضروب، فجلسنا بالقرب منه نتحدث، فإذا بصرير نعل من خلف السرادق، فقال: يا غلام جئني بصاحب النعل، فأخرجت إليه جارية سوداء، فقال: ما كنت تصنعين ها هنا؟ قالت: جئت إلى الخادم أعرفه إني فرغت من الطبيخ وأستأذن في تقديمه، فقال: انصرفي لشأنك، فعلمت أنه أراد يعرفني بذلك الوطء جارية مبتذله وأنها ليست من حرمه، فهل يكون هذا من التغفيل؟

عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، قال: حدثني أبو القاسم الجهني قال: كنت بحضرة أبي الحسن ابن الفرات وابن الجصاص حاضر، فذكروا ما يعتقده[1] الناس لأولادهم، فقال ابن الفرات: ما أجلّ ما يعتقده الناس لأعقابهم؟ فقال من حضر: الضياع، وقال بعضهم: العقار، وقال بعضهم: العقار الصامت، وقال بعضهم: الجوهر الخفيف الثمين. فإن بني أمية سُئلوا: أي الأموال كانت أنفع لكم في نكبتكم؟ فقالوا: الجوهر الخفيف المثمن، كنا نبيعه فلا نطالب بمعرفته والواحدة منه أخف من ثمنها، وابن الجصاص ساكت، فقال له

(١) ما يعتقده الناس: أي ما يقتنونه لأولادهم من الضياع والمال وغيره.

ابن الفرات: ما تقول أنت يا أبا عبد الله؟ فقال: أجل، ما يعتقده الناس لأولادهم الضياع والإخوان، فإنهم إن اعتقدوا لهم ضياعاً أو عقاراً أو صامتاً من غير إخوان ضاع ذلك وتمحق.

وأحدث الوزير بحديث جرى منذ مديدة يعلم منه صِدق قولي، فقال له ابن لفرات: ما هو؟ فقال: الناس يعرفون أن أبا الحسن كان رجلاً مشتهراً بالجوهر يعتقده لنفسه وأولاده وجواريه، فكنت جالساً يوماً في داري فجاءني بوابي فقال: امرأة تستأذن، فأذنت لها، فدخلت فقالت لي: تخلي لي مجلسك؟ فأخليته، فقالت لي: أنا فلانة جارية أبي الحسن، فعرفتها وبكيت لما شاهدتها عليه ودعوت غلماني ليحضروا لي شيئاً أغيِّر به حالها، فقالت: لا تدع أحداً فإني لم أظنك دعوتهم لتغير حالي وأنا في غنية وكفاية ولم أقصدك لذلك، ولكن الحاجة هي أهم من هذا، فقلت: ما هي؟ فقالت: تعلم أن أبا الحسن لم يكن يعتقد لنا إلّا الجوهر، فلما جرى وتشتتنا وزال عنا ما كنا فيه، كان عندي جوهر قد سلمه إلي ووهبه لي ولابنته مني فلانة وهي معي ها هنا، فخشيت أن أظهر بمصر فيؤخذ مني، فتجهزت للخروج وخرجت مستخفية وابنتي معي فسلم الله تعالى ووصلنا هذا البلد وجميع مالنا سالم، فأخرجت من الجوهر شيئاً قيمته خمسة آلاف دينار وسرت به إلى السوق فبلغ ألفي دينار، فقلت: هاتوا، فلما أحضروا المال قالوا: أين صاحب المتاع؟ قلت: أنا هي، قالوا: ليس محلك أن يكون هذا لك وأنتِ لصة، فعلقوا بي ليحملوني إلى صاحب الشرطة، فخشيت أن أقع فأعرف، فيؤخذ الجوهر وأطالب أنا بمال، فرشوت القوم دنانير كانت معي وتركت الجوهر عليهم وأقبلت، فما نمت ليلتي غماً مما جرى عليَّ من خشية الفقر، لأن مالي هذا سبيله، فأنا غنية فقيرة فلم أدرِ ما أفعل، فذكرت ما بيننا وبينك، فجئتك. والذي أريد منك جاهك وبذله لي حتى تخلص لي حقي وما أخذ مني وتبيع الباقي وتخلص لي ثمنه وتشتري لي ولابنتي به عقاراً نقتات من غلته.

قال: فقلت: من أخذ منك الجوهر؟ قالت: فلان، فأنفذت إليه، فاستخليت به وقلت: هذه امرأة من داري وإنما أنفذت المتاع لأعرف قيمته ولئلا يراني الناس

أبيع شيئاً بدون قيمته، فلم تعرضتم لها؟ فقالوا: ما علمنا ذلك، ورسمنا كما تعلم لا نبيع شيئاً إلّا بمعرفة، ولما طالبناها بذلك اضطربت فخشينا أن تكون لصة، فقلت له: أريد الجوهر الساعة، فجاء به، فلما رأيته عرفته، وكنت أنا اشتريته لأبي الحسن بخمسة آلاف دينار، فأخذته منه وصرفته، وأقامت المرأة في داري وتلطفت لها في بيع الجوهر بأوفى ثمن، فخصها منه أكثر من خمسة آلاف دينار فابتعت لها بذلك ضياعاً ومسكناً فهي تعيش في ذلك وولدها إلى الآن. فنظرت فإذا الجوهر لما كان معها بلا صديق حجر، بل كان سبباً لمكروه، ولمّا وجدت صديقاً يعينها حصل لها منه هذا المال الجليل فالصديق أفضل من العقد، فقال ابن الفرات: أجدت يا أبا عبد الله.

(فصل)

فأما النساء المنسوبات إلى التغفيل، فمنهن التي نقضت غزلها، قال مقاتل بن سليمان[1]: هي امرأة من قريش تسمى «ريطة» بنت عمرو بن كعب، كانت إذا غزلت نقضته. قال ابن السائب[2]: اسمها رايطة، وقال أبو بكر بن الأنباري[3]: اسمها ريطة بنت عمرو المرية ولقبها الجعرا، وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين فعرفوها بصنعتها، ولم يكن لها نظير في فعلها، وكانت متناهية الحمق تغزل من القطن أو الصوف فتحكمه، ثم تأمر خادمها بنقضه، قال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريها ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن.

ومنهن «دغة» بنت مغنج، ومغنج هو ربيعة بن عجل، واسم دغة ماوية ودغة

---

(١) مقاتل بن سليمان: من أعلام المفسّرين. أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة ودخل بغداد محدّث بها. كان متروك الحديث. من كتبه: «متشابه القرآن، والناسخ والمنسوخ، والوجوه والنظائر». توفي سنة ١٥٠هـ. (راجع الأعلام ٧: ٢٨١، والوفيات ٢: ١١٢).

(٢) ابن السائب: هو هشام بن محمد المؤرخ العالِم بالأنساب، المتوفى سنة ٢٠٤هـ. (راجع ترجمته في الأعلام ٨: ٨٧، وابن النديم ١: ٩٥، ووفيات الأعيان ٢: ١٩٥).

(٣) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، المتوفى سنة ٣٢٨هـ. كان أديباً لغوياً. (راجع ترجمته في الأعلام ٦: ٣٣٤، ووفيات الأعيان ١: ٥٠٣).

لقب، وكانت قد تزوجت صغيرة في بني العنبر فحبلت، فلما جاءها المخاض ظنت أنها أحدثت فقالت لضرتها: يا هنتاه، هل يفتح الجعر فاه؟ قالت: نعم ويدعوه أباه، فمضت ضرتها فأخذت الولد، فبنو العنبر تنسب إليها، فسموا بنو الجعر لذلك.

ورأت يافوخ ولدها يضطرب فشقته بسكين وأخرجت دماغه، وقالت: أخرجت هذه المادة من دماغه ليسكن وجعه وذكر عنها أنها كانت حسنة الثغر فولدت غلاماً، وكان أبوه يقبِّله ويقول: وا بأبي دردك[1]، فظنت أن الدردر أعجب إليه، فحطمت أسنانها، فلما قال: وا بأبي دردك، قالت: يا شيخ كلنا ذو دردر، فقال: أعييتني بأشر فكيف بدردر (والأشر: التحزيز في أطراف أسنان الأحداث، والدردر: مغارز الأسنان)، فضرب المثل بحمق دغة.

ومنهن «ريطة» بنت عامر بن نمير، كانت تعلم رأس أولادها بالقزع لتعرف أولادها من أولاد غيرها.

ومنهن الممهورة إحدى خدمتيها[2]، أنبأنا محمد بن عبد الملك قال: حدثنا ابن خلف قال: يقال هو (أحمق من الممهورة إحدى خدمتيها)، وهي امرأة من فزارة.

ومنهن «حذنة» وقد مضى الخلاف في هذا الاسم، وذكرنا في أحد الأقوال إنه اسم امرأة كانت تتمخط بكوعها.

* * *

(١) در درك: سيفسرها بعد قليل.

(٢) الخدمة هنا: فردة الخلخال.

الباب التاسع :

في ذِكْر أخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم أفعال الحمقى وأصرّوا عليها مستصوبين لها، فصاروا بذلك الإصرار حَمقى ومغفلين

فأول القوم «إبليس»، فإنه كان متعبِّداً مؤذناً للملائكة، فظهر منه الحمق والغفلة ما يزيد على كل مغفل، فإنه لمّا رأى آدم مخلوقاً من طين، أضمر في نفسه: لئن فضلت عليه لأهلكنه، ولئن فضل عليَّ لأعصينه، ولو تدبر الأمر لعلم أنه كان الأختيار قد سبق لآدم لم يطق مغالبته بحيلة ولكنه جهل القدر ونسي المقدار، ثم لو وقف على هذه الحالة لكان الأمر يحمل على الحسد ولكنه خرج إلى الاعتراض على المالك بالتخطئة للحكمة، فقال: ﴿أرأيْتَكَ هذَا الّذي كَرَّمت عَليَّ﴾[1]؟ والمعنى لِمَ كَرَّمته، ثم زعم أنه أفضل من آدم بقوله: ﴿خَلَقْتَني مِن نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2].

ومجموع المندرج في كلامه: إني أَحكَم من الحكيم وأَعلَم من العليم، وأن الذي فعله من تقديم آدم ليس بصواب هذا، وهو يعلم أن علمه مستفاد من العالم الأكبر فكأنه يقول: يا من علمني أنا أعلم منك، ويا من قدر تفضيل هذا عليَّ ما فعلت صواباً. فلما أعيته الحيل رضي بإهلاك نفسه، فأوثق عقد إصراره، ثم أخذ يجتهد في إهلاك غيره ويقول: لأغوينهم، وجهله في قوله: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ﴾[3] من وجهين:

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٣) سورة صّ: من الآية ٨٢، وسورة الحجر: الآية ٣٩.

أحدهما: أنه أخرج ذلك مخرج القاصد لتأثر المعاقب له وجهل أن الحق سبحانه لا يتأثر ولا يؤذيه شيء ولا ينفعه، لأنه الغني بنفسه.

والثاني: نسي أنه من أريد حفظه لم يقدر على إغوائه، ثم انتبه لذلك فقال: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]. فإذا كان فعله لا يؤثر وإضلاله لا يكون لمن قدرت له الهداية فقد ذهب علمه باطلاً، ثم رضي لخساسة همته بمدة يسيرة يعلم سرعة انقضائها، فقال: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]. وصارت لذته في إيقاع العاصي بالذنب كأنه يغيظ بذلك ولجهله بالحق أنه يتأثر، ثم نسي قرب عقابه الدائم، فلا غفلة كغفلته ولا جهالة كجهالته، وما أعجب قول القائل في إبليس:

عَجِبْتُ مِنَ إبْليسَ في نَخْوَتِهِ وخُبْثِ ما أظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهِ
تاهَ على آدَمَ في سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَّاداً لِذُرِيَّتِهِ

وما رأيت من غير إبليس وزاد عليه في الجنون والتغفيل مثل «أبي الحسين ابن الراوندي»[3]، فإن له كتباً يزري فيها على الأنبياء عليهم السلام ويشتمهم، ثم عمل كتاباً يرد فيه على القرآن ويبين أن فيه لحناً، وقد علم أن هذا الكتاب العزيز قد عاداه خلق كثير ما فيهم من تعرض لذلك منه ولا قدر، فاستدرك هو بزعمه على الفصحاء كلهم. ثم عمل كتاب «الدامغ»، فأنا أستعصم أن أذكر بعض ما ذكر فيه من التعريض للرد على الخالق سبحانه، وذكْر إياه بأقبح ما يذكر به آدمي، مثل أن يقول: منه الظلم ومنه الشر، في عبارات أقبح من هذه قد ذكرت بعضها في التاريخ، فالعجب ممن يعترض على الخالق بعد إثباته. فأما الجاحد فقد استراح، أتراه خلق لهؤلاء عقولاً كاملة وفي صفاته هو نقص، تعالى الله عن تغفيل هؤلاء.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٣) ابن الراوندي: هو أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي أو ابن الراوندي. فيلسوف مجاهر بالإلحاد، من سكان بغداد، نسبته إلى «راوند» من قرى أصبهان. له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام. له كتاب «الدافع للقرآن»، توفي سنة ٢٩٨هـ. (راجع ترجمته في الأعلام ١ :٢٦٧، ووفيات الأعيان ١ :٢٧).

(فصل)

ثم اتبع إبليس في الغفلة والحمق «قابيل»، فإن من أعظم التغفيل قوله لمن قبل قربانه: ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾[1]، وهذا من أسمج الأشياء، لأنه لو فهم لنظر سبب قبول قربان أخيه ورد قربانه، ثم من التغفيل أنه حمله على ظهره ولم يهتدِ لدفنه.

ومثل هذا التغفيل: ﴿حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾[2]، ومثله: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾[3]، ومن جنسه: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾[4].

ومثله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾[5]، فافتخر بساقية لا هو أجراها ولا يدري منتهاها ولا مبتداها، ونسي أمثالها مما ليس تحت حكمه، وليس في الحمق أعظم من ادعاء فرعون أنه الإلّه، وقد ضرب الحكماء له مثلاً فقالوا: أدخل إبليس على فرعون فقال: من أنت؟ قال: إبليس، قال: ما جاء بك؟ قال: جئت أنظر إليك فأعجب من جنونك، قال: وكيف؟ قال: أنا عاديت مخلوقاً مثلي وامتنعت من السجود له فطُردت ولُعنت، وأنت تدعي أنك أنت الإلّه! هذا والله الجنون البارد.

ومن أعجب التغفيل اتخاذ الأصنام آلهة، فالإلّه ينبغي أن يَفعل لا أن يُفعل. ومن التغفيل بنيان نمرود الصرح ثم رميه بنشابه ليقتل بزعمه إلّه السماء، أتراه لو كان خصمه في مكان فرأى قوساً موتورة إلى جهته، أما كان يمكنه أن ينزوي عنها!

ومن أعظم التغفيل ما جرى لأخوة يوسف في قولهم: ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾[6]،

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٢٧، وتتمتها: قال إنما يتقبل الله من المتقين.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٦٨.

(٣) سورة صٓ: الآية ٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٥١.

(٦) سورة يوسف: الآية ١٤.

ولم يشقّوا قميصه، وقصتهم مع يوسف في قوله إن الصاع يخبرني بكذا وكذا. ومن التغفيل ادعاء هاروت وماروت[1] الاستعصام عن الوقوع في الذنب ومقاومة الأقدار، فلما نزلا من السماء على تلك النية نزلا.

ومن عجيب التغفيل قول بني إسرائيل لموسى وقد جاوز بهم البحر: ﴿إِجْعَلْ لَنَا إِلَٰهاً﴾[2]، وقول النصارى إن عيسى إلّه أو ابن إلّه، ثم يقرون أن اليهود صلبوه، فادعاؤهم الإلّهية في بشر لم يكن فكان ولا يبقى إلاّ بأكل الطعام! والإلّه من قامت به الأشياء لا من قام بها، فظنهم أنه ابن الإلّه والبنوة تقتضي البعضية والمثلية وكلاهما مستحيل على الإلّه، وقولهم إنه قُتل وصُلب فيقرون عليه بالعجز عن الدفع عن نفسه وكل هذه الأشياء تغفيل قبيح.

ومن أعجب التغفيل اعتقاد المشبهة الذين يزعمون أن المعبود ذو أبعاض وجوارح وأنه يشبه خلقه مع علمهم أن المؤلف لا بدّ له من مؤلف.

ومن أعجب التغفيل: أن الرافضة يعلمون إقرار علي بيعة أبي بكر وعمر، واستيلاده الحنفية من سبي أبي بكر، وتزويجه أم كلثوم ابنته من عمر، وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم فيهم من يكفرهما وفيهم من يسبهما، يطلبون بذلك على زعمهم حب عليّ، وموافقته وقد تركوها وراء ظهورهم.

ومثل هذا الجنس كثير إذا تتبعته رأيته، وإنما أشرنا بهذه النبذة إليه ليفكر في جنسه ولم نرَ بسط القصص فيه، لأن المقصود الأكبر في هذا الكتاب غير ذلك.

عن أحمد بن حنبل[3]، أنه قال: لو جاءني رجل فقال: إني قد حلفت

---

(١) هاروت وماروت: الملكان اللذان أُرسِلا إلى بابل ليعلما أهلها السحر ابتلاءً لهم، ووردت قصتهم في سورة البقرة.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

(٣) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وُلِدَ ببغداد فنشأ مكبّاً على العلم، وسافر في سبيله أسفاراً بعيدة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام... وصنّف كتباً كثيرة، وتوفي سنة ٢٤١هـ. (راجع ترجمته في الأعلام ١ :٢٠٣، وابن عساكر ٢ :٢٨).

بالطلاق أن لا أكلِّم يومي هذا أحمق فكلَّم رافضياً أو نصرانياً لقلت: ما حنث، قال: فقال له الدينوري: أعزك الله تعالى، لِمَ صارا أحمقين؟ قال: لأنهما خالفا الصادقين عندهما، أما الصادق الأول فإنه المسيح (عليه السلام)، قال للنصارى: ﴿اعْبِدوا الله﴾[1]، وقال: ﴿إنِّي عَبْدُ اللهِ﴾[2]، فقالوا: لا، ليس هو بعبد بل هو إلّه. وأما علي رضي الله عنه، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال لأبي بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة»، ثم سبّهما هذا وتبرّأ منهما هذا.

هذا، ومن أعجب تغفيل القدماء ما روي عن جابر بن عبد الله[3] أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعبَّد رجل في صومعة، فأمطرت السماء فأعشبت الأرض، فرأى حماراً يرعى، فقال: يا رب، لو كان لك حماراً رعيته مع حماري، فبلغ ذلك نبياً من أنبياء إسرائيل، فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله تعالى إليه إنما أجزي العباد على قدر عقولهم».

(فصل)

وقد جرى من خلق كثير من العقلاء ما يشبه التغفيل إلّا أنهم لم يقصدوا ذلك، فذكرت منهم طرفاً لشبهه بالتغفيل. فمن ذلك ما حكي عن بعض المغنين قال: حضرت عند أمير لأغنيه، فجرى حديث بعض الوزراء، فذكرت من محاسنه وكرمه شيئاً لأحركه به ليفعل مثله ثم غنيته:

---

(١) سورة المائدة: من الآية ١١٧.

(٢) سورة مريم: من الآية ٣٠.

(٣) جابر بن عبد الله: صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشر غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. روى له البخاري وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً. قال الزركلي في الأعلام: له «مسند» مخطوط. توفي سنة ٧٨هـ. (راجع ترجمته في الإصابة ١:٢١٣، وتهذيب الأسماء ١:١٤٢).

قَـواصِـدُ كَـافـور تَـوارِكُ غَـيـره ومَنْ قَصَدَ البحرَ استقـلَّ السَّـواقِيـا[1]

فقال لي: قبَّحك الله ما هذه المعاشرة؟ فـاستيقظت وحلفت أني مـا قصدتـه. ومثل هذا ما جرى لعبد الله بن حسن[2]، فإنه كان يساير السفاح[3] وينظر إلى مدينته التي بناها ظاهر مدينة الأنبار، فأنشده:

أَلَـمْ تَـر مـالِكـاً أضْحَى يَـبْنـي بُيُـوتـاً نَفْـعُـهـا لِـبَـنـي بُقَـيْلَهْ
يَـرجَـى أن يُعَـمَّـرَ عُـمْـرَ نُـوحٍ وَأمـرُ الله يـأتـي كـل لَـيْـلَهْ

فغضب، فاعتذر إليه. وبينا عيسى بن موسى[4] يساير أبا مسلم[5] يوم إدخالـه على المنصور[6]، تمثَّل عيسى، فقال:

---

(١) البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها:
كـفـى بـك داءً أن تـرى الـمـوت شـافـيـاً وحـسـب الـمـنـايـا أن يـكـنَّ أمـانـيـا
(راجع شرح ديوان المتنبي ٢ : ٢٠٤) دار الكتب العلمية.

(٢) عبـد الله بن حسن: هـو عبـد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طـالب الهـاشمي القرشي، أبو محمد. تابعي، من أهل المدينة. كانت لـه منزلـة عند عمـر بن عبد العـزيز. حبسه المنصور عدة سنوات من أجل ابنيه محمد وإبراهيم ونقله إلى الكوفة، فمـات سجيناً فيهـا، وتوفي سنـة ١٤٥هـ. (راجع تـرجمتـه في الإصـابـة ت:٦٥٨٧، ومقـاتـل الطالبيين ١٢٨).

(٣) السفَّاح: هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أول خلفـاء الدولـة العباسيـة. توفي سنـة ١٣٦هـ. (راجع تـرجمتـه في الأعـلام ٤ : ١١٦، وابن الأثير ٥ : ١٥٢، والطبري ٩ : ١٥٤، واليعقوبـي ٣ : ٨٦).

(٤) عيسى بن موسى: هو ابن أخي السفَّاح. توفي سنة ١٦٧هـ. (راجع ترجمته في أشعار أولاد الخلفاء ٣٠٩ ــ ٣٢٣، والكامل لابن الأثير ٦ : ٢٥ وما قبلها، والطبري ١٠ : ٨، والمرزباني ٢٥٨، ودول الإسلام للذهبي في وفيات سنة ١٦٨).

(٥) أبو مسلم: هو عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية وأحد كبار القادة. توفي سنـة ١٣٧هـ. (راجـع تـرجمتـه في وفيـات الأعيـان ١ : ٢٨٠، وابن الأثيـر ٥ : ١٧٥، والـطبـري ٩ : ١٥٩، والبدء والتاريخ ٦/٧٨، وميزان الاعتدال ٢ : ١١٧).

(٦) المنصـور: هو عبـد الله بن محمد علي بن عبـد الله بن العباس، أبـو جعفـر، ثـاني خلفـاء بني العباس، وأول من عُني بالعلوم من ملوك العرب. كان عـالماً بـالفقه والأدب مقـدماً في =

سيأتيك ما أفنى القُرونَ التي مَضَتْ ... وما حلَّ في أكْسدِ عَادٍ وجُرْهمِ

فقال أبو مسلم: هذا مع الأمان الذي أعطيت؟ فقال عيسى: أعتقت ما أملك إن كان هذا شيئاً أضمرته. ولمّا حوصر الأمين[1]، قال لجاريته: غنّي، فغنَّت:

كليبُ لَعَمْري كانَ أكثرُ ناصراً ... وأيسرُ مِنْكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فاشتد ذلك عليه، ثم قال: غنّي غير هذا، فغنّت:

شَكَتْ فِرَاقَهم عَيْني فأرَّقَها ... إنَّ التّرمُّقَ للأحْبابِ بُكاءُ

فقال: لعنك الله، أما تعرفين غير هذا؟ فغنت:

ما اخْتَلَفَ الليلُ والنَّهار وما ... دَارَتْ نُجُومُ السَّماءِ في الفَلَكِ
إلَّا لِنَقْلِ السُّلْطان مِنْ مُلكٍ ... قد غَابَ تحت الثَّرى إلى مَلِكِ

فقال: قومي، فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته، فإذا قائل يقول: ﴿قُضِيَ الأمْرُ الَّذي فيهِ تَسْتَفْتِيان﴾[2].

ودخل المأمون[3] على زبيدة ليعزّيها في الأمين، قالت: أرأيت أن تسليني في غدائك اليوم عندي؟ فتغدى، وأخرجت إليه من جواري الأمين من تغنّيه، فغنّت:

= الفلسفة والفلك. وُلِّيَ الخلافة بعد وفاة أخيه السفّاح سنة ١٣٦هـ. وتوفي سنة ١٥٨هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٥: ١٧٢ ثم ٦: ٦، والطبري ٩: ٢٩٢، وتاريخ الخميس ٢: ٣٢٤).

(١) الأمين: هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور. خليفة عباسي. بويع الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣هـ بعهد منه. وتوفي سنة ١٩٨هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٦: ٩٥، والطبري ١٠: ١٢٤، وتاريخ الخميس ٢: ٣٣٣).

(٢) سورة يوسف: من الآية ٤١.

(٣) المأمون: هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس. سابع الخلفاء من بني العباس في العراق. توفي سنة ٢١٨هـ. (راجع ترجمته في تاريخ بغداد لابن الخطيب ١٠: ١٨٣، والمسعودي ٢: ٢٤٧، وابن الأثير ٦: ١٤٤، والطبري ١٠: ٢٩٣).

هُـمْ قَـتَـلُوه كَـيْ يَـكُـونُـوا مَـكَـانَـه ... كَمَـا فَعَلَتْ يـوماً بِكِسْـرَى مَـرَازِبَـهْ[1]

فوثب مغضباً، فقالت له: يا أمير المؤمنين حرمني الله أجره إن كنت علمت أو دسست إليها، فصدقها.

ولمّا فرغ المعتصم[2] من بناء قصره دخل الناس عليه، فاستأذنه إسحاق بن إبراهيم[3] أن ينشده فأنشد شعراً في صفته وصفة المجلس، أوله:

يـا دَارُ غَـيَّـرَكِ الـبَـلَى وَحَـاكِ ... يـا لَيْتَ شِعْـرِي مـا الـذي أبْـلاكِ

فتطيَّر المعتصم وعجب الناس من إسحاق كيف فعل هذا مع فهمه، فقاموا وخرب القصير وما اجتمع فيه بعد ذلك اثنان.

وأنشد الصاحب بن عباد[4] عضد الدولة[5] مديحاً له من قصيدة يقول فيها:

---

(١) المرزبان: الرئيس عند الفرس والجمع مرازبة، والمرزبة هي الرئاسة عندهم.

(٢) المعتصم: هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو إسحاق. خليفة من أعاظم خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ. يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه. توفي سنة ٢٢٧هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٦:١٤٨، والفوات ٢:٢٧٠، وتاريخ بغداد ٣:٣٤٢، ومروج الذهب ٢:٢٦٩).

(٣) إسحاق بن إبراهيم: هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلّي، أبو محمد ابن النديم. من أشهر ندماء الخلفاء، تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راوياً للشعر شاعراً حافظاً للأخبار. توفي سنة ٢٣٥هـ. (راجع ترجمته في فهرست ابن النديم ١:١٤٠، ووفيات الأعيان ١:٦٥، والأغاني طبعة دار الكتب ٥:٢٦٨، وتاريخ بغداد ٦:٣٣٨).

(٤) الصاحب بن عباد: هو إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، وزيد غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي. استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولُقِّب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه، فكان يدعو بذلك. توفي في الري سنة ٣٨٥هـ. (راجع ترجمته في معجم الأدباء ٢:٢٧٣، وابن خلدون ٤:٤٦٦، وابن خلِّكان ١:٧٥، والأعلام ١:٣١٦).

(٥) عضد الدولة: هو فنَّاخسرو، الملقب عضد الدولة ابن الحسن الملقَّب ركن الدولة ابن بويه الديلمي، أبو شجاع. أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى =

ضَمَمْتُ على أبنـاءِ تَغْـلُبَ تـاءَهـا ... فَتَغْلُبَ ما كَـدر الجـديـدانِ[1] تَغْلِبُ

فتطيَّر عضد الدولة من قوله «تغلب»، وقال: نعوذ بالله، فتيقَّظ الصاحب لقوله وتغيَّر لونه.

وقال إسحاق المهلبي: دخلت على الواثق[2] فقال: غنّني صوتاً عربياً، فقلت:

يـا دارُ إنْ كـان الـبَـلَى مَـحَـاكِ ... فـإنّـه يُـعْـجِـبُـنـي أراكِ[3]

فتبينت الكراهية في وجهه وندمت.

ودخل أبو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك، فأنشده أبياتاً حتى بلغ

= ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة. وهو أول من خطب لنع على المنابر بعد الخليفة وأول من لُقِّب في الإسلام «شاهنشاه». توفي سنة ٣٧٢هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير: الجزآن ٨ و ٩، وبغية الوعاة ٣٧٤، وابن خلّكان في وفيات الأعيان ١: ٤١٦، والبداية والنهاية ١١: ٢٩٩، والأعلام ٥: ١٥٦).

(١) الجديدان: الليل والنهار.

(٢) الواثق: هو هارون (الواثق بالله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر، من خلفاء الدولة العباسية بالعراق. وُلِّيَ الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٧٧هـ، فامتحن الناس في خلق القرآن. توفي سنة ٢٣٢هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٧: ١٠، والطبري ١١: ٢٤، والأغاني طبعة الدار ٩: ٢٧٦، والأعلام ٨: ٦٢).

(٣) رواية البيت الصحيحة:

يـا دار غـيـرك الـبـلى فـمـحـاك ... يـا لـيـت شـعـري مـا أبـلاكِ

(٤) هشام بن عبد الملك بن مروان: من ملوك الدولة الأموية في الشام. بويع في دمشق بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ. قيل: اجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام. كان حسن السياسة يباشر الأعمال بنفسه. توفي سنة ١٢٥هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٥: ٩٦، والطبري ٨: ٢٨٣، وتاريخ الخميس ٢: ٣١٨، والأعلام ٨: ٨٦).

فيها ذكر الشمس، فقال: «وهي على الأفق كعين الأحول»، فأمر أن يوجأ[1] في عنقه وأخرج.

ودخل أرطأة[2] على عبد الملك بن مروان ــ وكان شيخاً كبيراً ــ فاستنشده ما قاله في طول عمره، فأنشده:

رأيتُ المرءَ تأكلهُ الليالي ... كأكْلِ الأرضِ ساقِطَةَ الحَديدِ

وما تبغي المنيّةُ حينَ تأتي ... على نفسِ ابنِ آدمَ مِنْ مَزيدِ

فأعلمُ أنها ستكرّ حتى ... توفي نَذْرَهابأبي الوليدِ

فارتاع عبد الملك وظنَّ أنه عناه وعلم أرطأة أنه زل، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أكنّى بأبي الوليد، وصدقه الحاضرون.

ودخل ذو الرمة[4] على عبد الملك، فأنشده:

ما بالُ عَيْنَيْكَ الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ ... كأنّهُ مِنْ كِلَى[5] مَفْرِيَّةٍ[6] سَرِبُ[7]

---

(١) يوجأ: يضرب.

(٢) أرطأة: هو أرطأة بن زفر بن عبد الله بن مالك الغطفاني المرّي، أبو الوليد ابن سهيّة (وهي أمّه) بنت زامل. شاعر من فرسان الجاهلية، معمّر. عاش قريباً من نصف عمره في الإسلام. دخل على عبد الملك بن مروان وعمره ١٣٠ سنة، وأنشده من شعره، وعمي قبل أن يموت سنة ٦٥هـ، أو بعدها. (راجع ترجمته في الشعر والشعراء ٥٠٤، والتاج في مادة: سها، وحماسة الشجري ٦٣، والأعلام ١: ٢٨٨).

(٣) عبد الملك بن مروان: أبو الوليد، توفي سنة ٨٦هـ. الخليفة المشهور.

(٤) ذو الرمّة: هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث ذو الرمّة: شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره. توفي سنة ١١٧هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٤٠٤، والموشّح ١٧٠، والشعر والشعراء ٢٠٦، وخزانة الأدب للبغدادي ١: ٥١، والأعلام ٥: ١٢٤).

(٥) الكلى: جمع كلية، وهي رقعة تكون في أصل عروة المزادة.

(٦) مفرية: مقطوعة.

(٧) سرب: سائل.

واتفق أن عيني عبد الملك كانتا تسيلان، فظن أنه عرض به فغضب وقطع إنشاده وأخرجه.

ودخل شاعر على طاهر بن عبد الله[1] فأنشده:

شَبَّ بالإبِلِ مِنْ عَزِيزَةَ نَارُ　　أوقدتْها وأينَ مِنْكَ المَزَارُ

وكان اسم والدة طاهر عزيزة فتغامز الحاضرون وأعلموه بهفوته فأمسك.

ودخل رجل على عقبة بن مسلم الأزدي، فأنشده:

يا ابْنَةَ الأزْديِّ قَلْبي كَئيبٌ　　مستهام عِنْدَكُم ما يؤوبُ

وَلَقَدْ لامُوا فَقُلتُ دعُوني　　إنَّ مَنْ تَلْحُون[2] فيهِ حَبيبُ

فتغير وجه عقبة، فنظر الشاعر فقطع.

ودخل الرئيس أبو علي العلوي يوماً على بعض الرؤساء، فتحادثا، فجاء غلام لذلك الرجل فقال: يا سيدي، أي الخيل نسرج اليوم؟ فقال: اسرجوا العلوي. فقال له أبو علي: أحسن اللفظ يا سيدي، فاستحيا وقال: هفوة.

واجتاز المرتضى[3] أبو القاسم نقيب العلويين، يوم جمعة على باب جامع المنصور عند المكان الذي يباع فيه الغنم، فسمع المنادي يقول: نبيع هذا التيس العلوي بدينار، فظنَّ أنه قصده بذلك، فعاد متألِّماً من المنادي، فكشف عن الحال،

---

(١) طاهر بن عبد الله الخزاعي: هو أحد الأمراء الولاة. وُلِّيَ خراسان بعد وفاة أبيه واستمرّ ثماني عشرة سنة، وتوفي فيها سنة ٢٤٨هـ. (راجع ترجمته في دول الإسلام للذهبي ١: ١١٧، والكامل لابن الأثير ٧: ٥، والأعلام ٣: ٢٢٢).

(٢) تلحون: تلومون.

(٣) المرتضى: هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، نقيب الطالبيين وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. يقول بالاعتزال. مولده ووفاته ببغداد. له تصانيف كثيرة. توفي سنة ٤٣٦هـ. (راجع ترجمته في روضات الجنات ٣٨٣، وميزان الاعتدال ٢: ٢٢٣، وإرشاد الأريب ٥: ١٧٣، والأعلام ٤: ٢٧٨).

فوجد أن التيس إن كان في رقبته حلمتان سمّي علوياً نسبة لشعرتي العلوي المسبلتين على رقبته.

ونحو هذا ما جرى لأبي الفرج العلوي، فإنه كان أعرج أحول، فسمع منادياً ينادي على تيس: كم عليكم في هذا العلوي الأعرج الأحول؟ فلم يشك أنه عناه، فراغ عليه ضرباً إلى أن تبيَّن أن التيس أحول أعرج، فضحك الحاضرون مما اتفق.

وقال أبو الحسن الصابي[1]: دخل بعض أصدقائنا إلى رجل قد ابتاع داراً في جواره، فسلَّم عليه وأظهر الأنس بقربه وقال: هذه الدار كانت لصديقنا وأخينا إلّا أنك بحمد الله أوفى منه كرماً وأوسع نفساً وصدراً، والحمد لله الذي بدلنا به من هو خير منه وأنشده:

بُدِّل بالبَازيّ غُرابٌ أبْقَعُ[2]

فضحك منه الرجل حتى استلقى وخجل، وصارت نادرة يولع الرجل بها.

* * *

(١) الصابيء: هو هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابيء الحراني أبو الحسين أو أبو الحسن. مؤرخ، كاتب من أهل بغداد. كان أبوه وجدّه من الصابئة وأسلم هو في أواخر عمره. توفي سنة ٤٤٨هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٢:٢٠٢، وتاريخ بغداد ١٤:٧٦).

(٢) البازي الأبقع: الطائر الذي فيه سواد وبياض.

الباب العاشر:

في ذِكْر المغفلين من القراء والمصحفين

عن عبد الله بن عمر بن أبان[1] أن مشكدانة قرأ عليه في التفسير: ﴿وَيَعُوقَ وبَشْراً﴾[2]، قيل له: ونسراً، فقال: هي منقوطة بثلاثة من فوق، فقيل له: النقط غلط، قال: فارجع إلى الأصل.

وعن محمد بن أبي الفضل[3] قال: قرأ علينا عبد الله بن عمر بن أبان «ويعوق وبشراً»، فقال له رجل: إنما هو «ونسراً»، فقال: هوذا فوقها نقط مثل رأسك.

وقال أبو العباس بن عمار الكاتب: انصرفت من مجلس مشكدانة فمررت بمحمد بن عباد بن موسى، فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند مشكدانة، فقال: ذاك الذي يصحف على جبرائيل يريد قراءته (ويعوق وبشراً) وكانت حكيت عنه.

حدثنا إسماعيل بن محمد، قال: سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ: ﴿فإنْ لمْ يُصِبْها وابِلٌ فَظَلٌّ﴾[4]، قال: وقرأ: ﴿مِنَ الخَوَارِجِ مُكَلِّبِينَ﴾[5].

---

(١) ابن أبان: هو عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي. روى عن أبي الأحوص وجماعة. توفي سنة ٢٣٩هـ.

(٢) سورة نوح: من الآية ٢٣، وتصويبها: ويعوق ونسراً.

(٣) محمد بن الفضل: محدّث، حافظ، توفي سنة ٢٢٤هـ.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٥، وتصويبها: فإن لم يصبها وابل فطلّ.

(٥) سورة المائدة: الآية ٤، وتصويبها: من الجوارح مكلبين.

وعن محمد بن جرير الطَبري[1]، قال: قرأ علينا محمد بن جميل الرازي: ﴿وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتِلُوكَ أَوْ يُجْرِمُوكَ﴾[2].

قال الدارقطني[3]: وحدثني أنه سمع أبا بكر الباغندي أملى عليهم في حديث ذكره: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلى الأَرْضِ هُوْياً﴾[4]، بضم الهاء وياء.

قال ابن كامل وحدثنا أبو شيخ الأصبهاني محمد بن الحسين قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة[5] في التفسير: ﴿وإذا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ خَبَّازِينَ﴾[6]، يريد قوله: ﴿جَبَّارين﴾.

وعن محمد بن عبد الله المنادي، يقول: كنا في دهليز عثمان بن أبي شيبة، فخرج إلينا وقال: (ن والقلم) في أي سورة هو؟.

وعن إبراهيم بن أورمة[7] الأصبهاني أنه يقول: أملى علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير، قال: (خذوا سورة المدبر)[8]، قالها بالباء.

قال الدارقطني: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ

---

(١) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسّر الإمام. وهو من ثقات المؤرخين. توفي سنة ٣١٠هـ. (راجع ترجمته في إرشاد الأريب ٦: ٤٢٣، وتذكرة الحفّاظ ٢: ٣٥١، والوفيات ١: ٤٥٦، والأعلام ٦: ٩٦).

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٠، وتصويبها: وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك.

(٣) الدارقطني: هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني الشافعي: إمام عصره في الحديث وأول من صنّف القراءات وعقد لها أبواباً. من تصانيفه كتاب السنن. توفي سنة ٣٨٥هـ. (راجع ترجمته في الأعلام ٤: ٣١٤، ووفيات الأعيان ١: ٣٣١، ومفتاح السعادة ٢: ١٤، وتاريخ بغداد ١٢: ٣٤).

(٤) سورة الفرقان: الآية ٦٣، وتصويبها. . . على الأرض هوناً.

(٥) عثمان بن أبي شيبة: من حفاظ الحديث. توفي سنة ٢٣٩هـ.

(٦) سورة الشعراء: الآية ١٣٠.

(٧) إبراهيم بن أورمة: محدث ذكي توفي سنة ٢٦٦هـ.

(٨) صحتها: المدثر.

بِجِهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ في رَحِلِ أخيهِ﴾[1]، فقيل له: ﴿السِّقَايةَ في رَحْلِ أخيه﴾، فقال: أنا وأخي وأبو بكر لا نقرأ لعاصم[2].

وقال القاضي المقدمي: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة: ﴿جعل السقاية في رجل أخيه﴾، فقيل له: ﴿في رحل أخيه﴾، فقال: تحت الجيم واحدة.

وعن محمد بن عبد الله الخضرمي أنه قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة: ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُم سنور لَهُ نَابٌ﴾[3]، فقيل له: إنما هو: ﴿بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾، فقال: أنا لا أقرأ قراءة حمزة[4]، قراءة حمزة عندنا بدعة.

قال: حدثني أبو الحسين أحمد بن يحيى قال: مررت بشيخ في حجره مصحف وهو يقرأ: ﴿ولله ميزابُ السّمَواتِ والأرْضِ﴾[5]، فقلت: يا شيخ، ما معنى: ﴿ولله مِيزَابُ السموات والأرض﴾؟ قال: هذا المطر الذي تراه، فقلت: ما يكون التصحيف إلّا إذا كان بتفسير، يا هذا، إنما هو: ﴿مِيرَاثُ السّمَوات والأرْضِ﴾، فقال: اللهم اغفر لي، أنا منذ أربعين سنة وأقرؤها وهي في مصحفي هكذا.

قال: حدثني أبو فزارة الأسدي قال: قلت لسعيد بن هشيم: لو حفظت عن أبيك أحاديث سدت الناس، وقيل: هذا ابن هشيم، فجاؤوك فسمعوا منك، قال: شغلني عن ذلك القرآن، فلما كان يوم آخر، قال لي: جبير كان نبياً أم صدّيقاً؟

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧٠.

(٢) هو عاصم بن أبي النجود الكوفي، أحد القراء السبعة. توفي سنة ١٢٧هـ.

(٣) سورة الحجر: الآية ١٣.

(٤) حمزة: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات: أحد القراء السبعة. كان عالماً بالقراءات. انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول. قال الثوري: ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلّا بأثر. توفي سنة ١٥٦هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٣: ٢٧، ووفيات الأعيان ١: ١٦٧، وميزان الاعتدال ١: ٢٨٤، وقيل توفي سنة ١٥٨هـ).

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

قلت: مَن جبير؟ قال: قوله عز وجل: ﴿وَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾[1]، قال: قلت له يا غافل، زعمت أن القرآن أشغلك.

وعن أبي عبيدة، قال: كنا نجلس إلى أبي عمرو بن العلاء فنخوض في فنون من العلم ورجل يجلس إلينا لا يتكلم حتى نقوم، فقلنا: إما أن يكون مجنوناً أو أعلم الناس! فقال يونس: أو خائف، سأظهر لكم أمره. فقال له: كيف علمك بكتاب الله تعالى؟ قال: عالِم به، قال: ففي أي سورة هذه الآية:

الحمدُ لله لا شريكَ لَهُ ... مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسَهُ ظَلَمَا

فأطرق ساعة، ثم قال: في حم الدخان.

وعن أبي عبيد الله بن عرفة، أنه قال: اصطحب ناس فكانوا يتذاكرون الآداب والأخبار وسائر العلوم، وكان معهم شاب لا يخوض فيما يخوضون فيه سوى أنه كان يقول: رحم الله أبي ما كان يعدل بالقرآن شيئاً، فكانوا يرون أنه أعلم الناس بالقرآن، فسأله بعضهم في أي سورة:

وفينَا رسُولُ الله يَتْلُو كِتَابَه ... كَمَا لَاحَ مَبيضٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبه عَنْ فِراشه ... إذا استُثْقِلَتْ بالكافِرينَ المَضاجِعُ

فقال: سبحان الله من لم يعرف هذا؟ هذا في حم عسق، فقالوا: ما قصر أبوك في أدبك، فقال لهم: أفكان يتغافل عني كتغافل آبائكم عنكم؟

ونبأنا في هذا المعنى رجلاً قدم ابناً له إلى القاضي: ما تقول يا غلام فيما حكاه أبوك عنك؟ قال: يقول غير الصحيح، إني أصلّي ولا أشرب الخمر، فقال أبوه: أصلح الله القاضي، أتكون صلاة بلا قراءة؟ فقال القاضي: يا غلام تقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم وأجيد القراءة، قال: إقرأ، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم:

عَلِقَ القَلْبُ رَبَاباً ... بَعْدَ ما شَابَتْ وشَابا
إنّ دينَ الله حَقٌ ... لا أرَى فيه ارْتِيَابا

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٥٩، يريد خبيراً.

فقال أبوه: والله أيها القاضي ما تعلَّم هاتين الآيتين إلاّ البارحة، لأنه سرق مصحفاً من بعض جيراننا. فقال القاضي: قبَّحكم الله، أحدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به.

وعن المزني أنه قال: سمعت الشافعي يقول: قرأ رجل: ﴿فَما لَكُم في المُنَافِقينَ قيس﴾[1]، قيل: فما قيس؟ قال: يقتاسون به. قال: حدثني أبو بكر محمد بن جعفر السواق، قال: كان عليَّ وعد أنفذه لابن عبدان الصيرفي، فأخرته لضرورة، فجاءني يقتضيني وقال لي: في عرض الخطاب أقول لك يا أبا بكر كما قال الله تعالى (وشديد عادة منتزعة)، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ما قال من هذا شيئاً، فاستحيا وقام، فما عاد لي أياماً، فلما حضرت الدراهم أنفذتها إليه.

وعن يحيى بن أكثم[2]، قال: قدم رجلٌ إبنه إلى بعض القضاة ليحجر عليه، فقال: فيم؟ قال للقاضي: أصلحك الله، إن كان يحسن آيتين من كتاب الله فلا تحجر عليه، فقال له القاضي: إقرأ يا فتى، فقال:

أضَاعُوني وأيُّ فَتىً أضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَريهةٍ وسدَاد ثَغْرِ[3]

فقال أبوه: أصلحك الله إنه قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه، فحجر القاضي عليهما.

وعن أبي عبيد الله الشطيري، قال: كان إبراهيم يقرأ على الأعمش[4]؛

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٨، وصحتها: فئتين.

(٢) يحيى بن أكثم: أبو محمد، قاض رفيع القدر عالي الشهرة من نبلاء الفقهاء يتصل نسبه بأكثم صيفي حكيم العرب. استولى على قلب المأمون حتى أمر بأن لا يحجب عنه ليلاً ولا نهاراً. توفي سنة ٢٤٢هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٢: ٢١٧، وأخبار القضاء لوكيع ٢: ١٦١، والأعلام ٨: ١٣٨).

(٣) البيت للعرجي عبد الله بن عمر، المتوفى نحو سنة ١٢٠هـ. (راجع الأعلام ٤: ١٠٩).

(٤) الأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي. كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض. توفي سنة ١٤٨هـ. (راجع ترجمته في الأعلام ٣: ١٣٥، وابن سعد ٦: ٢٣٨، والوفيات ١: ٢١٣، وتاريخ بغداد ٩: ٣).

فقـال: قال لِمَنْ حـولِهِ: ألا تستمعـون؟ فقال الأعمش (لِمَنْ حَـوْلَـه): فقـال: ألست أخبرتني إن (من) تجر ما بعدها؟ قال: حـدثني الدارقـطني، قال: ذكـر أبو بكـر عن حماد، أنه قرأ: ﴿والغَادِيَاتِ صَبْحَا﴾[1] بالغين المعجمة والصاد المهملة، فأخبـروا بذلك عقبة، فامتحنه بالقراءة في المصحف، فصحف في آيات عدة، فقرأ: ﴿ومِمّا يَغْـرِسونَ﴾[2]، ﴿وعـدهـا أبـاه﴾[3]، ﴿أصبت بـه من أسـاء﴾[4]، ﴿فبـادوا ولات حين﴾[5]، ﴿لا يسع الجاهلين﴾[6]، ﴿فأنا أول العائدين﴾[7]، «كل خباز»[8].

قال: حدثني الدارقطني، قال: ثنا علي بن موسى قال: قرأ أبو أحمد العراقي على عبـد الله بن أحمد بن حنبـل: ﴿إليْـه يَصْعَـدُ الكَلِمُ الـطَّيِّبُ والعَمَـلُ الصَّـالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[9] بكسر العين، فقال له: إنما هو يرفعه، قال: هكذا الواقف عليه.

قال الدارقطني: حدثنـا النقاش، قـال: كنت بطبـرية الشـام أكتب على شيخ فيهـا، عنده جـزء فيه عن أبـي عمـرو الدوري، وكـان فيه أن يحيـى بن معمـر قرأ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ شَيْخاً طَوِيلاً﴾[7]، فقرأ على الشيـخ وعلى من كان يسمـع معه، شيخاً بالشين المعجمة وبالخاء والياء.

كان رجل كثير المخاصمـة لامرأتـه وله جـار يعاتبـه على ذلك، فلمـا كان في بعض الليالي خاصمها خصومة شديدة وضربهـا، فاطلع عليـه جاره فقـال: يا هـذا،

---

(١) تصويبها: والعاديات ضبحا. انظر سورة العاديات: الآية ١.

(٢) تصويبها: يعرشون. انظر سورة النحل: الآية ٦٨.

(٣) تصويبها: إياه. انظر سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٤) تصويبها: أصيب به من أشاء. انظر سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

(٥) تصويبها: فنادوا ولات حين. انظر سورة صٓ: الآية ٣.

(٦) تصويبها: نبغي. انظر سورة القصص: الآية ٥٥.

(٧) تصويبها: فأنا أول العابدين. انظر سورة الزخرف: الآية ٨١.

(٨) تصويبها: جبار.

(٩) سورة فاطر: الآية ١٠.

تصويبها: سبحاً. انظر سورة المزمل: الآية ٧.

إعمل معها كما قال الله تعالى: إما إمساك إيش اسمه أو تسريح ما أدري إيش.

وجه فزاره صاحب مظالم البصرة رجلاً يوماً في حاجة فقضاها ورجع إليه، فقال فزارة: أنت كما قال الله تعالى:

إذا كُنْتَ في حَاجَةٍ مُرسلاً فأرسِلْ حَكيماً ولا تُوصِّهِ

قال رجل لابنه وهو في الكتب: في أي سورة أنت؟ قال في: ﴿أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد﴾[1]، فقال أبوه: لعمري مَنْ كُنْتَ ابنه فهو بلا ولد.

قال المأمون لبعض كتابه: ويلك، ما تحسِن تقرأ؟ قال: بلى والله، إني لأقرأ من سورة واحدة ألف آية.

سمعت ابن الرومي[2] يقول: خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها، فأقام عنده أياماً، فقال له الخطيب: أنا منذ مدة أصلّي بهؤلاء القوم وقد أُشكل عليَّ في القرآن بعض مواضع، قال: سلني عنها، قال: منها في ﴿الحمد لله﴾ إياك نعبد وإياك، أي شيء تسعين أوسبعين؟ أشكلت عليَّ هذه فأنا أقولها تسعين آخذ بالاحتياط.

* * *

(١) تصويبها: (لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلدع، ووالد وما ولد. انظر سورة البلد: الآية ١ ــ ٣.

(٢) ابن الرومي: هو علي بن العباس بن جريج، الشاعر المعروف، المتوفى سنة ٢٨٣هـ.

الباب الحادي عشر:

في ذِكْر المغفلين من رواة الحديث والمصحفين

قال أبو بكر بن أبي أويس: بينا عبد الله بن زياد يحدث انتهى إلى حديث شهر بن حوشب[1]، فقال: حدثني شهر بن حوشب، فقلت: من هذا؟ فقال: الرجل من أهل خراسان، اسمه من أسماء العجم، فقلت: لعلك تريد شهر بن حوشب، فعلمنا أنه يأخذ من الكتب.

وعن عوام بن إسماعيل، قال: جاء حبيب مالك يقرأ على سفيان بن عيينه، فقال: حدثكم المسعودي عن جراب التيمي، فقال سفيان: ليس هو جراب إنما هو خوات. وقرأ عليه: حدثكم أيوب عن ابن شيرين، فقال: ليس كذلك إنما هو سيرين.

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، أنه يقول حكاية عن بعض شيوخه، قال رجل لهشيم[2]: يا أبا معاوية، أخبركم أبو حرة عن الحسن، فقال هشيم: أخبرنا أبو حرة عن الحسن ووصف شيخنا ضحك هشيم هه هه.

وعن محمد بن يونس الكندي[3] أنه قال: حضرت مجلس مؤمل بن

---

(١) شهر بن حوشب: فقيه، قارىء، من رجال الحديث. شاميّ الأصل، سكن العراق، كان يتزيّا بزيّ الجند ويسمع الغناء. وَوُلِّي بيت المال مدة. وهو متروك الحديث. كان ظريفاً. توفي سنة ١٠٠هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٤: ٣٦٩، وثمار القلوب ١٣٣، والتاج ١: ٢١٤ ثم ٣: ٣٢١).

(٢) هشيم: هو هشيم بن بشير بن أبي خازم بن دينار. مُحدِّث ثقة. توفي سنة ١٨٣هـ.

(٣) راجع ترجمته في شذرات الذهب ٢: ١٩٤، وقد توفي سنة ٢٨٦هـ.

إسماعيل[1]، فقرأ عليه رجل من أهل المجلس: حدثكم سبعة وسبعين، فضحك المؤمل، وقال للفتى: من أين؟ فقال: من مصر.

حدثنا إسحاق، قال: كنا عند جرير، فأتاه رجل وقال: يا أبا عبد الله تقرأ عليَّ هذا الحديث، فقال: وما هو؟ قال: حدثنا خربز عن رقبة، قال: ويحك أنا جرير.

حدثنا محمد بن سعيد، قال: سمعت الفضل بن يوسف الجعفي يقول: سمعت رجلاً يقول لأبي نعيم: حدثتك أمك، يريد حدثك أمي الصيرفي[2].

قال أبو نعيم[3]: كتب عبد الملك إلى أبي بكر بن حزم[4] أن «احص» من قبلك من المخنثين، فصحف الكاتب، فقرأ بالخاء فخصاهم. فقال بعض المخنثين: اليوم استحققنا هذا الاسم.

حدثنا يحيى بن بكير[5]، قال: جاء رجل إلى اللّيث بن سعد[6]، فقال: كيف حدثك نافع، عن النبي ﷺ (في الذي نشرت في أبيه القصة)، فقال الليث: ويحك إنما هو (في الذي يشرب في آنية الفضة).

---

(١) مؤمل بن إسماعيل: راوٍ للحديث. توفي سنة ٣٠٦هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠: ٣٨٠، والأعلام ٧: ٣٣٤).

(٢) أمي الصيرفي: محدث أهل الجزيرة.

(٣) أبو نعيم: هو الفضل بن دكين، واسمه عمرو بن حماد التيمي، محدث حافظ من أهل الكوفة، من شيوخ البخاري ومسلم. وكان إمامياً. توفي سنة ٢١٩هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير، حوادث سنة ٢١٩، والأعلام ٥: ١٤٨).

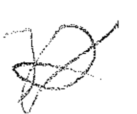
(٤) هو قاضي المدينة وأميرها. توفي سنة ١٢٠هـ.

(٥) هو قاضي كرمان. توفي سنة ٢٠٨هـ.

(٦) الليث بن سعد، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقّها. كان من الكرماء الأجواد. توفي سنة ١٧٥هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٤٣٨، وتهذيب التهذيب ٨: ٤٥٩، وتذكرة الحفاظ ١: ٢٠٧، وصبح الأعشى ٣: ٣٩٩).

قال الدارقطني: وحدثني محمد بن يحيى الصولي[1]، قال: حدثنا أبو العيناء[2]، قال: حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين، فأسند حديثاً عن النبي ﷺ، عن جبرائيل، عن الله، عن رجل، فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟ فإذا هو قد صحفه وإذ هو (عز وجل).

وقد نبأنا بهذه الحكاية أبو عبد الله الحسين بن محمد البارع[3]، قال: سمعت القاضي أبا بكر بن أحمد بن كامل يقول: حضرت بعض المشايخ المغفلين فقال: عن رسول الله ﷺ، عن جبريل، عن الله، عن رجل. فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله، فإذا هو (عز وجل)، وقد صحفه.



حدثنا أبو أيوب، سليمان بن إسحاق الخلال، قال: قال إبراهيم الحربي[4]:

---

(١) الصولي: هو محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي، وقد يُعرف بالشطرنجي، نديم، من أكابر علماء الأدب. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس هم: الراضي، والمكتفي، والمقتدر. توفي بالبصرة سنة ٣٣٥هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١:٥٠٨، والنجوم الزاهرة ٣:٢٩٦، وتاريخ بغداد ٣:٤٢٧، والأعلام ٧:١٣٦).

(٢) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار. أديب، لغوي، حافظ للشعر والأخبار. توفي سنة ٢٨٣هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١:٥٠٤، ونكت الهميان ٢٦٥، وميزان الاعتدال ٣:١٢٣، وتاريخ بغداد ٣:١٧٠، والديارات ٥٢ ــ ٦٠، والأعلام ٦:٣٣٤).

(٣) البارع: هو الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، من بني الحارث بن كعب، أديب من علماء اللغة والنحو، وهو من بيت وزارة. وليَ بعض جدوده وزارة المعتضد والمكتفي العباسيين. له ديوان شعر وكتب في الأدب. عمي آخر عمره. توفي ببغداد سنة ٥٢٤هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١:١٥٨، وإرشاد الأريب ٤:٨٨، وإنباه الرواة ١:٣٢٨).

(٤) إبراهيم الحربي: هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي أبو إسحاق، من أعلام المحدثين. أصله من مرو. كان حافظاً للحديث عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام قيِّماً بالأدب زاهداً. توفي سنة ٢٨٥هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢:١٤٧، وإرشاد الأريب ١:٣٧، وصفة الصفوة ٢:٢٢٨، والأعلام ١:٣٢).

قدم علينا محمد بن عباد المهلبي[1]، فذهبنا إليه فسمعنا منه ولم يكن بصيراً بالحديث، حدثنا بحديث فقال: إن النبي ﷺ ضحى بهرة[2] وغلط، إنها التصقت الباء بالقاف.

قال: سمعت محمد بن حمدان يقول: سمعت صالحاً ـ يعني جزرة ـ يقول: قدم علينا بعض الشيوخ من الشام وكان عنده كراس فيه عن جرير، فقرأت عليه: حدثكم جرير عن ابن عثمان أنه كان لأبي أسامة خرزة يرقي بها المريض، فصفحت أنا الخرزة، فقلت: كان لأبي أسامة جزرة، قال الخطيب: وبهذا سمي صالح جزرة.

قال: حدثنا أبو الحسن الدارقطني أن أبا موسى محمد بن المثنى[3]، قال لهم يوماً: نحن قوم لنا شرف، نحن من عنزة، وقد صلّى النبي ﷺ إلينا، لما روي أنه ﷺ صلّى إلى عنزة، توهّم أنه صلّى إليهم العنزة، التي صلّى إليها النبي ﷺ هي حربة كانت تحمل بين يديه فتنصب، فيصلي إليها.

وعن عبد الله بن أبي بكر السهمي، قال: دخل أبي على عيسى بن جعفر بن المنصور[4]، وهو أمير البصرة، فعزّاه عن طفل مات له، ودخل عليه

---

(١) المهلبي: هو محمد بن عباد بن حبيب، أمير البصرة في زمن المأمون العباسي، توفي فيها. وهو من أبناء المهلب بن أبي صفرة. قال ابن تغرّي بردى: كان من أكابر الأمراء، جواداً ممدحاً. وقال المبرد: كان سيِّد أهل البصرة أجمعين. توفي سنة ٢١٦هـ. (راجع ترجمته في الكامل للمبرد، وفي رغبة الآمل ٤: ١٣٨، والنجوم الزاهرة ٢: ٢١٧، والوزراء والكتاب ٢١٥).

(٢) يريد القول: بقرة.

(٣) محمد بن المثنى: أبو موسى العنزي، عالِم بالحديث، من الحفاظ، من أقران بندار. زار بغداد وحدَّث بها، وعاد إلى البصرة فتوفي فيها. يُقال له: «الزمِن». حدّث عنه الأئمة الستة، وابن خزيمة، وابن صاعد. توفي سنة ٢٥٢هـ. (راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٣: ٢٨٣، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٢٥، والجمع بين رجال الصحيحين ٤٥١، وهو فيه: محمد بن المثنى بن عبد قيس. وهذا تحريف).

(٤) عيس بن جعفر: قائد من أمراء بني العباس، وهو أخو زبيدة زوجة الرشيد، وابن عم هارون

شبيب بن شيبة[1]، فقال: أبشر أيها الأمير، فإن الطفل ما يزال محبنظئاً[2] على باب الجنة ويقول: لا أدخل حتى يدخل والداي، فقال له: يا أبا معمر، دع الظاء والزم الطاء، فقال له: أنت تقول لي هذا وما بين «لابتيها» أفصح مني! فقال له أبي: فهذا خطأ ثان، من أين للبصرة لابة! (واللابة الحجارة السود، والبصرة حجارة بيض)؟ قال: فكان كلما انتعش انتكس.

وعن أبي حاتم الرازي، أنه قال: كان عمر بن محمد بن الحسين يصحف فيقول: معاد بن حبل[3]، حجاج بن قراقصة، وعلقمة بن مريد[4]. فقلت له: أبوك لم يسلمك إلى الكتاب؟ فقال: كانت لنا صبية شغلتنا عن الحديث.

قال الدارقطني: وأخبرني يعقوب بن موسى، قال: قال أبو زرعة[5]: كان

الرشيد. بعثه الرشيد عاملاً مع عُمان في ستة آلاف مُقاتل، فانهزم وأُسر وسُجن في صحار، ثم تسوّر عليه بعضهم في السجن فقتلوه فيه نحو سنة ١٨٥هـ. (راجع ترجمته في الأعلام ٥:١٠٢، وتحفة الأعيان ٨٩).

(١) شبيب بن شيبة: أديب الملوك وجليس الفقراء وأخو المساكين. من أهل البصرة. كان يُقال له: «الخطيب» لفصاحته. وكان شريفاً، من الدهاة. ينادم خلفاء بني أميّة ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم. توفي سنة ١٧٠هـ. (راجع ترجمته في البيان والتبيين ١:٦٢، وتهذيب التهذيب ٤:٣٠٧، وثمار القلوب ٢٢، وميزان الاعتدال ١:٤٤١).

(٢) أراد القول: محبنطئاً، وهو الممتنع في ظلال الأشجار.

(٣) يريد القول: معاذ بن جبل. وهو أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي. أسلم وهو فتًى، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب. توفي سنة ١٨هـ. (راجع ترجمته في الإصابة ت:٨٠٣٩، وأسد الغابة ٤:٣٧٦، وحلية الأولياء ١:٢٢٨، ومجمع الزوائد ٩:٣١٠، والأعلام ٧:٢٥٨).

(٤) يريد القول: علقمة بن مرثد، وهو ثقة كما في التقريب. توفي سنة ١٢٠هـ.

(٥) أبو زرعة: هو عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري الدمشقي، من أئمة زمانه في الحديث ورجاله. قال الزركلي في الأعلام: له كتاب في التاريخ وعلل الرجال لا يزال مخطوطاً، ومسائل في الحديث والفقه. توفي سنة ٢٨٠هـ. (راجع ترجمته في =

بشر بن يحيى بن حسان من أصحاب الرازي[1] وكان يناظر فاحتجوا عليه بطاووس[2] فقال: يحتجون علينا بالطيور. قال أبو زرعة: وبلغني أنه ناظر إسحاق في القرعة، فاحتج عليه إسحاق بالأحاديث الصحيحة فأفحمه، فانصرف، ففتش كتبه فوجد في حديث النبي ﷺ القزع، فصحف بالراء، فانصرف وقال لأصحابه: قد وجدت حديثاً أكسر به ظهره، فأتى إسحاق فأخبره، فقال: إنما هو القزع.

وسأل حماد بن زيد[3] غلامٌ فقال: يا أبا إسماعيل، حدثك عمر أن النبي ﷺ نهى عن الخبز، قال: فتبسَّم حماد وقال: يا بني إذا نهى عن الخبز، فمن أي شيء يعيش الناس؟ وإنما هو نهى عن الخمر.

وعن يحيى بن معين[4]، قال: قدم داوود بن أبي هند[5] عليهم بالكوفة، فقام مستملي أهل الكوفة، فقال: كيف حديث سعيد يكفن الصبي في ثوب واحد؟ يريد كفن الصبي في ثوب واحد.

= طبقات الحنابلة للنابلسي ١٤٨، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٢٠٥، والأعلام ٣: ٣٢٠).

(١) الرازي: هو محمد بن إدريس بن المنذر، أبو حاتم الرازي. توفي سنة ٢٧٧هـ.

(٢) طاووس: هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين تفقّهاً في الدين ورواية الحديث وتقشفاً في العيش وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. توفي سنة ١٠٦هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٥: ٨، وصفة الصفوة ٢: ١٦٠، وحلية الأولياء ٤: ٣، وابن خلِّكان ١: ٢٣٣، والأعلام ٣: ٢٢٤).

(٣) يريد القول: حماد بن زيد، وهو من حفاظ الحديث. توفي سنة ١٧٩هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ١: ٢١١، وتهذيب التهذيب ٣: ٩، وحلية الأولياء ٦: ٢٥٧، ونكت الهميان ١٤٧، والأعلام ٢: ٢٧١).

(٤) يحيى بن معين: أبو زكريا. من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله. نعته الذهبي بسيِّد الحفاظ، توفي سنة ٢٣٣هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢: ١٦، والوفيات ٢: ٢١٤، وطبقات الحنابلة ٢٦٨، وتاريخ بغداد ١٤: ١٧٧، والأعلام ٨: ١٧٢).

(٥) داوود بن أبي هند: فقيه أهل البصرة ومفتيها. توفي سنة ١٤٠هـ.

وعن الحسن بن البراء، قال: كان لعمرو بن عون[1] وراق [2] يلحن، فأخره وتقدم إلى وراق أديب أن يقرأ عليه، فقرأ: حدثكم هشيم، فقال: ردونا إلى الأول، فإنه يلحن وهذا يمسخ.

وجاء رجل إلى الليث بن سعد، فقال: كيف حدثك نافع عن النبي ﷺ في الذي نشرت في أبيه القصة؟ قال: حديث أبو حفص بن شاهين[3]، عن النبي ﷺ أنه قال: (يوشك أن الظعينة بلا خفير)، فصحفت، فقال: بلا خفين.

قال: كان حيان بن بشر قد تولى قضاء بغداد وأصبهان، وكان من جملة رواة الحديث، فروى يوماً، أن عرفجة قطع أنفه يوم الكلام، وكان مستمليه رجلاً من أهل كجة، فقال: أيها القاضي إنما هو الكلاب، فأمر بحبسه، فدخل الناس إليه، فقالوا: ما دهاك؟ فقال: قطع أنف عرفجة في الجاهلية وابتليت أنا به في الإسلام.

وعن عبد الله بن ثعلبة[5]، قال: كان رسول الله ﷺ يمسح وجهه من القيح)، قال عبد الله: أخطأ فيه وصحف ـ يعني المخزومي ـ إنما هو (الفيح).

وعن معاوية بن أبي سفيان، قال: لعن رسول الله ﷺ الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر، قال أبو نعيم[6]: شهدت وكيعاً مرة يقول: «يشققون الحطب»،

---

(١) عمرو بن عون الواسطي. حدث عنه البخاري، وكان ثبتاً. توفي سنة ٢٢٣هـ.

(٢) الوراق: الذي صنعته الوراقة، والوراقة كدور النشر اليوم.

(٣) أبو حفص بن شاهين: هو عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين. كان من حفاظ الحديث. له نحو ثلاثمائة مصنف، منها كتاب: «السنّة». سماه صاحب التبيان: «المسند»، وقال: ألف وخمسمائة جزء. توفي سنة ٣٨٥هـ. (راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١١: ٢٦٥، وغاية النهاية ١: ٥٨٨، ولسان الميزان ٤: ٢٨٣، وكشف الظنون ١٤٢٥، والأعلام ٥: ٤٠).

(٤) عبد الله بن ثعلبة: توفي سنة ٨٩. راجع شذرات الذهب ١: ٩٨.

(٥) أبو نعيم: هو عبد الملك بن محمد بن عدي، الفقيه، المتوفى سنة ٣٢٣هـ.

(٦) وكيع: هو محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي، أبو بكر الملقب بوكيع: قاض، باحث، عالِم بالتاريخ والبلدان، وُلِّيَ القضاء بالأهواز. وتوفي سنة ٣٠٦هـ. (راجع ترجمته في البداية والنهاية ١١: ١٣٠، وغاية النهاية ٢: ١٣٧، والوافي بالوفيات ٣: ٤٣، والأعلام ٦: ١١٤).

فقلت: بالحاء؟ قال: نعم.

عن عامر بن صعب، قال: (اعتكفت) عائشة عن أختها بعدما ماتت، كذا، قال وإنما هو (اعتلفت).

قال: حدثنا الشافعي، قال: قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[1]: حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ، قال: إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم.

قال: حدثنا إسحاق بن وهب، قال: كنا عند يزيد بن هارون[2]، وكان له مستمل يقال له بريح، فسأله رجل عن حديث فقال: حدثنا به عدة، فصاح به المستملي يا أبا خالد عدة إبن من؟ قال: عدة بن فقدتك.

قال: حدثني الفضل بن أبي طاهر، قال: صحف رجل في قول النبي ﷺ (عم الرجل صنو أبيه)، فقال: (عم الرجل ضيق آنية).

وعن زكريا بن مهران، قال: صحف رجل (لا يورث حميل إلّا ببينة) ــ الحميل اللقيط ــ فقال: (بثينة).

قال: حضرت أحمد بن يحيى بن زهير ورجل من أصحاب الحديث يقول له: كيف الزبير بن خريت؟ فقال له ابن زبير: لا خريت ولا كنت، إنما هو خريت، والخريت الدليل الحاذق.

---

(١) زيد بن أسلم: أبو أسامة أو أبو عبد الله. فقيه، مفسّر من أهل المدينة. كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من الفقهاء إلى دمشق مستفتياً في أمر. كان ثقة كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي. توفي سنة ١٣٦هـ. وفي الشذرات: روى عن أبيه وجماعة، وهو ضعيف كثير الحديث. توفي سنة ١٨٢هـ.

(٢) يزيد بن هارون: أبو خالد، من حفاظ الحديث الثقات. كان واسع العلم بالدين ذكياً، كبير الشأن. كان يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر. توفي سنة ٢٠٦هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ١ : ٢٩١، والتهذيب ١١ : ٣٦٦، وتاريخ بغداد ١٤ : ٣٣٧، وطبقات الشعراني ١ : ٧٤).

قال العسكري: روى شيخ مغفل، أن النبي ﷺ احتجم[1] وأعطى الحجام آجُرّة ـ بضم الجيم وتشديد الراء.

وقال العسكري: وأنبأ أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا أبي، قال: قرأ القطربلي على ثعلب بيت الأعشى:

فلو كنتَ[2] في حبٍ ثمانين قامةً وَرُقّيتَ أسبابَ السماءِ بسلّمِ

فقال له أبو العباس: خرب بيتك، هل رأيت حباً ثمانين قامة قط؟ إنما هو جب.

قال حجاج[3]: جاء رجل إلى عبد القدوس بن حبيب، فقال له: أعد عليَّ الحديث الذي حدثت به، فقال: لا تتخذوا شيئاً فيه الروح عرضاً. بالعين المهملة والراء المفتوحة، فقال له الرجل: ما معنى هذا؟ فقال: هو الرجل يخرج من داره القسطرون، يعني الروشن[4] والكنيف[5]. قلت: وهذا صحف الحديث، وفسّره على التصحيف، وإنما الحديث: (لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً) بالغين المعجمة.

حدثنا سعيد بن عمر، قال: قال لي أبو زرعة، أظن القاسم بن أبي شيبة رأى في كتاب إنسان، عن ابن فضيل، عن أبيه، عن المغير، عن سعيد بن جبير،[6]

---

(١) احتجم: طلب الحجامة وهي المداواة بالمحجم، وهو آلة كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث فيه تهيجاً ويجذب الدم بقوّة. والحجام: الحلاق.

(٢) رواية ديوان الأعشى: «لئن كنت...».

(٣) حجاج: هو الحجاج بن أرطأة بن ثور النخعي: قاض، من أهل الكوفة، كان من رواة الحديث وحفّاظه، استُفتي وهو ابن ست عشرة سنة. وَوُلِّيَ قضاء البصرة، وتوفي بخراسان أو بالريّ. كان تياهاً معجباً يُعاب بتغيير الألفاظ في الحديث. توفي سنة ١٤٥هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٢: ١٩٦، والأعلام ٢: ١٦٨، وتاريخ بغداد ٨: ٢٣٠).

(٤) الروشن: الكوّة.

(٥) الكنيف: بيت الخلاء.

(المرجية يهود القبلة) فعلقه ولم يضبطه، فكان يحدث به عن ابن فضيل فيقول: (المرء حيث يهوى قلبه).

قال الدارقطني: وسمعت أبا العباس ابن أبي مهران يقول: كان ابن جميل الرازي يريد أن يخرج التفسير فأخرجه في رقاع، فأخرج ذات ليلة رقعة إلى الوراقين، فقال: (الأكثرون هم الأقلون إلاّ من قال بالمال هكذا وهكذا)، في أي سورة هو؟ فقال له الوراق: ليس هذا من القرآن، فخجل ولم يخرج التفسير بعد.

قال: سمعت البرقاني[1] يقول: قال لي الأهوازي[2] الفقيه: كنت عند يحيى بن صاعد فجاءته امرأة، فقالت له: أيها الشيخ ما تقول في بئر سقطت فيها دجاجة فماتت، هذا الماء طاهر أم نجس؟ فقال يحيى: ويحك، كيف سقطت الدجاجة في البئر؟ قالت: لم تكن البئر مغطاة، قال يحيى: ألا غطيتها حتى لا يقع فيها شيء، قال الأهوازي: فقلت: يا هذه إن كان الماء قد تغير وإلاّ فهو طاهر.

قال: كنا عند بندار، فقال في حديث عن عائشة، قال: قالت: رسول الله ﷺ، فقال رجل يسخر به، أعيذك بالله ما أفصحك، فقال: كنا إذا خرجنا من عند روح دخلنا إلى أبي عبيدة، فقال: قد بان ذلك عليك.

---

(١) سعيد بن جبير: أبو عبد الله، تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. توفي سنة ٩٥هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١:٢٠٤، وطبقات ابن سعد ٦:١٧٨، وتهذيب التهذيب ٤:١١، والأعلام ٣:٩٣).

(٢) البرقاني: هو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر المعروف بالبرقاني، عالِم بالحديث، من أهل خُوارزم. له مسند ضمّنه ما اشتمل عليه البخاري ومسلم. وجمع حديث سفيان الثوري وشعبة وأيوب وآخرين. توفي سنة ٤٢٥هـ. (راجع ترجمته في اللباب ١:١١٣، وتاريخ بغداد ٤:٣٧٣).

(٣) الأهوازي: هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد. اشتغل في الحديث وكان مقرىء الشام في عصره. توفي سنة ٤٤هـ.

قال: حدثنا عبيد الله بن موسى[١] والفريابي[٢]، عن إسرائيل[٣]، عن أبي إسحاق[٤]، عن حارثة بن مضرب، قال: برز عيينة وشيبة والوليد فقالوا: من يبارز؟ فخرج من الأنصار، قال: عبد الله ستة، والفريابي شيبة. قال الدارقطني: قوله ستة تصحيف، والأصح ما قاله الفريابي، لأن الذين خرجوا من الأنصار ثلاثة.

قال الدارقطني: وقرأت في أصل أبي عبد الله بن مخلد، عن يحيى بن معين، قال: قال الوراق في حديث عائشة أن النبي ﷺ لمّا أتى البقيع[٥] حسناً رأيته.

قال الدارقطني: حدثنا أبي قال: ورد يحيى بن آدم فقال: أخطأ في حديث كعب، قال: قال الله: أنا أشج وأداوي، وأخطأ يحيى قبيحاً، فقال: أسحر وأداوي.

قال أبو الهيثم القاضي: سمعت أحمد بن صالح[٦] يقول: قدمت (أبلة)[٧]

---

(١) عبيد الله بن موسى: كان إماماً في الفقه والقرآن. توفي سنة ٢١٣هـ. (راجع غاية النهاية ١:٤٦٢).

(٢) الفريابي: هو محمد بن يوسف بن واقد الضبي بالولاء، أبو عبد الله الفريابي، عالِم بالحديث. من الحفاظ. توفي سنة ٢١٢هـ. (راجع ترجمته في الشذرات ٢:٢٨، وتذكرة الحفاظ ١:٣٤١، والتهذيب ٩:٥٣٥).

(٣) إسرائيل: هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي. كان ثقة. توفي سنة ١٥٩هـ.

(٤) أبو إسحاق: هو عمر بن عبد الله بن علي بن أحمد. كان شيخ الكوفة. توفي سنة ١٢٧هـ.

(٥) البقيع: أصل البقيع في اللغة: الموضع الذي فيه أُروم الشجر من ضروب شتّى، وبه سُمِّي بقيع الغرقد، وهو مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة. وهناك أكثر من بقيع (راجع معجم البلدان ١:٤٧٣).

(٦) أحمد بن صالح: مقرىء، عالِم بالحديث وعلله، حافظ ثقة. حدَّث بدمشق وبأنطاكية. توفي بمصر سنة ٢٤٨هـ. (راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٤:١٩٥، وغاية النهاية ١:٦٢، وطبقات الذهبي ١:١٥٢ ـ ١٥٦).

(٧) الأبلة: بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة. (راجع معجم البلدان ١:٧٧).

فتلقيت سلامة بن روح، فسمعته يحدث حديثاً لسقيفة، فقال فيه: ولا بيعة للذي بايع بعرة أن يفتلا، فقلت: إنما هو (تغرة أن يقتلا)، فقال لي: لا، هو كما قلت لك، قلت: فما معناه؟ قال: البعرة تفتلها في يدك تفتيلاً فتنتشر.

قال الدارقطني: أملى علينا أبو بكر الصولي حديث أبي أيوب، (من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال)، فقال: شيئاً من شوال.

وروى أحمد بن جعفر الحنبلي حديث أبي سعيد (لا حليم إلاّ ذو عثرة)، فقال: (غيرة) بالغين المعجمة والياء.

قال الدارقطني: وحدثنا محمد بن أحمد، قال: أملى علينا أبو شاكر مولى المتوكل في حديث (اكتحلوا وتراً واذهبوا عنا)، أراد وادهنوا غباً.

قال: وقد روى ابن لهيعة[١] أن رسول الله ﷺ احتجم في المسجد، وإنما هو احتجر[٢].

قال الدارقطني: بلغني أن امرأة جاءت إلى عليّ بن داوود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس، فقالت له: حلفت بصدقة إزاري، قال: بكم اشتريته؟ قالت: باثنتين وعشرين درهماً، قال: اذهبي، فصومي اثنتين وعشرين، قال: فلما مرت أخذ يقول: آه، آه، غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار[٣].

---

(١) ابن لهيعة: هو عبد الله بن لهيعة بن فرعان الحضرمي المصري، أبو عبد الرحمن، قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره. قال الإمام أحمد بن حنبل: ما كان محدّث مصر إلاّ ابن لهيعة. وقال سفيان الثوري: عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع. وُلِّيَ قضاء مصر للمنصور العباسي سنة ١٥٤هـ. قال الذهبي: كان ابن لهيعة من الكتّاب للحديث والجمّاعين للعلم والرحّالين فيه. توفي بالقاهرة سنة ١٧٤هـ. (راجع ترجمته في الولاة والقضاة ٣٦٨، والنووي ١: ٣٨٣، وميزان الاعتدال ٢: ٦٤).

(٢) احتجر: اتخذ حجرة، واحتجر الشيء: وضعه في حجرة، أي: احتضنه.

(٣) الظهار: مشتق من الظهر، وهو قول الرجل لزوجته: أنتِ عليّ كظهر أمي. وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية فأبطل الإسلام هذا الحكم، وجعل الظهار محرماً للمرأة حتى يكفّر زوجها، فلو ظاهر الرجل يريد الطلاق كان ظهاراً، ولو طلق يريد ظهاراً كان طلاقاً (راجع فقه السنة ٢: ٣٠٩).

حدثني محمد بن عدي البصري، قال: رأيت رجلاً وهو يقول: قال النبي ﷺ:

مَنْ بَرَّ يوماً بَرَّ بِهِ والدّهر لا يَغْتَرُّ بِهِ

قال: حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى بن معين يقول عن سعيد بن مسلم: كان عنده كتاب عن منصور، فقال له رجل: سمعت هذا الكتاب؟ فقال: حتى يجيء أبي وأسأله.

قال الدارقطني: سمعت حمزة السهمي[1] يقول: سمعت على شيخ وأخذنا بكتابة السماع، فقال: اكتبوا اسمي معكم، فقلت للإسماعيلي: من الغفلة ذلك؟ قال: نعم.

حدثني أبو الحسن بن خلف الفقيه، قال: كتب لنا بعض المشايخ خطه في إجازة ولم يكتب اسمه، فقلنا له: اكتب اسمك، فقال: والله، لا أفعل ولا أكتب اسمي لمن لا أعرفه.

وعن أحمد بن علي بن ثابت[2] قال: قرأت في كتاب أبي الفتح عبد الله بن أحمد النحوي بخطة: سمعت القاضي أحمد بن كامل[3] يقول: ما جمع أحد من

---

(١) حمزة السهمي: مؤرخ من الحفاظ، من أهل جرجان. تولى بها الخطابة والوعظ. رحل إلى أصبهان والريّ ونيسابور وغزنة وغيرها من بلاد خراسان والأهواز، ودخل العراق والشام ومصر والحجاز. عدّه السخاوي من أئمة الجرح والتعديل. توفي سنة ٤٢٧هـ. (راجع ترجمته في تاريخ جرجان، واللباب ١ :٥٨٠، والأعلام ٢ : ٢٨٠).

(٢) أحمد بن علي بن ثابت: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. كان فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر وَلُوعاً بالمطالعة والتأليف. توفي سنة ٤٦٣هـ. (راجع ترجمته في معجم الأدباء: ١ :٢٤٨، وطبقات الشافعية ٣ :١٢، وابن عساكر ١ :٣٩٨، ووفيات الأعيان ١ :٢٧، والأعلام ١ :١٧٢).

(٣) أحمد بن كامل: هو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور البغدادي الشجري: قاض، من أهل بغداد. كان عالماً بالأحكام والقرآن والأدب والتاريخ. له عدة مصنفات. وُلِّيَ قضاء الكوفة وكان متساهلاً في الحديث. توفي سنة ٣٥٠هـ. (راجع ترجمته في الجواهر المضية ١ :٩٠، والأعلام ١ :١٩٩).

العلم ما جمع محمد بن موسى البربري، ودخلت عليه يوماً وهو مغموم فقلت له: ما لك؟ فقال: فلانة ــ يعني امرأته ــ حملتني على أن أعتقت هذه الجارية وقد بقيت لا أمة لي تخدمني ولا أحد يعينني، قلت: وأي شيء مقدار ثمنه الجارية؟ فقال: إن امرأتي دفعت إليَّ دنانير أشتري لها بها جارية، فاشتريت هذه الجارية، فقلت: تعتق ما لا تملك؟ قال: كأنه لا يجوز، قلت: لا، الجارية لها عليَّ ملكها، فجعل يدعو لي.

قال الجاحظ: أمليت مرة على إنسان عمراً، فاستملى ستراً وكتب زيداً.

قال إسماعيل بن محمد الحافظ: كنا بمجلس نظام الملك[1]، فأملى:

أفٍّ للدُّنيَا الدنيَّة دَرَاهم وَبليّة

فقال: المستملي وتلية؟ فقيل له: وبلية، فقال: وملية، فضحك الجماعة، فقال النظام: اتركوه.

ذكر محمد بن الحسن، عن بعض المغفلين، وقيل له: فلان مات في الري[2]، فقال: إلى الري رحلتان لا أدري في أيهما مات.

قال: سمعت أحمد بن محمد بن عيسى الوراق يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي[3] يقول: سمعت أبي يقول: كتب إلى

---

(١) نظام الملك: هو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، أبو علي، الملقب بقوام الدين، نظام الملك، وزير حازم عالي الهمّة، أصله من نواحي طوس، تأدب بآداب العرب وسمع الحديث الكثير واشتغل بالأعمال السلطانية، فاتّصل بالسلطان إلب أرسلان فاستوزره فأحسن التدبير، وبقي في خدمته عشر سنين. توفي سنة ٤٨٥هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١: ١٤٣، وابن الأثير ١٠: ٧٠، والروضتين ١: ٢٥، والأعلام ٢: ٢٠٢).

(٢) الريّ: مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً، وإلى قزوين ٢٧ فرسخاً. (راجع معجم البلدان ٣: ١١٦).

(٣) الرازي: هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالريّ وإليها =

صالح بن محمد العبادي أن محمد بن يحيى لمّا مات أجلسوا مكانه محدثاً يُعرف بمحمد بن زيد، فأملى عليهم (يا أبا عمير، ما فعل البعير)، وأملى عليهم: (لا تصحب الملائكة رفقة فيها حرس)[1]، يعني الذئب.

وذكر أبو سليمان الخطابي[2] أن عبد الله بن عمار قال: سرقت مني عبية ومعنا رجل متهم، فجئت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقلت: قد هممت أن آتي به مصفوداً[3]، فقال: بغير بينة؟ قال الخليل: هذا مما صحف فيه الراوي، إنما قال عمر: تفترسه، يعني تتقوى عليه لأنه لو أقام عليه البينة لم يكن له في الحكم تكتيفه.

ويحكى أن يحيى بن معين قال: صحف رجل في حديث أبي عبيدة أنه كان على الحسر، فروى على الجسر، والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه.

قال الخطابي: وصحف بعضهم، لو صليتم حتى تكونوا كالحنائز. وصف آخر في حديث يأجوج ومأجوج أنها إذا هلكت أكلت منها دواب الأرض فتشكر ـ أي تسمن ـ فصحف فقال: تسكر من سكر الشراب.

وحكى لنا أبو بكر ابن عبد الباقي البزاز، صحف رجل فقال: حدثنا سقنان البوري، عن جلد المجدا، عن اتش، عن النبي ﷺ، قال: اذهبوا عنا. أراد

= نسبته. توفي سنة ٣٢٧هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ٣: ٤٦، وفوات الوفيات ١: ٢٦٠، وطبقات الحنابلة ٢: ٥٥، والأعلام ٣: ٣٢٤).

(١) يريد القول: جرس، بالجيم.

(٢) الخطابي: هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه، محدث، من أهل بست من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب). توفي سنة ٣٨٨هـ. (راجع ترجمته في الوفيات ١: ١٦٦، وإنباه الرواة ١: ١٢٥، ويتيمة الدهر ٤: ٢٣١، والأعلام ٢: ٢٧٣).

(٣) الفصد: شق العرق.

سفيان الثوري[1]، عن خالد الحذاء[2]، عن أنس[3]، عن النبي ﷺ قال: «ادهنوا غباً».

* * *

(١) سفيان الثوري: أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيّد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. نشأ في الكوفة. وتوفي سنة ١٦١هـ.

(٢) خالد الحذّاء: هو خالد بن مهران الحذاء البصري، من الحفاظ. كان ثقة. توفي سنة ١٤٢هـ.

(٣) أنس: هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري أبو ثمامة أو أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً، مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض سنة ٩٣هـ. (راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ١٠، وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٣٩، وصفة الصفوة ١: ٢٩٨، والأعلام ١: ٢٤).

الباب الثاني عشر:

في ذِكْر المغفلين من الأمراء والولاة

قال محمد بن زياد: كان عيسى بن صالح بن علي يحمق، وكان له ابن يُقال له عبد الله، من عقلاء الناس، فتولى عيسى جند (قنسرين)[1] فاستخلف ابنه على العمل، قال ابنه: فأتاني رسوله في بعض الليل يأمرني بالحضور في وقت منكر لا يحضر فيه إلّا لأمر مهم. فتوهمت أن كتاباً ورد من الخليفة في بعض الأشياء التي يحتاج فيها إلى حضوري وحضور الناس، فلبست السواد وتقدّمت بالبعثة إلى وجوه القواد وركبت إلى داره، فلما دخلتها سألت الحجاب: هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث أمر؟ فقالوا: لم يكن من هذا شيء، فصرت إلى الدار إلى موضع تخلف الحجاب عنه، فسألت الخدام أيضاً، فقالوا مثل مقالة الحجاب، فصرت إلى الموضع الذي هو فيه، فقال لي: أدخل يا بني، فدخلت، فوجدته على فراشه، فقال: علمت يا بني، إني سهرت الليلة في أمر أنا أفكر فيه إلى الساعة، قلت: أصلح الله الأمير، ما هو؟ قال: اشتهيت أن يصيرني الله من الحور العين ويجعل في الجنة زوجي يوسف النبي، فطال في ذلك فكري، قلت: أصلح الله الأمير، فالله عز وجل قد جعلك رجلاً، فأرجو أن يدخلك الجنة ويزوجك من الحور العين، فإذا

---

(١) قنسرين: مدينة في سوريا الشمالية، وكانت إحدى الولايات العسكرية. وكان فتح قنسرين على يد أبي عبيدة بن الجراح في سنة ١٧هـ، وكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً.
قال أحمد بن يحيى: سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من اليرموك إلى حمص فاستقراها، ثم إلى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة قنسرين ثم لجأوا إلى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم وغلب المسلمون على أرضها وقراها. (راجع معجم البلدان ٤:٤٠٣).

وقع هذا في فكرك، فهلا اشتهيت محمداً ﷺ أن يكون زوجك فإنه أحق بالقرابة والنسب، وهو سيد الأولين والآخرين في أعلى عليين؟ فقال: يا بني لا تظن أني لم أفكر في هذا، فقد فكرت فيه ولكن كرهت أن أغيظ السيدة عائشة.

حدثنا المدائني[1]، قال: جاء رجل من أشراف الناس إلى بغداد، فأراد أن يكتب إلى أبيه كتاباً يخبره، فلم يجد أحداً يعرفه، فانحدر بالكتاب إلى أبيه وقال: كرهت أن يبطىء عليك خبري ولم أجد أحداً يجيء بالكتاب، فجئت أنا به، ودفعه إليه.

قال ابن خلف: واختصم رجلان إلى بعض الولاة، فلم يحسن أن يقضي بينهما، فضربهما وقال: الحمد لله الذي لم يفتني الظالم منهما.

أخبرني سعيد بن جعفر الأنباري قال: سمعت أبي يقول: غضب أبو الخيثم على عامل له، فكلِّم في الرضاء عنه، فقال: لا والله أو يبلغني عنه أنه قبل رجلي.

قال أبو عثمان الجاحظ: كان فزارة صاحب مظالم البصرة، وكان أطول خلق الله لحية وأقلهم عقلاً، وهو الذي قال فيه الشاعر:

ومِنَ المَظَالِم أنْ تَكو ... نَ على المَظَالِم يا فَزَارَهْ

أخذ الحجام يوماً من شعره، فلما فرغ دعا بمرآة، فنظر فيها فقال للحجام:

---

(١) المدائني: هو علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني، راوية، مؤرخ، كثير التصانيف من أهل البصرة. سكن المدائن ثم انتقل إلى بغداد، فلم يَزَل فيها إلى أن توفي سنة ٢٢٥هـ. أورد ابن النديم أسماء نيف ومئتي كتاب من مصنفاته في المغازي، والسيرة النبوية، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء والفتوح، والجاهليين، والشعراء والبلدان. قال ابن تغرّي بردى: وتاريخه أحسن التواريخ، وعنه أخذ الناس تواريخهم. (راجع ترجمته في تاريخ بغداد ١٢: ٥٤، وإرشاد الأريب ٥: ٣٠٩، وابن النديم ١: ١٠٠، والأعلام ٤: ٣٢٣).

أما شعر رأسي فقد جوزت أخذه، ولكنك والله يا ابن الخبيثة سلخت على شاربي ووضع يديه عليه.

وسمع فزارة يوماً صياحاً فقال: ما هذا الصياح؟ فقالوا: قوم يتكلمون في القرآن. فقال: اللهم أرحنا من القرآن.

واجتاز به صاحب دراج فقال: بكم تبيع هذا الدراج؟ فقال: واحد بدرهم، قال: لا، قال: كذا بعت، قال: نأخذ منك اثنتين بثلاثة دراهم، قال: خذ، فقال: يا غلام، اعطه ثمن اثنين ثلاثة دراهم، فإنه أسهل للمبيع.

وبلغنا أن الملهب[1] ولى بعض الأعراب كورة بخراسان وعزل واليها، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اقصدوا لما أمركم الله به، فإنه رغبكم في الآخرة الباقية وزهّدكم في الدنيا الفانية، فرغبتم في هذه وزهدتم في تلك، فيوشك أن تفوتكم الفانية ولا تحصل لكم الباقية فتكونوا كما قال الله تعالى: (لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت)[2]، واعتبروا بالمغرور الذي عزل عنكم، سعى وجمع فصار ذلك كله إليَّ على رغم أنفه، وصار كما قال الله سبحانه وتعالى:

أتْشري أمّ خَالدٍ ربّ ساعٍ لَقَاعدٍ

ثم نزل عن المنبر.

---

(١) المهلّب: هو المهلّب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد: أمير، بطاش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق. وُلِّيَ إمارة أهل البصرة لمصعب بن الزبير وانتدب لقتال الأزارقة، فحاربهم تسعة عشر عاماً حتى تمّ له الظفر بهم. ولّاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فمات فيها سنة ٨٣هـ. (راجع ترجمته في الإصابة ت: ٨٦٣٥، والوفيات ٢: ١٤٥، وابن الأثير ٤: ١٨٣، والطبري ٨: ١٩، والأعلام ٧: ٣١٥).

(٢) راجع مجمع الأمثال للميداني.

وبلغنا أن يزيد[1] بن الملهب ولى إعرابياً على بعض كور[2] خراسان، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر وقال: الحمد لله ثم ارتج[3] عليه، فقال: أيها الناس إياكم والدنيا، فإنكم لم تجدوها إلّا كما قال الله تعالى:

ومَا الدُّنيا بباقية لحيّ   وما حيٌّ على الدُّنيا بباقي

فقال كاتبه: أصلح الله الأمير هذا شعر، قال: فالدنيا باقية على أحد؟ قال: لا، قال: فيبقى عليها أحد؟ قال: لا، قال: فما كلفتك إذن؟

وبلغنا أن بعض العرب خطب في عمل وليه فقال في خطبته: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر، فقيل له: في ستة أيام، فقال: والله أردت أن أقولها ولكن استقللتها.

قال: حدثنا أبو بكر النقاش[4]، قال: كتب كاتب منصور بن النعمان إليه من البصرة أنه أصاب لصاً فكره الأقدام على قطعه دون الاستطلاع على أمره، وأنه خياط، فكتب إليه: إقطع رجله ودع يده، فقال: إن الله أمر بغير ذلك، فكتب إليه: أنفذ ما أمرتك به، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

---

(١) يزيد بن المهلّب: أبو خالد، أمير من القادة الشجعان الأجواد. وُلِّيَ خراسان بعد وفاة أبيه، فمكث نحواً من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج. تولى العراق في خلافة سليمان بن عبد الملك، ثم خراسان. أخباره كثيرة. قُتل في مكان يُسمَّى العقر بين واسط وبغداد سنة ١٠٢هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٢: ٢٦٤، وخزانة البغدادي ١: ١٠٥، ومعجم ما استعجم ٩٥٠، والأعلام ٨: ١٨٩).

(٢) الكور: جمع كورة وهي المقاطعة أو الإقليم.

(٣) ارتجَّ عليه: صعب الكلام عليه.

(٤) النقّاش: هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقّاش. عالِم بالقرآن وتفسيره. أصله من الموصل ومنشأه ببغداد. رحل رحلة طويلة، وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان، فعرف بالنقّاش. توفي سنة ٣٥١هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٤٨٩، وإرشاد الأريب ٦: ٤٩٦، وغاية النهاية ٢: ١١٩، وميزان الاعتدال ٣: ٤٥، والأعلام ٦: ٨١).

وأتى منصوراً نخاس[1] ببغل، فقال: هذا شراؤه أربعون ديناراً، فقال: لا تربح عليَّ هذه المرة، يا غلام، اعطه ألفاً وخمسمائة دينار.

ودخل على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، الموت فاشٍ بالكوفة ولكنه سليم.

ودخل على أحمد بن أبي حاتم وهو يتغدى برؤوس، فقال له أحمد: هلمَّ يا أبا سهل، فإنها رؤووس الرضع، فقال: هنيئاً، أطعمنا الله وإياك من رؤوس أهل الجنة.

وقال المأمون: يا منصور قد مدت دجلة فأشر علينا، فقال تكتري[2]: مئة سقاء يستقون ذا الماء يرشون الطريق، فقال له المأمون: حرت فيك.

قال: حدثنا محمد بن خلف، قال بعض الولاة لكاتبه: أكتب إلى فلان وعنّفه وقل له بئس ما صنعت يا خرا، فقال الكاتب: أعزّك الله لا يحسن هذا في المكاتبة، قال: صدقت إلْحسْ موضع الخرا بلسانك.

أخبرني الأمير أبو بكر بن بدر، قال: شغب رجال على الحسين بن مخلد يوماً وطالبوه بالمال فقال: أنا معي مال في بيتي أخرجه، وإنما أنا للسلطان كالمرملة إن صب في أعلاي شيئاً أخذتموه من أسفلي، فإن صبرتم إلى أن ترد الأموال فرقت عليكم وإلّا فالأمر لكم.

حدثنا أبو علي محمد بن الحسن الكاتب، قال: كنت أكتب لأبي الفضل ابن علان وهو بأرجان[3] يتقلدها، فقيل له: قدم أبو المنذر النعمان بن عبد الله يريد فارس، والوجه أن تلقاه في غد، وكان ابن الفضل يحم حمى الربع، فقال: كيف أعمل وغداً يوم حماي ولا أتمكن من لقاء الرجل! ولكن الوجه إن أحم الساعة حتى

---

(١) النخاس: تاجر العبيد.

(٢) تكتري: تستأجر.

(٣) أرجان: مدينة كبيرة قريبة من شيراز (راجع معجم البلدان ١ :١٤٣).

أقدر عليه غداً، يا غلام، هات الدواج حتى أحم الساعة فإذا عنده أنه أراد أن يقدم نوبة الحمى ويصبح غداً تأخرت عنه الحمى.

حدثنا المدائني، قال: كان عبد الله بن أبي ثور والي المدينة، فخطبهم فقال: أيها الناس، اتقوا الله وارجوا التوبة، فإنه أهلك قوم صالح في ناقة قيمتها خمسمائة درهم. فسموه مقوم الناقة وعزله الزبير.

قال: وكتب حيان عامل مصر إلى عمر بن عبد العزيز[١]: إن الناس قد أسلموا فليس جزية، فكتب إليه عمر: أبعد الله الجزية، إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً للجزية.

حدثنا سليمان بن حسن بن مخلد، قال: حدثني أبي، قال: كنت عند شجاع بن القاسم[٢] وقد دخل قوم من المتظلمين خاطبهم في أمورهم فقال: ليس النظر في هذا الآن والأمير يجلس للنظر في هذا ومثله أول من أمس فتصيرون إليه.

دخل شجاع على المستعين[٣] مرة وطرف قبائه[٤] مخرق، فسأله عن سبب ذلك، فقال: اجتزت في الدرب وكان فيه كلب، فوطأت قباءه فخرق ذنبي... فما تمالك المستعين أن ضحك.

---

(١) عمر بن عبد العزيز: الخليفة العادل. توفي سنة ١٠١هـ.

(٢) شجاع بن القاسم: كان كاتب أوتامش التركي المتحكم في الدولة العباسية في عهد المستعين بالله. قُتل سنة ٢٤٩هـ.

(٣) المستعين: هو أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس، من خلفاء الدولة العباسية في العراق، بويع بسامراء بعد وفاة المنتصر ابن المتوكل سنة ٢٤٨هـ. قال اليعقوبي: ولم يكن يؤهّل للخلافة، ولكن لما توفي المنتصر استوحش الأتراك من ولد المتوكل فبايعوه وأنكر بعض القواد البيعة، ففرّق أموالاً كثيرة فاستقامت أموره وكان المتحكم في الدولة على عهد أوتامش التركي ورجاله، فثارت عصبة من الأتراك والموالي على أوتامش ـ بموافقة المستعين ـ فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم سنة ٢٤٩هـ. وكتب المستعين إلى الآفاق بلعنه. توفي المستعين سنة ٢٥٢هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٧:٣٧، واليعقوبي ٣:٢١٨، والطبري ١١:٨٢، والأعلام ١:٢٠٤).

(٤) القباء: الثوب. والمخرق: الممزق.

وعن جرير بن المقفع، عن وزير كسرى، قال: كان قباذ أحمق، كان يأتي البستان فيشم الريحان في منبته ويقول: لا أقلعه رحمة له.

وبلغنا عن نصر بن مقبل ــ وكان عامل الرشيد على الرقة[1] ــ أنه أمر بجلد شاة الحد[2]، فقالوا: إنها بهيمة، قال: الحدود لا تعطل، وإن عطلتها فبئس الوالي أنا. فانتهى خبره إلى الرشيد، فلما وقف بين يديه قال: من أنت؟ قال: مولى لبني كلاب، فضحك الرشيد، وقال: كيف بصرك بالحكم؟ قال: الناس والبهائم عندي واحد في الحق، ولو وجب الحق على بهيمة وكانت أمي أو أختي لحددتها ولن تأخذني في الله لومة لائم. فأمر الرشيد أن لا يستعان به.

حضر بعض حكماء الهند مع وزير ملكهم وكان الوزير ركيكاً، فقال للحكيم: ما العلم الأكبر؟ قال: الطب، قال: فإني أعرف من الطب أكثره، قال: فما دواء المبرسم[3] أيها الوزير؟ قال: دواؤه الموت حتى تقل حرارة صدره، ثم يعالج بالأدوية الباردة ليعود حياً، قال: ومن يحييه بعد الموت؟ قال: هذا علم آخر وجد في كتاب النجوم ولم أنظر في شيء منه إلاّ في باب الحياة، فإني وجدت في كتاب النجوم أن الحياة للإنسان خير من الموت، فقال الحكيم: أيها الوزير الموت على كل حال خير للجاهل من الحياة.

عرض أبو خندف دوابه فأصاب فيها واحدة عجفاء مهزولة، فقال: هاتوا الطباخ، فبطحه وضربه خمسين مقرعة[4] وقال له: ما لهذه الدابة على هذه الحال؟ قال: يا سيدي، أنا طباخ ما علمي بأمر الدواب، قال: بالله أنت طباخ! فلِمَ لم تقل

---

(١) الرّقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي. (راجع معجم البلدان: ٣: ٥٩).

(٢) الحدّ: العقوبة، وحدود الله طاعته وأحكامه الشرعية.

(٣) البرسام: هو التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب. وبُرسم: أُصيب بالبرسام فهو مبرسم.

(٤) المقرعة: السوط وكل ما قرعت به وضربت.

لي، اذهب الآن، فإذا كان غداً أضرب السائس ستين مقرعة يفضل عشرون فطب نفساً.

وروى أبو الحسن محمد بن الهلال الصابي[1]. قال: خرج قوم من الديلم[2] إلى أقطاعهم فظفروا باللص المعروف بالعراقي، فحملوه إلى الوزير أبي محمد المهلبي[3]، فتقدم بإحضار أبي الحسين أحمد بن محمد القزويني الكاتب، وكان ينظر في شرطة بغداد، فقال له المهلبي: هذا اللص العيار[4] العراقي الذي عجزتم عن أخذه، فخذوه واكتب خطك بتسليمه.

فقال: السمع والطاعة إلى ما أمر به الوزير، ولكنك تقول ثلاثة وهذا واحد، فكيف أكتب خطي بتسليم ثلاثة؟ فقال: يا هذا، هذا العدد صفة لهذا الواحد، فكتب يقول: أنا أحمد بن محمد القزويني الكاتب تسلمت من حضرة الوزير اللص العيار العراقي ثلاثة وهم واحد رجل، وكتب بخطه في التاريخ. فضحك الوزير وقال النصراني هناك: قد صحح القزويني مذهبكم في تسليم هذا اللص.

وقال بعض الكتاب لمغنية: أكتبي لي هذا الصوت، فقالت: أنت الكاتب، فقال: أنت تكتبينه بلحنه، وأنا لا أحسن أكتبه أن بلحنه.

---

(١) الصابيء: هو محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابيء، أبو الحسن، مؤرخ، أديب، مترسل. من أهل بغداد. كان محترماً عند الخلفاء والملوك. توفي سنة ٤٨٠هـ. (راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ٥: ١٢٦، وكشف الظنون ٢٠٤٥، والأعلام ٧: ١٣٢).

(٢) الديلم: ماء في أرض اليمامة، وقيل غير ذلك. (راجع معجم البلدان ٢: ٥٤٤).

(٣) الوزير المهلبي: هو الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو محمد: من كبار الوزراء، الأدباء الشعراء. اتصل بمعزّ الدولة بن بويه، فكان كاتباً في ديوانه، ثم استوزره. وكانت الخلافة للمطيع العباسي، فقرّبه المطيع وخلع عليه ثم لقبه بالوزارة، فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان، ولُقِّبَ بذي الوزارتين. كان من رجال العالم حزماً ودهاءً وكرماً وشهامة. له شعر رقيق. توفي سنة ٣٥٢هـ. (راجع ترجمته في دول الإسلام والفوات ٢: ٥٥، ويتيمة الدهر ٢: ٨، والأعلام ٢: ٢١٣).

(٤) العيار: الشرير الكثير التجول والطواف، والذي يتردد بلا عمل يخلّي نفسه وهواها.

قال أبو الحسن بن هلال الصابىء: عرض على الوزير ذي السعادات أبي الفرج محمد بن جعفر[1] بعض التجار المسافرين ثلاث شقاق حرير، فبقيت عنده مدة، فجاء صاحبها وطلبها، ففتح الوزير الدواة وكتب على هذه بخط غليظ: هذه لا تصلح، وكتب على أخرى: وهذه مرضية، وعلى أخرى: وهذه غالية، وقال: ادفعوها إليه. فأخذها الرجل وقد تَلفَتْ عليه.

قال: وكان إذا أخطأ الفرس تحته يأمر بقطع علفه تأديباً له، فإذا قيل له في ذلك، قال: أطعموه ولا تعلموه أنني علمت بذلك.

وجاء بعض النصارى إلى عبد الله بن بشار ـ وكان عامل المدينة ـ فقال: أريد أن أسلم على يدك، فقال: يا ابن الفاعلة ما وجدت في عسكر أمير المؤمنين أهون مني، جئت تريد أن تلقي بيني وبين عيسى ابن مريم كلاماً إلى يوم القيامة.

صعد بعض الولاة المنبر، فخطب فقال: إن أكرمتموني أكرمتكم وإن أهنتموني ليكونن أهون عليَّ من ضرطتي هذه، وضرط ضرطة.

جاز بعض الأمراء المغفلين على بياع الثلج فقال: أرني ما عندك، فكسر له قطعة وناوله، فقال: أريد أبرد من هذا، فكسر له من الجانب الآخر، فقال: كيف سعر هذا؟ فقال: رطل بدرهم ومن الأول رطل ونصف بدرهم، فقال: زِن من الثاني.

وجاز يوماً بطين في شارع باب الشام، فقال لأصحابه: السلطان يريد أن يركب، فإن أنا رجعت ورأيت هذا الطين موضعه ضربته بالنار ولا ينفعكم شفاعة أحد.

خطب قبيصة ـ وهو خليفة أبيه على خراسان ـ فأتاه كتابه فقال: هذا كتاب الأمير وهو والله أهل أن يطاع وهو أبي وأكبر مني.

---

(١) محمد بن جعفر: هو محمد بن جعفر بن محمد بن العباس، أبو الفرج، وزير من الأدباء الكتّاب. كان يلقب بذي السعادات، من أهل بغداد، فارسي الأصل، توفي معتقلاً سنة ٤٤٠هـ. (راجع سِيَر النبلاء، الطبقة الثالثة والعشرون).

وحكى أبو إسحاق الصابي: أن رجلاً من كبار كتّاب العجم يعرف بأبي العباس بن درستويه[1]، حضر مجلس أبي الفرج محمد بن العباس[2] وهو جالس للعزاء بأبيه أبي الفضل، وقد ورد نعيه من الأهواز، وعند أبي الفرج رؤساء الدولة، وقد ولي الديوان مكان أبيه، فلما تمكن ابن درستويه في المجلس تباكى، وقال: لعل هذا إرجاف ورد كتابه، فقال له أبو الفرج: قد ورد عدة كتب، فقال: دع هذا كله، ورد كتابه بخطه؟ فقال: لو ورد كتابه بخطه ما جلسنا للعزاء.. فضحك الناس.

وأنشد عبد الله بن فضلويه عامل (قرميسين)[3] في مجلسه، والمجلس غاص بأهله، هذا البيت:

يومُ القيامة يومٌ لا دَواءَ لَهُ ... إلّا الطّلاء وإلّا اللهو والطّربُ

فقال بعض الحاضرين: إنما هو يوم الحجامة، فقال: اعذروني، فإني لا أحسن النحو.

* * *

(١) ابن درستويه: هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه بن المرزبان، أبو محمد: من علماء اللغة، فارسي الأصل، اشتهر وتوفي ببغداد. له تصانيف كثيرة. توفي سنة ٣٤٧هـ. (راجع ترجمته في بغية الوعاة ٢٧٩، وابن النديم ١:٦٣، والوفيات ١:٢٥١، وتاريخ بغداد ٩:٤٢٨، والأعلام ٤:٧٦).

(٢) محمد بن العباس: هو محمد بن العباس الشيرازي، أبو الفرج، وزير من الكتّاب. من أهل شيراز. كان كاتباً لمعزّ الدولة البويهي، وتقلّد ديوانه، ثم ناب في الوزارة. ولما مات معزّ الدولة ولي الوزارة للمطيع العباسي سنة ٣٥٩هـ، ولعزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة. وعُزل بعد سنة وأربعين يوماً، وحُبس بالبصرة. كان راجح العلم فاضلاً أميناً. (راجع ترجمته في الوافي بالوفيات ٣:١٩٨، والأعلام ٦:١٨٢).

(٣) قرميسين: بلد معروف قريب من همذان والدينور (راجع معجم البلدان ٤:٣٣٠).

الباب الثالث عشر:

في ذِكْر المغفلين من القضاة

عن ابن الأعرابي، قال: خاصم أبو دلامة[1] رجلاً إلى عافية[2] فقال:

لَقَدْ خَاصَمَتني غُواةُ الرِّجالِ وَخَاصَمْتُهُمْ سَنَةً وافِيَهْ[3]

فما أدْحَضَ اللهُ لي حجّةً وما[4] خيّب اللهُ لي قافِيَهْ

فمَن كنتُ مِنْ جَوْرِهِ خائِفاً فلستُ أخافُكَ يا عافِيَهْ[5]

فقال له عافية[6]: لأشكونك لأمير المؤمنين، قال: لِمَ تشكوني؟ قال: لأنك

---

(١) أبو دلامة: هو زند بن الجون الأسدي، بالولاء، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم. كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد وأعتقه. نشأ بالكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم وله في بعضهم مدائح. كان يُتَّهم بالزندقة لتهتكه وأخباره كثيرة. توفي سنة ١٦١هـ. (راجع ترجمته في الأغاني طبعة الدار ١٠: ٢٣٥، ومعاهد التنصيص ٢: ٢١١، والنويري ٤: ٤٦، وتاريخ بغداد ٨: ٤٨٨، والشعر والشعراء ٣٠٠).

(٢) في الأغاني طبعة دار الكتب العلمية ١٠: ٣٠٥، خاصم رجل أبا دلامة في داره فارتفعا إلى عافية القاضي...

(٣) رواية الأغاني:

لقد خاصمتني دهاة الرجال وخاصمتها سنةً وافيةً

(٤) رواية الأغاني: «ولا» خيب.

(٥) رواية الأغاني:

ومن خفت من جوره في القضاء فلست أخافك يا عافية

(٦) راجع الأغاني ١٠: ٣٠٦.

هجوتني، قال: والله لئن شكوتني إليه ليعزلنك، قال: لِمَ؟ قال: لأنك لا تعرف الهجو من المدح. (عافية هذا هو ابن زيد القاضي ولّاه المهدي القضاء على بغداد).

قال: حدث عبد الرحمن بن مسهر، قال: ولّاني القاضي أبو يوسف القضاء (بجبل)[1]، وبلغني أن الرشيد منحدر إلى البصرة، فسألت أهل جبل أن يثنوا عليَّ، فوعدوني أن يفعلوا ذلك وتفرقوا، فلما آيسوني من أنفسهم، سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له، فوافى وأبو يوسف في الحراقة[2]، فقلت: يا أمير المؤمنين: نِعْمَ القاضي قاضي جبل، قد عدل فينا وفعل وصنع.. وجعلت أثني على نفسي، فرآني أبو يوسف، فطأطأ رأسه وضحك، فقال: هارون[3]: مِمَّ تضحك؟ فقال: إن المثني على نفسه هو القاضي، فضحك هارون حتى فحص برجليه، وقال: هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله، فعزلني.

عن علي بن هشام أنه قال: كان للحجاج[4] قاض بالبصرة من أهل الشام يقال له أبو حمير، فحضرت الجمعة فمضى يريدها، فلقيه رجل من العراق فقال له: يا أبا حمير، فأين تذهب؟ قال: إلى الجمعة، فقال: ما بلغك أن الأمير قد أخَّر الجمعة اليوم؟ فانصرف راجعاً إلى بيته، فلما كان من الغد، قال له الحجاج: أين كنت يا أبا حمير لم تحضر معنا الجمعة؟ قال: لقيني بعض أهل العراق، فأخبرني أن الأمير أخَّرَ الجمعة فانصرفت، فضحك الحجاج وقال: يا أبا حمير أما علمت أن الجمعة لا تؤخَّر.

---

(١) جبل: (راجع معجم البلدان ٢: ١٠٢ ــ ١٠٣).

(٢) الحراقة: سفينة حربية.

(٣) هارون: هو هارون الرشيد.

(٤) الحجاج: هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد القائد، الداهية السفّاك. توفي سنة ٩٥هـ. (راجع ترجمته في معجم البلدان ٨: ٣٨٢، ووفيات الأعيان ١: ١٢٣، والأعلام ٢: ١٦٨).

قال المدائني: استعمل حيان بن حسان قاضي فارس على ناحية (كرمان)[1]، فخطبهم فقال: يا أهل كرمان، تعرفون عثمان بن زياد هو عمي أخو أمي، فقالوا: فهو خالك إذن.

قال ابن خلف[2]: وسقط الذباب على وجه قاضي (عبدان)[3]، فقال: كثَّر الله بكم القبور.

قال ابن خلف: قال بعض الرواة، تقدم رجلان إلى أبي العطوف قاضي حران[4]، فقال أحدهما: أصلح الله القاضي، هذا ذبح ديكاً لي، فخذ لي حقي، فقال لهما القاضي: عليكما بصاحب الشرطة، فإنه ينظر في الدماء.

قال أبو فضل الربعي: حدثنا أبي قال: سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم، قال: يا أمير المؤمنين، إن قاضينا لا يفهم وإذا فهم وهم، قال: ويحك كيف هذا؟ قال: قدم عليه رجل فادعى عليه أربعة وعشرين درهماً، فأقر له الآخر، فقال: اعطه، قال: أصلح الله القاضي، إن لي حماراً أكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم، أنفق على الحمار درهماً وعليَّ درهماً وأدفع له درهمين، حتى إذا اجتمع ما له غاب عني فلم أره فأنفقتها، وما أعرف وجهاً إلّا أن يحبسه القاضي

---

(١) كرمان: ولاية مشهورة بين فارس ومكران وسجستان (راجع معجم البلدان ٤: ٤٥٤).

(٢) ابن خلف: هو محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادي القطيعي، أبو الحسن: فاضل، من أهل بغداد مولداً ووفاة. لازَم ابن الجوزي مدّة، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه، وسمع من غيره ببغداد والموصل ودمشق وغيرها. له كتاب في تاريخ البغداديين. توفي سنة ٦٣٤هـ. (راجع ترجمته في التكملة لوفيات النقلة، الجزء الحادي والخمسون).

(٣) عبدان: من قرى مرو، وعبدان في العراق وأيضاً في صقع في اليمن (راجع معجم البلدان ٤: ٧٧).

(٤) حرّان: قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم، وبين الرقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. (راجع معجم البلدان ٢: ٢٣٥).

اثنا عشر يوماً حتى أجمع له إياها، فحبس صاحب الحق حتى جمع ماله. فضحك المأمون وعزله.

وعن أبي بكر الهذلي قال: كان ثمامة بن عبد الله بن أنس على القضاء بالبصرة قبل بلال بن أبي بردة [1]، وكان مخلطاً، ادَّعت امرأة إلى ثمامة على رجل أودعته شيئاً ولم يكن لها بينة، فأراد استحلافه لها، فقالت: إنه رجل سوء فيحلف ويذهب حقي، ولكن استحلف إسحاق بن سويد[2] فإنه جاره، فأرسل إلى إسحاق واستحلفه.

وحكى أبو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال: دخلت (تاهرت)[3]، فإذا فيها قاض من أهلها، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنّة، فأحضر الفقهاء فقال: إن هذا الرجل جنى جناية وليس لها في كتاب الله حكم معروف فما ترون؟ فقالوا بأجمعهم: الأمر لك، قال: فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات، ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به، قالوا: وفقت، ففعل بالمصحف ما ذكره، ثم فتح فخرج قوله تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾[4]، فقطع أنف الرجل وخلى سبيله.

---

(١) ابن أبي بردة: هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري: أمير البصرة وقاضيها. كان راوية فصيحاً أديباً. ولّاه خالد القسري سنة ١٠٩هـ، فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥هـ. فعزله وحبسه، فمات سجيناً. كان ثقة في الحديث ولم تحمد سيرته في القضاء. كان يقول: إن الرجلين ليختصمان إليَّ فأجد أحدهما أخف على قلبي فأقضي له. وهو ممدوح ذي الرمّة الشاعر. توفي نحو سنة ١٢٦هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ١: ٥٠٠، ووفيات الأعيان في ترجمة أبيه عامر. وخزانة البغدادي ١: ٤٥٢، والأعلام ٢: ٧٢).

(٢) إسحاق بن سويد: فقيه من أهل البصرة. توفي سنة ١٣١هـ.

(٣) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يُقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد (راجع معجم البلدان ٢: ٧).

(٤) سورة القلم: الآية ١٦.

وبلغنا أن رجلاً قدم رجلاً إلى بعض القضاة فادعى عليه بثلاثين ديناراً وأقام شاهداً واحداً، فقال القاضي: إدفع له خمسة عشر ديناراً إلى أن يقيم الشاهد الآخر.

وحكى فقيه من رفقائنا قال: حضر عندي أمين من أمناء القاضي، فسألني عن فريضة فيها سدس، فقال: ما معنى السدس؟ قلت له: من الدينار ثلاثة قراريط وحبة وسهم من ستة أسهم، هذا هو السدس، فقال: اكتبه لي حتى أعرفه، قلت: والله لا أكتبه لك.

* * *

الباب الرابع عشر:

في ذِكْر المغفلين من الكتّاب والحجّاب

حدثني حماد بن إسحاق قال: كتب سليمان[1] بن عبد الملك إلى أبي بكر بن حزم أن (أحصِ) من قبلك من المخنثين، فصحف كاتبه فقال (أخص)، فدعا بهم فخصاهم. وقد رويت لنا هذه الحكاية على غير هذا الوجه، وأنه خصاهم لأنه كان غيوراً، فإذن لا يكون تصحيفاً.

وعن الحسين بن السميدع الأنطاكي قال: كان عندنا بأنطاكية عامل من حلب، وكان له كاتب أحمق، فغرق في البحر (شلنديتان)[2] من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو، فكتب ذلك الكاتب عن صاحبه إلى العامل بحلب بخبرهما:

بسم الله الرحمن الرحيم، إعلم أيها الأمير أعزه الله تعالى أن شلنديتين، أعني مركبين قد صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه، فهلك من فيهما أي تلفوا. قال: فكتب إليه أمير حلب:

بسم الله الرحمن الرحيم، ورد كتابك أي وصل، وفهمناه أي قرأناه، أدِّب كاتبك أي اصفعه، واستبدل به أي اعزله، فإنه مائق أي أحمق، والسلام أي انقضى الكتاب.

---

(١) سليمان بن عبد الملك: أبو أيوب، الخليفة الأموي. وُلِّيَ الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦، وكان بالرملة فلم يتخلف عن مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين وأحسن إلى الناس. توفي سنة ٩٩هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٥: ١٤، والطبري ٨: ١٢٦، وابن شاكر ١: ١٧٧، واليعقوبي ٣: ٣٦، والمسعودي ٢: ١٢٧).

(٢) شلنديتان: أي مركبان.

وعن عبد الله بن محمد الصوري قال: رأيت سهل بن بشر الكاتب يوماً، وقد نعق غراب أبقع[1] على حائط صحن الدار، فضاق صدره وقال: هاتم البواب، فجيء به فقال: لِمَ تركت هذا الغراب يصيح ها هنا؟ فقال البواب: أيها الأستاذ وأي ذنب لي، أنا أحفظ بابي، وليس هذا ممن يدخل من الباب، فيلزمني جنايته، فكيف أستطيع منعه من الصياح؟ فقال: قفاه[2]، فما زال يصفع صفعاً عظيماً إلى أن شفعت منه.

وعن أبي علي النميري قال: تراءينا هلال شوال، فأتينا سوار[3] بن عبد الله لنشهد عنده، فقال حاجبه: أنتم مجانين، الأمير لم يختضب بعد ولم يتهيأ ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين، انطلقوا. فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر.

وعن أبي بكر النقاش قال: قيل لعبد الله بن مسعود القاضي، تجيز شهادة العفيف التقي الأحمق؟ قال: لا وسأريكم هذا، ادع يا غلام أبا الورد حاجبي ــ وكان أحمق ــ فلما أتاه قال: اخرج فانظر ما الريح، فخرج ثم رجع فقال: شمال يشوبها جنوب، فقال: كيف أتروني أجيز شهادة مثل هذا؟ قال: وقد ذكر مثل هذه الحكاية ابن قتيبة.

وعن أبي أحمد الحارثي قال: كنت أعاشر بعض كتّاب الديلم فسمعته مرة يحلف ويقول: (والله الذي لا إلّه إلاّ هو أعني به الطلاق والعتاق).

قال: وكتب مرة بحضرتي تذكرة بأضاحي يريد تفريقها في دار صاحبه، وقد قرب عيد الأضحى فكتب: القائد ثور، امرأته بقرة، ابنه كبش، ابنته نعجة، الكاتب

---

(١) الغراب الأبقع: الذي فيه سواد وبياض.

(٢) قفاه: أراد اضربوا قفاه.

(٣) سوار بن عبد الله: هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الملك بن قدامة، من بني العنبر من تميم، أبو عبد الله العنبري، قاض، له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث، من أهل البصرة. سكن بغداد وَوُلِّيَ بها قضاء الرصافة وكفّ بصره في أواخر أعوامه. وتوفي ببغداد سنة ٢٤٥هـ. (راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٩: ٢١٠).

تيس. فقلت: يا سيدي الروح الأمين ألقى إليك هذا، فلم يدر ما خاطبته به وسلمت منه.

وكتب إلى صديق له: كتبت إليك هذه الكلمات يا سيدي وربي أعني به قميصي من منزلك الذي أنا أسكنه، وقد نفضت الدم من قفاك المرسوم بي وليس وحق رأسك الذي أحبه عبدي من نبيذك الذي تشربه شيء، فوجه إليَّ علي يديْ هذا الرسول فإنه ثقة أوثق مني ومنك.

قال أبو أحمد: وبلغني عن بعض قواد الديلم أنه قال: كاتبي أحذق الناس بأمر الدواب والضياع وشري الأمتعة، وما فيه عيب إلاّ أنه لا يقرأ ولا يكتب.

وعن عبد الله بن إبراهيم الموصلي قال: نابت[1] الحجاج في صديق له مصيبة ورسول لعبد الملك شامي عنده، فقال الحجاج: ليت إنساناً يعزيني بأبيات، فقال الشامي: أقول؟ قال: قل، فقال:

(وكل خليل سوف يفارق خليله، يموت أو يصاب أو يقع من فوق البيت أو يقع البيت عليه أو يقع في بئر أو يكون شيئاً لا نعرفه). فقال الحجاج: قد سلّيتني عن مصيبتي بأعظم منها في أمير المؤمنين، إذ وجَّه مثلك لي رسولاً.

وُجد في بعض الكتب أن قدامة بن زيد وجه غلاماً له إلى (قطربل)[2] ليبتاع له شراباً وأركبه حماراً، فمضى الغلام وابتاع له الشراب، فلما صار إلى باب قطربل عارضه صاحب المصلحة فضربه وأراق[3] ما معه وحبسه، فاتصل الأمر بقدامة فكتب إلى صاحب الخبر:

بسم الله الرحمن الرحيم، جعلت فداك برحمته، فإن صاحب مصلحة

---

(١) نابت: حلّت.

(٢) قطربل: اسم قرية بين بغداد وعكبرا، يُنسب إليها الخمر كانت منتزهاً للبطالين وحانة للخمارين، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. (راجع معجم البلدان ٤ : ٣٧١).

(٣) أراق: صبّ.

قطربل قوي على غلام لي فضربه خمسين رطلاً من تقطيع الزكرة، فرأيك أعزك الله في إطلاق الحمار مصاباً إن شاء الله عز وجل.

وكتب بعضهم إلى طبيب:

بسم الله الرحمن الرحيم، ويلك يا يوحنا وامتع بك، قد شربت الدواء خمسين مقعداً، المغص والتقطع يفتل بطني والعينين والرأس، فلا تؤخر باحتباسك عني، فسوف تعلم أني سأموت وتبقى بلا أنا، فعلت موقفاً إن شاء الله.

وصف حجاج بن هارون الكاتب لحنين النصراني علة به، فأمره أن يؤخر غداءه ويأخذ في آخر الليل دواء وصفه له. فكتب إليه حجاج من غد:

بسم الله الرحمن الرحيم، وأتم نعمته عليك، شربت الدواء وأكلت قليل كسرة، واختلف أحمر مثل السلق مغصاً، فرأيك في إنكار ذلك على بطني، فعلت إن شاء الله.

وكتب بعضهم إلى صديق له:

بسم الله الرحمن الرحيم، وجعلني الله فداك، لولا علة نسيتها لسرت إليك حتى أعرفك بنفسي والسلام.

وكتب المتوكل إلى محمد بن عبد الله يطلب فهداً، فكتب إليه: نجوت عند مقام لا إلّه إلّا الله وصلى الله على سيدنا محمد، فديته إن كان عندي مما طلبته وزن دانق[1]، لا فهد ولا نمر، فلا تظن يا سيدي أني أبخل عليك بالقليل.

وكتب معاوية بن مروان إلى الوليد بن عبد الملك: قد بعثت إليك خزاً أحمر أحمى.

وكتب رجل من البصرة إلى أبيه: كتبت إليك يا أبتِ نحن كما يسرك الله عونه وقوته، لم يحدث علينا بعدك إلّا كل خير، إلّا أن حائطاً لنا وقع على أمي وأخي الصغير وأختي والجارية والحمار والديك والشاة ولم يفلت غيري.

---

(١) الدانق: من الأوزان، والدانق سدس الدرهم.

وكتب أبو كعب إلى منزله كتاباً بعنوانه: من أبـي كعب يدفع عنوانه في عيالـه إن شاء الله.

وكـتب بـعض ولــد المـملوك إلـى بعض: استــوهب الله الـمكــارة فـيــك برحمته، أنا وحق جدي رسول الله لا إله إلاّ هـو، أحبك أشـد من جدي المتـوكل، فقد بلغني أنه قـد جاءك من النبيـذ شيء كثير كثيـر شطراً، وأنـا أحبه شـديد شـديد شـطراً آخر، وبحيـاتي عليك إلاّ بعثت إليَّ دستجـة أو خمس دبات أو سـتـة أو سبعة أو أكثر جياد بالغة وإلاّ فثلاث خماسيات ولا تردني فأحرد موفقاً إن شاء الله.

* * *

الباب الخامس عشر:

في ذِكْر المغفلين من المؤذنين

عن أبـي بكر النقاش قال: حدثنا أن أعرابياً سمع مؤذناً كان يقـول: أشهد أن محمداً رسول الله بالنصب، فقال: ويحك فعل ماذا؟

وعن محمـد بن خلف قـال: قيب لمؤذن: مـا يُسمـع من آذانـك فلو رفعت صوتك، فقال: إني لا أسمع صوتي من ميل.

وقـال بعضهم: رأيت مؤذناً يؤذن ثم عـدا، فقلت: إلى أين؟ فقال: أحب أن أعرف إلى أين يبلغ صوتي.

وأذّن مؤذن فقيل له: ما أحسن صوتك؟ فقال: إن أمي كانت تطعمني البلادة وأنا صغير. يريد البلادر.

وعن شريح بن يزيد قال: كان سعيد بن سنان المهدي مؤذناً بجـامع حمص، وكان شيخاً صالحاً يسحِّر الناس في رمضان فيقول في تسحيره: استحثوا قديراتكم، عجلوا في أكلكم قبل أن أُأذن فيسخم[1] الله وجوهكم وتحردوا.

* * *

---

(١) يسخم الله وجوهكم: يسوّدها.

الباب السادس عشر:

في ذِكْر المغفلين من الأئمة

عن أبي العيناء قال: كان المدني في الصف من وراء الإمام، فتذكَّر الإمام شيئاً، فقطع الصلاة وقدَّم المدني ليؤمّهم، فوقف طويلاً، فلما أعيا الناس سبَّحوا له وهو لا يتحرك، فنحّوه وقدَّموا غيره، فعاتبوه، فقال: ظننته يقول لي: احفظ مكاني حتى أجيء.

وعن محمد بن خلف قال: مرَّ رجل بإمام يصلي بقوم فقرأ: آلم غلبت الترك، فلما فرغ قلت: يا هذا، إنما هو: ﴿غُلِبَتْ الرُّوم﴾[1]، فقال: كلهم أعداء، لا نبالي من ذكر منهم.

وعن مندل بن علي[2] قال: خرج الأعمش ذات يوم من منزله بسحر، فمر بمسجد بني أسد وقد أقام المؤذن الصلاة، فدخل يصلي، فافتتح الإمام الركعة الأولى بالبقرة، ثم في الركعة الثانية آل عمران، فلما انصرف قال له الأعمش: أما تتقي الله، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ «مَنْ أمَّ النَّاس فليخفف، فإن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة»، فقال الإمام: قال الله عز وجل: ﴿وإنَّها لَكَبِيرَةٌ إلاَّ على الخَاشِعينَ﴾[3]، فقال الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢.

(٢) مندل بن علي: هو مندل بن علي العنزي أبو عبد الله، من رجال الحديث. من أهل الكوفة. مختلف في صحة ما يرويه. قال الساجي: ليس بثقة، له كتاب في الحديث. توفي سنة ١٦٧هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠: ٢٩٨، وخلاصة تذهيب الكمال ٣٤١، والذريعة ٦: ٣٦٨، والجرح والتعديل ٤، القسم ١: ٤٣٤).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢.

وعن المدائني قال: قرأ إمام ولا الظالين بالظاء المعجمة، فرفسه رجل من خلفه، فقال الإمام: آه ضهري، فقال له الرجل: يا كذا وكذا خذ الضاد من ضهرك واجعلها في الظالين وأنت في عافية. وكان الراد عليه طويل اللحية.

قال الجاحظ: أخبرني أبو العنبس[1] قال: كان رجل طويل اللحية أحمق جارنا، وكان أقام بمسجد المحلة يعمره ويؤذن فيه ويصلي، وكان يعتمد السور الطوال ويصلي بها، فصلى ليلة بهم العشاء فطوَّل، فضجوا منه وقالوا: اعتزل مسجدنا حتى نقيم غيرك، فإنك تطول في صلاتك وخلفك الضعيف وذو الحاجة، فقال: لا أطول بعد ذلك، فتركوه، فلما كان من الغد أقام وتقدم فكبَّر وقرأ «الحمد»، ثم فكَّر طويلاً وصاح فيهم: إيش تقولون في عبس؟ فلم يكلمه أحد إلاَّ شيخ أطول لحية منه وأقلّ عقلاً، فإنه قال: كَيِّسة، مر فيها.

وقرأ إمام في صلاته: (وَوَاعَدْنا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةٍ وأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ خمسين[2] لَيْلَةً)، فجذبه رجل وقال: ما تحسن تقرأ، ما تحسن تحسب.

وتقدم إمام فصلّى، فلما قرأ «الحمد» افتتح بسورة يوسف، فانصرف القوم وتركوه، فلم أحس بانصرافهم قال: سبحان الله! ﴿قل هو الله أحد﴾، فرجعوا وصلوا معه.

وقرأ إمام في صلاته: ﴿إذا الشمس كورت﴾، فلما بلغ قوله: ﴿فأين تذهبون﴾، ارتج[3] عليه وجعل يردد حتى كادت تطلع الشمس، وكان خلفه رجل معه جراب، فضرب به رأس الإمام وقال: أما أنا فأذهب، وهؤلاء لا أدري إلى أين يذهبون.

* * *

---

(١) أبو العنبس: هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصميري، أبو العنبس: نديم المتوكل والمعتمد العباسيين. كان أديباً ظريفاً عارفاً بالنجوم، شاعراً هجاءً. وهو من أهل الكوفة وقبره فيها. وُلِّيَ قضاء الصميرة، فنسب إليها. له مناظرة مع البحتري وهجاه أكثر شعراء زمانه. توفي سنة ٢٧٥هـ. (راجع ترجمته في إرشاد الأريب ٦ :٤٠١، وتاريخ بغداد ١ :٢٣٨، والمرزباني ٤٤٢، والأعلام ٦ :٢٨).

(٢) تصويبها: أربعين: راجع سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

(٣) ارتجّ عليه: صعب عليه الكلام وامتنع.

الباب السابع عشر:

في ذِكْر المغفلين من الأعراب

عن أبـي عثمان المازني[1] أنه قال: قدم أعرابـي على بعض أقاربه بالبصرة، فدفعوا له ثوباً ليقطع منه قميصاً، فـدفع الثـوب إلى الخياط، فقـدر عليه ثم خـرق منه، قال لِمَ خرقت ثوبـي؟ قال: لا يجوز خياطته إلاّ بتحريقه، وكان مع الأعـرابـي هراوة من أرزن[2] فشجَّ بها الخياط، فرمى بالثـوب وهرب، فتبعـه الأعرابـي وأنشـد يقول:

مـا إن رأيـت ولا سـمـعـت بـمـثـلـه ... فيمـا مـضى مـن سـالف الأحـقـاب

من فعـل عِلْجٍ[3] جئتــه لـيخـيطَ لي ... ثــوبــاً فـخــرّقـه كفـعـل مُـصَـابِ

فـعـلوتَـهُ بـهـراوةٍ كـانَـتْ مـعـي ... فـسَـعَـى وأدْبَـرَ هـارباً لـلبـابِ

أيـشـقُّ ثـوبـي ثـمّ يـقـعـدُ آمـنـاً ... كـلاَّ ومُـنَـزِّلَ سُـورَة الأحْـزَابِ

وعن الأصمعي أنه قال: مـررت بأعـرابـي يصلّي بالنـاس فصلّيت معه، فقـرأ (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها كلمة منتهـاها لن يـدخل النـار ولن يراهـا رجل نهى النفس عن هواها)، فقلت له: ليس هذا من كتاب الله، قال: فعلِّمني، فعلَّمته الفاتحة والإخلاص، ثم مررت بعد أيام، فإذا هو يقـرأ الفاتحـة وحدهـا، فقلت له: ما للسورة الأخرى؟ قال: وهبتها آبن عم لي، والكريم لا يرجع في هبته.

---

(١) المازني: هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقيـة. نحوي، لـه كتاب «العـروض». توفي سنـة ٢٤٩هـ.

(٢) الأرزن: شجر صلب العود تتخذ منه العصيّ.

(٣) العلج: الرجل الضخم من رجال العجم.

وعنه أنه قال: كنت في البادية، فإذا بأعرابي تقدَّم فقال: الله أكبر (سبِّح اسم ربك الأعلى، الذي أخرج المرعى، أخرج منها تيساً أحوى[1] ينزو على المعزى)، ثم قام في الثانية فقال: (وثب الذئب على الشاة الوسطى وسوف يأخذها تارة أخرى. أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ألاَ بَلى ألاَ بَلى). فلما فرغ قال: اللهم لك عفرت جبيني وإليك مددت يميني فانظر ماذا تعطيني.

وعنه قال: رأيت أعرابياً يضرب أمه فقلت: يا هذا أتضرب أمك؟ فقال: أسكت فإني أريد أن تنشأ على أدبي.

وعنه أنه قال: حج أعرابي فدخل مكة قبل الناس وتعلَّق بأستار الكعبة وقال: اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس.

وعن أبي الزناد[2] قال: جاء أعرابي إلى المدينة فجالس أهل الفقه ثم تركهم، ثم جالس أصحاب النحو فسمعهم يقولون نكِرة ومعرفة، فقال: يا أعداء الله يا زنادقة.

وعن العلاء بن سعيد قال: قعد طائي وطائية في الشمس، فقالت له امرأته: والله لئن ترحل الحي غداً لأتبعن قماشهم وأصوافهم ثم لأنفشنه ولأغسلنه ولأغزلنه، ثم لأبعثنه إلى بعض الأمصار فيباع وأشتري بثمنه بكراً[3]، فأرتحل عليه مع الحي إذا ترحلوا. قال الزوج: أفتراك الآن تاركتي وابني بالعراء؟ قالت: أي والله، قال: كلا والله.

---

(١) الحُوَّة: سواد إلى حمرة فهو أحوى، مؤنث حوَّاء والجمع حُوّ.

(٢) أبو الزناد: هو عبد الله بن ذكوان القرشي المدني، محدِّث، من كبارهم. قال الليث: رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع من طالب فقه وعلم وشعر وصرف. وكان سفيان يسميه أمير المؤمنين في الحديث. كان يغضب إذا قيل له «أبو الزناد» ويتكنى بأبي عبد الرحمن. كان فقيه أهل المدينة، وكان ثقة في الحديث عالماً بالعربية فصيحاً، توفي سنة ١٣١هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ١: ١٢٦، وتهذيب ابن عساكر ٧: ٣٨٢).

(٣) البَكْر: الفتيّ من الإبل.

وما زال الكلام بينهما حتى قام يضربها، فأقبلت أمها فقالت: ما شأنكم، وصرخت: يا آل فلانة أفتضرب ابنتي على يديها ورزق رزقها الله، فاجتمع الحي فقالوا: ما شأنكم؟ فأخبروهم بالخبر!! فقالوا: ويلكم، القوم لم يرحلوا وقد تعجلتم الخصومة.

وعن الأصمعي قال: خرج قوم من قريش إلى أرضهم وخرج معهم رجل من بني غفار، فأصابهم ريح عاصف يئسوا معها من الحياة ثم سلموا، فأعتق كل رجل منهم مملوكاً، فقال ذلك الأعرابي: اللهم لا مملوك لي أعتقه ولكن امرأتي طالق لوجهك ثلاثاً.

وكان الرجل من الأعراب يعمل في معمل للذهب فلم يصب شيئاً، فأنشأ يقول:

يا ربّ قدِّر في خَمَاسي   وفي طِلاَبِ الرِّزْقِ بالتماسِ
صَفْراء تَجْلُو كَسَلَ النُّعَاسِ

فضربته عقرب صفراء سهرته طول الليلة وجعل يقول: يا رب، الذنب لي إذ لم أبين لك ما أريده، اللهم لك الحمد والشكر، فقيل له: ما تصنع؟ أما سمعت قول الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنكم﴾[1]: فوثب جزعاً وقال: لا شكراً، لا شكراً،

وسُئل أعرابي: هل تقرأ من القرآن شيئاً؟ فقرأ أم الكتاب والإخلاص فأجاد: فسُئل: هل تقرأ غيرهما؟ فقال: أما شيئاً أرضاه لك فلا.

قال الأصمعي: ورأيت أعرابياً يصلي في الشتاء قاعداً ويقول:

إليكَ اعتذاري من صلاتي قاعداً   على غير طُهْرٍ مومياً نحو قِبْلَتي
فمالي بِبَرْدِ الماء يا ربِّ طاقة   ورجلاي لا تقوى على طيِّ ركبتي

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧.

ولكنني أقضيته يا رب جاهداً وأقضيكَهُ إن عشت في وجه صيفتي
وإن أنا لم أفعلْ فأنت محكم إلّهي في صَفْعي وفي نَتفِ لِحْيَتي

وعض ثعلب أعرابياً فأتى راقياً[1]، فقال الراقي: واخلط بها شيئاً من رقية الثعالب.

وعض ثعلب أعرابياً فأتى راقياً، فقال الراقي: ما عضك؟ فقال كلب، واستحى أن يقول ثعلب، فلما ابتدأ بالرقية، قال: واخلط بها شيئاً من رقية ثعلب.

وقال بعض الأعراب: لنا تمر تضع التمرة في فيك فتبلغ حلاوتها إلى كعبك.

وقرأ إمام في صلاته: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ﴾[2] فارتج عليه[3]، وكان خلفه أعرابي فقال: لم يذهب فأرسل غيره وأرحنا.

وكان أعرابي يقول: اللهم اغفر لي وحدي، فقيل له: لو عممت بدعائك فإن الله واسع المغفرة، فقال: أكره أن أثقل على ربي.

ودعا أعرابي بمكة لأمّه فقيل له: ما بال أبيك؟ قال: ذاك رجل يحتال لنفسه.

وقيل: إن محمداً[4] بن علي (عليه السلام) رأى في الطواف أعرابياً عليه ثياب رثة وهو شاخص نحو الكعبة لا يصنع شيئاً، ثم دنا من الأستار فتعلّق بها ورفع

---

(١) الراقي: من يصنع الرقية، والرقية أن يُستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية في زعمهم.

(٢) سورة نوح: الآية ١.

(٣) ارتجّ عليه: امتنع الكلام عليه.

(٤) محمد بن علي: هو محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفية. أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين غير أن أمهما فاطمة الزهراء وأمّه خولة بنت جعفر الحنفية، يُنسب إليها تمييزاً له عنهما. توفي سنة ٨١هـ. (راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ٥: ٦٦، ووفيات الأعيان ١: ٤٤٩، وصفة الصفوة ٢: ٤٢).

رأسه إلى السماء وأنشأ يقول:

أَمَا تَستحي منِّي وقد قُمت شاخصاً ... أناجيك يا ربِّي وأنت عَليمُ
فإن تكسني يا رب خفّاً وفَرْوَةً ... أصلّي صلاتي دائماً وأصومُ
وإن تكن الأخرى على حالِ ما أرى ... فَمَن ذا على تركِ الصّلاة يلومُ
أترزقُ أولاد العُلُوج وقد طَغَوْا ... وتترك شيخاً والداه تميمُ

فدعا به وخلع[1] عليه فروة وعمامة وأعطاه عشرة آلاف درهم وحمله على فرس، فلما كان العام الثاني جاء الحج وعليه كسوة جميلة وحال مستقيم، فقال له أعرابي: رأيتك في العام الماضي بأسوأ حال وأراك الآن ذا بزة حسنة وجمال، فقال: إني عاتبت كريماً فأغنيت.

وكان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار، فنذر إن عوفي حماره صام عشرة أيام فعوفي الحمار فصام، فلما تمت مات الحمار، فقال: يا رب تلهيت بي! ولكن رمضان إلى هنا يجيء والله لآخذن من نقاوته عشرة أيام لا أصومها.

وصلَّى بعض الأعراب خلف بعض الأئمة في الصف الأول، وكان اسم الأعرابي (مجرماً)، فقرأ الإمام: والمرسلات... إلى قوله: ﴿**أَلَمْ نُهْلِكَ الأَوَّلِينَ**﴾[2]، فتأخر البدوي إلى الصف الآخر، فقال: ﴿**ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ**﴾[3]، فرجع إلى الصف الأوسط، فقال: ﴿**كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ**﴾[4]، فولى هارباً وهو يقول: ما أرى المطلوب غيري.

وصلى أعرابي خلف إمام صلاة الغداة، فقرأ الإمام سورة البقرة وكان الأعرابي مستعجلاً ففاته مقصوده، فلما كان من الغد بكر إلى المسجد فابتدأ الإمام

---

(١) خلع عليه: وهبه.
(٢) سورة المرسلات: الآية ١٦.
(٣) سورة المرسلات: الآية ١٧.
(٤) سورة المرسلات: الآية ١٨.

بسورة الفيل فقطع الأعرابي الصلاة وولى وهو يقول: أمس قرأت (البقرة) فلم تفرغ إلى نصف النهار، واليوم تقرأ (الفيل) ما أظنك تفرغ منها إلى نصف الليل.

وكان أعرابي يصلي، فأخذ قوم يمدحونه ويصفونه بالصلاح، فقطع صلاته وقال: مع هذا إني صائم!

وتذاكر قوم قيام الليل وعندهم أعرابي، فقالوا له: أتقوم بالليل؟ قال: أي والله، فقالوا: فما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام.

وقال إسحاق الموصلي: تذاكر قوم من نوار واليمن وأصنام الجاهلية، فقال رجل لهم من الأزد، عندي الحجر الذي كان قومنا يعبدونه، قالوا وما ترجو به؟ قال: لا أدري ما يكون.

وروى أبو عمر الزاهد أن بعض الأعراب قال: اللهم أمتني ميتة أبي! قالوا: وكيف مات أبوك؟ قال: أكل بذجاً وشرب مشعلاً ونام في الشمس فلقي الله وهو شبعان ريان دفئان. (البذج: الحمل. والمشعل: الزق).

* * *

الباب الثامن عشر:

في ذِكْر المغفلين من المتحذلقين فيمن قصد الفصاحة والإعراب في كلامه من المغفلين

عن أبي زيد الأنصاري[1]، قال: كنت ببغداد فأردت الانحدار إلى البصرة، فقلت لابن أخي: إكترِ[2] لنا، فجعل ينادي: يا معشر الملاحونَ[3]، فقلت: ويحك ما تقول جعلت فداك؟ فقال: أنا مولع بالنصب.

عن أبي طاهر، قال: دخل أبوصفوان[4] الحمام وفيه رجل مع ابنه، فأراد أن يعرف خالداً ما عنده من البيان، فقال: يا بني، ابدأ بيداك ورجلاك[5]، ثم التفت

---

(١) أبو زيد الأنصاري: هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري: أحد أئمة الأدب واللغة. من أهل البصرة، ووفاته بها. كان يرى رأي القدرية. وهو من ثقات اللغويين. قال ابن الأنباري: كان سيبويه إذا قال: «سمعت الثقة» عنى أبا زيد. له تصانيف. توفي سنة ٢١٥هـ. (راجع ترجمته في ميزان الاعتدال ١ : ٣٧٥، وتهذيب ابن عساكر ٦ : ١٢١، وتهذيب التهذيب ٤ : ٨).

(٢) اكترِ: استأجِر.

(٣) وصحتها: يا معشر الملاحين.

(٤) أبو صفوان: هو خالد بن صفوان المنقري: من فصحاء العرب المشهورين. كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. عاش إلى أن أدرك خلافة السفّاح العباسي وحظي عنده. كان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمّه، وكان يعارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة. وكان يُرمى بالبخل. وكفّ بصره. توفي سنة ١٣٣هـ. (راجع ترجمته في منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ١ : ١٢٠، ووفيات الأعيان ١ : ٢٤٣، ومعجم البلدان ٤ : ٣٨٧، وأمالي المرتضى ٤ : ١٧٢).

(٥) والصواب: ابدأ بيديك ورجليك.

إلى خالد، فقال: يا أبا صفوان هذا كلام قد ذهب أهله، فقال: هذا كلام لم يخلق الله له أهلاً قط.

وعن أبي العيناء، عن العطوي[1] الشاعر، أنه دخل إلى رجل من عندنا بالبصرة وهو يجودُ بنفسه، فقال له: يا فلان، قل: (لا إلّه إلاّ الله) وإن شئت فقل: (لا إلّه إلاّ الله) والأولى أحب إلى سيبويه، ثم اتبع أبو العيناء ذاك بأن قال: سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت.

وعن عبد الله بن صالح العجلي، قال: أخبرني أبو زيد النحوي، قال: قال رجل للحسن: ما تقول في رجل ترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن: ترك أباه وأخاه، فقال الرجل: فما لأباه وأخاه؟ فقال الحسن: فما لأبيه وأخيه، فقال الرجل للحسن: أراني كلما كلمتك خالفتني.

وعن ابن أخي شعيب بن حرب[3]، قال: سمعت ابن أخي وهو يعزي قوماً: آجركم الله وإن شئتم أجركم الله، كلاهما سماعي من الفراء[4].

---

(١) العطوي: هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية، أبو عبد الرحمن العطوي، من شعراء الدولة العباسية. كان معتزلياً يُعدّ من المتكلمين الحذّاق، يذهب مذهب الحسين بن النجار. اشتهر في أيام المتوكل واتصل بابن أبي دؤاد، وحظي عنده، وكان منهوماً بالنبيذ، وله فيه وفي الفتوح أشعار كثيرة. توفي نحو سنة ٢٥٠هـ. (راجع ترجمته في سمط اللآلي ١٤٠، والمرزباني ٤٣٢، ولسان الميزان ٥: ٢٤٧).

(٢) الأولى بالضم والثانية بالفتح.

(٣) شعيب بن حرب بن بسام بن يزيد المدائني. من علماء الحديث. توفي سنة ١٩٧هـ.

(٤) الفرّاء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا المعروف بالفراء. إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. قال ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. عهد إليه المأمون بتربية ابنَيه. توفي في طريق مكّة سنة ٢٠٧هـ. (راجع ترجمته في إرشاد الأريب ٧: ٢٧٦، ووفيات الأعيان ٢: ٢٢٨)، وابن النديم ومفتاح السعادة ١: ١٤٤، وغاية النهاية ٢: ٣٧١).

وعن سلمة[1]، قال: كان عند المهدي مؤدب الرشيد فدعاه يوماً المهدي وهو يستاك[2]، فقال: كيف تأمر من السواك؟ قال: إسْتك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: إنا لله، ثم قال: التمسوا من هو أفهم من هذا، قالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي[3] من أهل الكوفة قدم من البادية قريباً، فلما قدم على الرشيد، قال له: يا علي، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر السواك؟ قال: سكْ يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقد روينا عن الوليد، أنه قال لرجل: ما شأنك؟ فقال الرجل: شيخ نايفي، فقال عمر بن عبد العزيز: إن أمير المؤمنين يقول لك: ما شأنك؟ فقال: ختني ظلمني، فقال الوليد: ومن ختنك؟ فنكس الأعرابي رأسه وقال: ما سؤال أمير المؤمنين عن هذا؟ فقال عمر: إنما أراد أمير المؤمنين من ختنك؟ فقال: هذا، وأشار إلى رجل معه.

وعن أبي معمر، عن أبيه، قال: كان أمير على الكوفة من بني هاشم، وكان لحاناً[4]، فاشترى دوراً من جيرانه ليزيدها في داره، فاجتمع إليه جيرانه، فقالوا: أصلحك الله، هذا الشتاء قد هجم علينا، فأمهلنا إن رأيت حتى يقبل الصيف ونتحول، قال: لسنا (بخارجيكم)، يريد (بمخرجيكم).

---

(١) سلمة: هو سلمة بن عاصم النحوي، أبو محمد: عالِم باللغة العربية، من أهل الكوفة. له كتب، منها: «معاني القرآن» و«غريب الحديث». توفي سنة ٣١٠هـ. (راجع ترجمته في نزهة الألباب ٢٠٤، وإنباه الرواة ٢: ٥٦، وبغية الوعاة ٢٦٠، وكشف الظنون ١٧٣٠).

(٢) استاك: عالج أسنانه بالمسواك، وهو عود تنظّف به الأسنان.

(٣) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. توفي سنة ١٨٩هـ. (راجع ترجمته في غاية النهاية ١: ٥٣٥، وابن خلّكان ١: ٣٣٠، وتاريخ بغداد ١١: ٤٠٣، وطبقات النحويين ١٣٨، والذريعة ١٩: ١٥).

(٤) لحاناً: أي يخطىء في الإعراب.

وعن ميمون بن هارون[1]، قال: قال رجل لصديق له: ما فعل فلان بحماره؟ قال: (بَاعِهِ)، قال: قل: (بَاعَهُ)، قال: فلِمَ قلت بحماره؟ قال: الباء تجر، قال: فمن جعل باءك تجر وبائي تَرفع.

وعن سعيد بن أحمد، قال: دعاني محمد بن أحمد بن الخطيب يوماً، فأقمنا عنده، فقال لابن له صغير: يا عبد الله اخدم عماك، فقال: أخدم عمي، قالوا: يقول لك اخدم عمك وتلحن؟ فقلت له: جعلت فداك، أنت أعلم الناس بالنحو، فمن أفسد بيان هذا الصبي؟ قال: من قبل أمه.

وعن أبي عبد الله بن فتن، قال: دعاني إنسان من جيراننا، فوجه إلى البقال: وجه إلي جزراً بدانقان[2]، فقلت: سبحان الله ما هذا؟ قال: أردت أن يهابني.

وقدم على ابن علقمة النحوي ابن أخ، فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات، قال: وما فعلت علته؟ قال: ورَّمت قدميه، قال: قل: قدماه، قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه، قال: قل: ركبتيه، فقال: دعني يا عم، فما موت أبي بأشد عليَّ من نحوك هذا.

ووقف نحوي على رجل فقال: كم لي من هذا الباذنجان بقيراط؟ فقال: خمسين، فقال النحوي: قل: خمسون، ثم قال لي: أكثر، فقال: ستين، قال: قل: ستون، ثم قال لي: أكثر، فقال: إنما تدور على مئون وليس لكَ مئون.

---

(١) ميمون بن هارون: هو ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان، أبو الفضل: كاتب، صاحب أخبار وآداب وأشعار. من أهل بغداد. أخذ عن الجاحظ ومعاصريه، وأخذ عنه جعفر بن قدامة وآخرون. توفي سنة ٢٩٧هـ. (راجع ترجمته في بغداد ١٣: ٢١٠، وفي الوزراء والكتاب ٧٣).

(٢) الدانق: سدس الدرهم.

ولقي رجلاً من أهل الأدب، وأراد أن يسأله عن أخيه، وخاف أن يلحن، فقال: أخاك أخوك أخيك ها هنا؟ فقال الرجل: لا، لو، لي، ما هو حضر.

وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن عبد الباقي البزار[1] يقول: قال رجل لرجل: قد عرفت النحو، إلّا أني لا أعرف هذا الذي يقولون: أبو فلان وأبا فلان وأبي فلان، فقال له: هذا أسهل الأشياء في النحو، إنما يقولون أبا فلان لمن عظم قدره، وأبو فلان للمتوسطين، وأبي فلان للرذلة.

وعن الأصمعي، عن عيسى بن عمر[2]، قال: كان عندنا رجل لحان، فلقي رجلاً مثله، فقال: من أين جئت؟ فقال: من عند (أهلونا)، فتعجب منه وحسده، وقال: أنا أعلم من أين أخذتها: أخذتها من قوله تعالى: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾[3].

وعن أبي القاسم الحسن، قال: كتب بعض الناس: كتبت من (طيس)، يريد (طوس)[4]، فقيل له في ذلك، فقال: لأن (من) تخفض ما بعدها، فقيل:

---

(١) البزار: هو محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الكعبي، أبو بكر المعروف بقاضي المارستان. عالِم بالفرائض والحساب. له في ذلك تصانيف. مولده ووفاته ببغداد. جاور بمكة مدة. وأسرته الروم فبقي في الأسر سنة ونصفاً. توفي سنة ٥٣٥هـ. (راجع ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة ١ : ٢٣٠، ومرآة الزمان ٨ : ١٧٨، وعلم الفلك لنلينو ٦٠).

(٢) عيسى بن عمر: هو عيسى بن عمر الثقفي، بالولاء، أبو سليمان: من أئمة اللغة، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء، وأول من هذب النحو ورتّبه. وعلى طريقته مشى سيبويه وأشباهه. وهو من أهل البصرة، ولم يكن ثقفياً وإنما نزل في ثقيف فنسب إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي. كان صاحب تقعّر في كلامه مكثراً من استعمال الغريب. توفي سنة ١٤٩هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٩٣، وإرشاد الأريب ٦ : ١٠٠، وخزانة الأدب للبغدادي ١ : ٥٦، وصبح الأعشى ٢ : ٢٣٢).

(٣) سورة الفتح: الآية ١١.

(٤) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ (راجع معجم البلدان ٤ : ٤٩).

إنما تخفض حرفاً واحداً لا بلداً له خمسمائة قرية.

قال أبو الفضل بن المهدي: قال لي أبو محمد الأزدي[1]: واظب على العلم فإنه يزين الرجال، كنت يوماً في حلقة أبي سعيد ــ يعني السيرافي[2] ــ فجاء ابن عبد الملك خطيب جامع المنصور وعليه السواد والطويلة والسيف والمنطقة، فقام الناس إليه وأجلّوه، فلما جلس قال: لقد عرفت قطعة من هذا العلم وأريد أن أستزيد منه، فأيهما خير سيبويه أو الفصيح؟ فضحك الشيخ ومن في حلقته ثم قال: يا سيدنا (محبرة) اسم أو فعل أو حرف؟ فسكت ثم قال: حرف، فلما قام لم يقم له أحد.

(فصل)
في من تكلم بالنحو مع العوام

وقد تكلّم قوم من النحويين بالأعراب مع العوام، فكان ذلك من جنس التغفيل وإن صواباً لأنه لا ينبغي أن يكلم كل قوم إلّا بما يفهمون.

قال ابن عقيل[3]: كان شيخنا أبو القاسم بن برهان الأسدي[4] يقول

---

(١) الأزدي: هو عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي، نحوي. توفي سنة ٣٤٨هـ. (راجع ترجمته في إرشاد الأريب ٥:٥).

(٢) السيرافي: هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان. نحوي أديب. توفي سنة ٣٦٨هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١: ١٣٠، ونزهة الألباب ٣٧٩، والجواهر المضيّة ١: ١٩٦ ثم ٢: ٢٢٦، ولسان الميزان ٢: ٢١٨).

(٣) ابن عقيل: هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء ويُعرف بابن عقيل. عالِم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته. كان قويّ الحجة. اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته، وكان يعظّم الحلّاج، فأراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدّة سنين، ثم أظهر التوبة حتى تمكّن من الظهور. له تصانيف. توفي سنة ٥١٣هـ. (راجع ترجمته في جلاء العينين ٩٩، وشذرات الذهب ٤: ٣٥، وغاية النهاية ١: ٥٥٦، ولسان الميزان ٤: ٢٤٣، واوعلام ٤: ٣١٣).

(٤) ابن برهان الأسدي: هو عبد الواحد بن علي، ابن برهان الأسدي العكبري، أبو القاسم: =

لأصحابه: إياكم والنحو بين العامة، فإنه كاللحن بين الخاصة.

قال ابن عقيل: وتعليل هذا أن التحقيق بين المحرفين ضائع، وتضييع العلم لا يحل، وهذا روي (حدثوا الناس بما يعقلون أتحبون أن يكذب على الله ورسوله)، وقد قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عمير، ما فعل النغير»، ولعب مع الحسن والحسين، وإنما نسب المعلمون للحماقة لمعاملتهم الصبيان بالتحقيق.

قال الأصمعي: كان يحيى بن معمر[1] قاضياً بخراسان، فتقدّم إليه رجل وامرأته، فقال يحيى للرجل: رأيت إن سألتك حق شكرها، وشبرك إن شاءت تطلها وتضهلها، قال: يقول الرجل لامرأته: والله ما أدري ما يقول قومي حتى ننصرف. (الشكر: الفرج. والشبر: النكاح. وتطلها: تبطل حقها. وتضهلها: تعطيها حقها قليلاً قليلاً).

وكذلك قال عيسى بن عمر ليوسف بن عمر وهو يضربه بالسياط: «والله إن

عالِم بالأدب والنسب، من أهل بغداد. قال ابن ماكولا: ذهب بموته علم العربية من بغداد. كان أول أمره منجماً ثم صار نحوياً. وكان حنبلياً فتحول حنفياً. ومال إلى إرجاء المعتزلة. عاش نيفاً وثمانين سنة. وتوفي سنة ٤٥٦هـ. (راجع ترجمته في وفات الوفيات ٢: ١٩، وتاريخ بغداد ١١: ١٧، وإنباه الرواة ٢: ٢١٣، وشذرات الذهب ٣: ٢٩٧، وبغية الوعاة ٣١٧).

(١) الصواب: يحيى بن يعمر كما في الأعلام للزركلي ٨: ١٧٧. وهو يحيى بن يعمر الوشقي العدواني أبو سليمان، أول من نقط المصاحف. كان من علماء التابعين عارفاً بالحديث والفقه ولغات العرب، من كتّاب الرسائل الديوانية، وفي لغته إغراب وتعقّر. أدرك بعض الصحابة وأخذ اللغة عن أبيه والنحو عن أبي الأسود الدؤلي، وكان فصيحاً ينطق بالعربية المحضة طبيعة فيه غير متكلّف. وتشيّع لأهل البيت من غير انتقاص لفضل غيرهم. وصحب يزيد بن المهلّب إلى خراسان، فكان كاتب رسائله وأعجب الحجاج بقوة أسلوبه فطلبه من يزيد فجاءه إلى العراق. توفي سنة ١٢٩هـ. (راجع ترجمته في الإرشاد ٧: ٢٩٦، والجهشياري ٤١ ــ ٤٢، والوفيات ٢: ٢٢٦، والتهذيب ١١: ٣٠٥، ونزهة الألباب ١٩، وبغية الوعاة ٤١٧).

كانت إلّا ثياباً في اسيفاط قبضها عشاروك». قال ابن قتيبة: ومثل هذا يستقبح، والأدب غض فكيف اليوم؟

وقع نحوي في كنيف[1]، فصاح به الكناس: أنت في الحياة، قال: ابغ لي سلماً وثيقاً وامسكه إمساكاً رفيقاً ولا بأس عليّ، فقال له: لو كنت تركت الفضول يوماً لتركته الساعة، وأنت في الخرا إلى الحلق.

وقف نحوي على صاحب بطيخ، فقال: بكم تلك وذانك الفاردة؟ فنظر يميناً وشمالاً ثم قال: اعذرني فما عندي شيء يصلح للصفع.

وقف نحوي على زجاج، فقال: بكم هاتان القنينتان اللتان فيهما نكتتان خضراوتان؟ فقال الزجاج: ﴿مُدْهَامَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾[2].

وعن أبي زيد النحوي، قال: وقفت وعنده بطون، فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بدرهمان يا ثقيلان.

وعن أحمد بن محمد الجوهري، قال: سمعت أبا زيد النحوي، قال: وقفت على قصاب وقد أخرج بطنين سمينين فعلّقهما، فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بمصفعان يا مضرتان. ففررت لئلا يسمع الناس فيضحكون.

قال: حدثنا أبو حمزة المؤدب، قال: حدثنا أحمد بن محمد القزويني ـ وكان شاعراً ـ أنه دخل سوق النخاسين بالكوفة فقعد إلى نخاس فقال: يا نخاس، اطلب لي حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم بي السواري، إذا خلا في الطريق تدفق، وإذا أكثر الزحام ترفق، فقال له النخاس بعد أن نظر إليه ساعة: دعني، إذا مسخ الله القاضي حماراً اشتريته لك.

---

(١) الكنيف: بيت الخلاء.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٦٤.

حدثنا بعض أصحابنا، قال: قلت لبقال: عندك بسر فرساً؟ قال: عندي قرعة.

وعن إسحاق بن محمد الكوفي، قال: جاء أبو علقمة إلى عمر الطبيب فقال: أكلت دعلجاً[1]، فأصابني في بطني سجح[2]، فقال: خُذ غلوص وخلوص، فقال أبو علقمة: وما هذا؟ قال: وما الذي قلت أنت؟ كلمني بما أفهم، قال: أكلت زبداً في سكرجة[3]، فأصابني نفخ في بطني، فقال: خذ صعتراً.

ودخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب، فقال: أمتع الله بك، إني أكلت من لحوم هذه الجوازم فطست[4] طسأة، فأصابني وجع في الوالبة إلى ذات العنق، فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الحلب والشراشيف، فهل عندك دواء؟ قال: نعم، خذ حرقفاً وسلقفاً فزهزقة وزقزقة واغسله بماء روث واشربه، فقال أبو علقمة: لم أفهم عنك هذا، فقال: أفهمتك كما أفهمتني.

قال: حدثنا أبو عثمان، عن أبي حمزة المؤدب، قال: دخل أبو علقمة النحوي سوق الجرارين بالكوفة، فوقف على جرار، فقال: أجد عندك جرة لا فقداء ولا دباء ولا مطربلة الجوانب، ولتكن نجوية خضراء نضراء قد خف محملها، وأتعبت صانعها قد مستها النار بألسنتها، إن نقرتها طنّت وإن أصابتها الريح رنّت؟ فرفع الجرار رأسه إليه ثم قال له: النطس بكور الجروان أحر وجكى، والدقس باني والطبر لري شلك لك بك، ثم صاح الجرار: يا غلام، شرج ثم درب والى الوالي

(١) الدعلج: النبات الذي قد آزر بعضه (راجع اللسان: مادة دعلج).

(٢) السجح: الإسهال واللين.

(٣) السكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأُدم، وهي فارسية، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها (راجع اللسان: مادة سكرج).

(٤) طسئت: أتخمت.

فقرب، يا أيها الناس، من بلي بمثل ما نحن فيه؟ وأنشد لثعلب[1]:

إنْ شِئْتَ أنْ تُصْبِحَ بينَ الوَرى ... ما بَيْنَ شَتَّامٍ ومُغْتَابِ
فكُنْ عَبُوساً حين تلقَاهُم ... وكلِّم النّاس بإعرابِ

* * *

(1) ثعلب: هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، بالولاء، أبو العباس المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللّهجة، ثقة حجة. وُلد ومات في بغداد. وأُصيب في أواخر أيامه بصمم فصدمته فرس فسقط في هوة. توفي سنة ٢٩١هـ. (راجع ترجمته في نزهة الألباب ٢٩٣، وتذكرة الحفاظ ٢: ٢١٤، وطبقات ابن أبي يعلى ١: ٨٣، وآداب اللغة ٢: ١٨١، والمسعودي ٢: ٣٨٧).

الباب التاسع عشر:

في ذِكْر من قال شعراً من المغفلين

عن المبرد[1]، قال: قال الجاحظ: أنشدني بعض الحمقى:

إنَّ داءَ الـحُـبِّ سَـقَـمٌ   لَـيْسَ يـهـنـيـهِ الـقَـرارُ
ونَـجـا مَـنْ كـانَ لا يـعـ   ـشقُ مِنْ تِـلْكَ الـمـخـازي

فقلت: إن القافية الأولى راء والثانية زاي؟ فقال: لا تنقط شيئاً، فقلت: إن الأولى مرفوعة والثانية مكسورة، فقال: أنا أقول تنقط وهو يشكل.

وحكى بعضهم، قال: اجتمعنا ثلاثة نفر من الشعراء في قرية تسمى طيهاثا[2]، فشربنا يومنا، ثم قلنا: ليقل كل واحد بيت شعر في وصف يومنا، فقلت:

نلنا لذيذ العيش في طيهاثا

فقال الثاني:

لما احتثنا القدح احتثاثا

---

(١) المبرّد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد. إمام العربية ببغداد في زمنه وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. توفي سنة ٢٨٦هـ. (راجع ترجمته في بغية الوعاة ١١٦، ووفيات الأعيان ١: ٤٩٥، وفيه وفاته سنة ٢٨٦، وقيل ٢٨٥. وسمط اللآلي ٣٤٠، والسيرافي ٩٦، وتاريخ بغداد ٣: ٣٨٠).

(٢) طيهاثا: لا وجود لهذا الاسم في المراجع التي بين أيدينا.

فارتجّ[1] على الثالث، فقال:

امــرأتــه طــالــق ثــلاثــا

ثم قعد يبكي على امرأته ونحن نضحك عليه.

عن أبـي الحسن علي بن منصـور الحلبـي، قال: كنت أحضـر مجلس سيف الدولة[2]، فحضرته وقد انصرف من غزو عدو له ظفر به، فدخـل الشعراء ليهنئـوه، فدخل رجل وأنشده:

وكــانــوا كـفــأرٍ خلف حــائطٍ ... وكُنْتَ كَسَنُّــورٍ عليهـم تَسَلّقَــا

فـأمر سيف الـدولة بـإخراجـه، فقام على البـاب يبكي، فأخبـر سيف الدولـة ببكائه، فأمر برده، فقال: مالك تبكي؟ فقال: (قصدت مـولانا بكـل ما أقـدر عليه، فلما خاب أملي وقابلني بالهوان ذلت نفسي فبكيت)، فقال له سيف الدولة: ويلك، من يكون له مثل هذا النثر يكون لـه النظم، فكم أملت؟ قـال: خمس مائـة درهم. فأمر له بألف درهم.

عن الصولي[3]، قال: كـان لمحمد بن الحسن ابن، فقـال له: إني قـد قلت شعراً، قال: أنشدنيه، قال: فإن أجدت تهب لي جاريـة أو غلامـاً؟ قال: أجمعهمـا لك؟ فأنشده:

إنّ الـدِّيَـارَ طـيـفـاً ... هَـيـجْـنَ حُـزْنـاً قـد عَـفَـا
أبْـكَـيْـنَـنـي لِـشَـقَـوتـي ... وَجَـعَـلْنَ رأسـي كـالـقَـفَـا

فقال: يا بني، والله ما تستأهل جارية ولا غلاماً، ولكن أمك مني طـالق ثلاثـاً إذا ولدت مثلك.

قال أبو سجاده الفقيه في شعر به:

---

(١) ارتجّ عليه: امتنع عن الكلام عليه.

(٢) سيف الدولـة: هـو علي بن عبـد الله بن حمـدان، أبـو الحسن المعـروف بسيف الـدولـة الحمداني المتوفى سنة ٣٥٦هـ.

(٣) الصولي: هو محمد بن يحيى بن عبد الله، المتوفى سنة ٣٣٥هـ.

ومنّا الوزيرُ ومنّا الأميرُ ومِنّا المشيرُ ومِنّا أنا

وقد وقع شيء يشبه التغفيل من فطناء الشعراء. قال: فإن البحتري[1] دخل على بعض من يمدحه، فأنشده:

لك الويل من ليل تطاول آخره[2]

فقال الممدوح:

لك الويل والحرب

مدح رجل معن بن زائدة[3]، فقال:

أتيتك إذ لم يبقَ غيرك جابر ولا واهب يعطي اللّها[4] والرّغائبا

فقال معن: ليس هذا مدحاً، وهلا قلت كما قال أخو بني تيم لمالك بن مسمع[5]:

قلّدْته عُرَى الأمورِ نِزارٌ قَبْلَ أنْ تملكَ السّراة النُّحُورا

---

(١) البحتري: هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، المتوفى سنة ٢٨٤هـ.

(٢) رواية الديوان:

له الويل من ليلٍ بطاء أواخره ووشك نوى حيّ تزمّ أباعره

وهو مطلع قصيدة يمدح بها يوسف بن محمد. (راجع ديوان البحتري ١: ٢٨٣ دار صادر).

(٣) معن بن زائدة: أبو الوليد من أشهر أجواد العرب وأحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعباسي. أخباره كثيرة معجبة، وللشعراء فيه أماديح ومراث من عيون الشعر أورد بعضها ابن خلّكان والخطيب البغدادي. توفي سنة ١٥١هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٢: ١٠٨، وتاريخ بغداد ١٣: ٢٣٥، وابن الأثير ٥: ٢٢٤، والمرزباني ٤٠٠).

(٤) اللها: العطايا.

(٥) مالك بن مسمع: هو مالك بن مسمع بن شيبان البكري الربعي. أبو غسان، سيد ربيعة في زمانه. كان مقدماً رئيساً. وُلد في عهد النبي ﷺ وفيه يقول حصين بن منذر:

حياة أبي غسان خير لقومه لمن كان قد قاس الأمور وجرّبا

قال المبرّد: وإليه تنسب المسامعة. توفي سنة ٧٣هـ. (راجع ترجمته في الإصابة ت: ٨٣٦١، والمعارف ١٨٤، والنقائض ١٠٩٠، والمحبّر ٣٠٢، ومعجم ما استعجم ٣٨٧).

الباب العشرون:

في ذِكْر المغفلين من القصَّاص

فمنهم (سيفويه) القاص، كان يُضرب به المثل في التغفيل.

عن محمد بن العباس بن حيويه، قال: قيل لسيفويه: قد أدركت الناس، فلِمَ لم تحدث؟ قال: اكتبوا حدثنا شريك، عن مغيرة، عن إبراهيم بن عبد الله مثله سواء، قالوا له: مثل إيش؟ قال: كذا سمعنا وكذا نحدِّث.

عن ابن خلف، قال: جاء يوماً رجل من عرس، فسأله سيفويه ما أكل؟ فأقبل يصف له، فقال: ليت ما في بطنك في حلقي.

عن ابن خلف، قال: قال عبد العزيز القاص: ليت أن الله لم يكن خلقني وإني الساعة أعور، فحكيت ذلك لابن غياث، فقال: بئس ما قال، ووددت والله الذي لا إلّه إلّا هو، إن الله لم يكن خلقني وإني الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين.

وروى أبو العباس بن مشروح، قال: كان سيفويه اشترى لمنزله دقيقاً بالغداة وراح عشاء يطلب الطعام، فقالوا: لَمْ نخبز؟ لم يكن عندنا حطباً، قال: كنتم تخبزونه فطيراً.

وحكى أبو منصور الثعالبي أن رجلاً سأل سيفويه عن الغسلين[1] في

(١) الغسلين في االقرآن العزيز: ما يسيل من جلود أهل النار كالقيح وغيره كأنه يُغسل عنهم. وقيل: الغسلين ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم. وفي التنزيل العزيز: إلّا من غسلين لا يأكله إلّا الخاطئون. قال مجاهد: طعام أهل النار. وقيل غير ذلك. (راجع اللسان: مادة غسل).

كتاب الله تعالى فقال: على الخبير سقطت، سألت عنه، شيخاً فقيهاً من أهل الحجاز، فما كان عنده قليل ولا كثير.

وقف سيفويه راكباً على حمار في المقابر، فنفر حماره عند قبر منها، فقال: ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً.

وقرأ سيفويه: (ثُمَّ في سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها تسعون ذِرَاعاً)[1]، فقيل له: قد زدت عشرين، فقال: هذه خلقت لبغاء ووصيف، فأما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف.

وقرأ قارىء بين يديه: ﴿كأنَّما أُعْشِيَتْ وجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾[2]، فقال: ماذا لقي القوم والله من أجل صلاتهم بالليل.

وقرأ القارىء: ﴿كأنَّهنَّ اليَاقُوتُ والمُرْجانُ﴾[3]، فقال: هؤلاء خلاف نسائكم الفجار.

قيل لسيفويه: إن اشتهى أهل الجنة عصيدة[4]، كيف تعملون؟ قال: يبعث الله لهم أنهار دبس ودقيق وأرز، ويقال: اعملوا وكلوا واعذرونا.

وعن محمد بن خلف، قال أبو أحمد التمار في قصصه: لقد عظم رسول الله ﷺ حقّ الجار حتى قال فيه قولاً أستحيي والله أن أذكره.

قال ابن خلف: قص قاص بالمدينة، فقال: رأى أبو هريرة على ابنته خاتم ذهب، فقال: يا بنية، لا تتخمي بالذهب فإنه لهب، فبينما هو يحدثهم إذ بدت كفه فإذا فيها خاتم ذهب، فقالوا له: تنهانا عن لبس الذهب وتلبسه؟ فقال: لم أكن ابنة أبي هريرة.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٣٢، وتصويبها: ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه.
(٢) سورة يونس: الآية ٢٧.
(٣) سورة الرحمن: الآية ٥٨.
(٤) العصيدة: دقيق يلتّ بالسمن ويطبخ (راجع اللسان: مادة عصد).

عن محمد بن الجهم، أنه قال: سمعت الفراء يقول: كان عندنا رجل يفسر القرآن برأيه، فقيل له: ﴿أرأيْتَ الّذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ﴾(٥)، فقال: رجل سوء والله، فقيل: ﴿فَذَلِكَ الّذي يَدُعُّ اليتيمَ﴾(٦)، فسكت طويلاً، ثم قال: من هذا عجبت.

وعن عبد الرحمن بن محمد الحنفي، قال: قال أبو كعب القاص في قصصه: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا، فقالوا له: فإن يوسف لم يأكله الذئب، قال: فهو اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

قال: حكاها الجاحظ، عن أبي علقمة القاص، قال: كان اسم الذئب «حجوناً».

عن العلاء بن صالح، قال: كان عند الأعلى بن عمر قاصّاً، فقص يوماً، فلما كاد مجلسه ينقضي قال: إن أناساً يزعمون أني لا أقرأ من القرآن شيئاً وأني لأقرأ منه الكثير بحمد الله، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، فارتج[٣] عليه، فقال: من أحب أن يشهد خاتمة السورة فليحضرنا إلى مجلس فلان.

حكى أبو محمد التميمي، أن أبا الحسن السماك الواعظ دخل عليهم يوماً وهم يتكلمون في أبابيل، فقال: في أي شيء أنتم؟ فقالوا: نحن في ألف أبابيل، هل هو ألف وصل أو ألف قطع؟ قال: لا ألف وصل ولا ألف قطع، وإنما هو ألف سخط، ألا ترون أنه بلبل عليهم عيشهم! فضحك القوم من ذلك.

جاء رجل إلى قاص وهو يقرأ: ﴿يَتَجَرَّعَهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[٤]، فقال: اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه.

قال الجاحظ: سمعت قاصاً أحمق وهو يقص حديث موسى وفرعون وهو يقول: لما صار فرعون في وسط البحر في الطريق اليابس، قال الله للبحر: انطبق،

---

(١) سورة الماعون: الآية ١.

(٢) سورة الماعون: الآية ٢.

(٣) ارتجّ عليه: امتنع الكلام عليه.

(٤) سورة إبراهيم: من الآية ١٧.

فما زال حتى علاه الماء، فجعل فرعون يضرط مثل الجاموس نعوذ بالله من ذلك الضرط.

قال: وسمعت قاصّاً بالكوفة يقول: والله لو أن يهودياً مات وهو يحب علياً، ثم دخل النار ما ضره حرها.

قال بعض القصاص: يا معشر الناس، إنْ الشيطان إذا سُمِّيَ على الطعام والشراب لم يقربه، فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسمّوا، فيأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسموا حتى تقتلوه عطشاً.

كان أبو سالم القصاص يقص يوماً، قال: يا ابن آدم، يا ابن الزانية، أما تستحي من الملك الجليل حتى تقدم على العمل القبيح؟

وسرق باب أبي سالم، فجاء إلى باب المسجد وقلعه، قالوا: ما تصنع؟ قال: أقلع هذا الباب، فإن صاحبه يعلم من قلع بابي.

سئل بعض الوعاظ: لِمَ لم تنصرف (أشياء)؟ فلم يفهم ما قيل له، ثم سكت ساعة فقال: تسأل سؤال الملحدين، لأن الله يقول: (لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ)[1].

قال بعض الأشياخ: إنه كتب في رقعة إلى بعض القصاص يسأله الدعاء لامرأة حامل، فقرأ الرقعة ثم قلبها وفي ظهرها صفة دواء قد كتبه طبيب وفيه «قنبيل» «وخشيرك» «وافتيمون» ونحو هذا، فظنها كلمات يسأل بها، فدعا وجعل يقول: يا رب قنبيل، يا رب خشيرك، ويا رب افتيمون.. إلى أن أنهى ما ذكر.

* * *

(١) سورة المائدة: من الآية ١٠١.

الباب الحادي والعشرون:

في ذِكْر المغفلين من المتزهدين

عن علي بن المحسن التنوخي، قال: كان عندنا بجبل اللكام[1] رجل يسمى أبو عبد الله المزابلي يدخل البلد بالليل، فيتتبع المزابل فيأخذ ما يجده ويغسله ويقتاته ولا يعرف قوتاً غيره، أو يتوغل في الجبل، فيأكل من الثمرات المباحات، وكان صالحاً مجتهداً إلّا أنه كان قليل العقل، وكان بأنطاكية موسى الزكوري صاحب المجون، وكان له جار يغشي المزابلي، فجرى بين موسى الزكوري وجاره شر، فشكاه إلى المزابلي فلعنه في دعائه، فكان الناس يقصدونه في كل جمعة فيتكلّم عليهم ويدعو.

فلما سمعوه يلعن ابن الزكوري جاء الناس إلى داره لقتله، فهرب ونُهبت داره، فطلبه العامة فاستتر، فلما طال استتاره، قال: إني سأحتال على المزابلي بحيلة أتخلص منها فأعينوني، فقالوا: ما تريد؟ قال: اعطوني ثوباً جديداً وشيئاً من مسك وناراً وغلماناً يؤنسوني الليلة في هذا الجبل.

قال: فأعطيته ذلك، فلما كان نصف الليل صعد فوق الكهف الذي يأوي فيه المزابلي، فبخر بالبند[2] ونفخ المسك، فدخلت الرائحة إلى كهف أبي عبد الله

(١) اللّكام: جبل مشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرطوس، ذكره المتنبي فقال:

بها الجبلان من صخرٍ وفخرٍ أنافا ذا المغيث وذا اللكام

راجع معجم البلدان ٥:٢٢).

(٢) البند: الذي يسكر من الماء، والبند: البيذق. وقيل غير ذلك. (راجع اللسان: مادة بند).

المزابلي، فلما اشتم المزابلي تلك الرائحة وسمع الصوت قال: مالك عفاك الله، من أنت؟ قال: أنا جبرائيل أرسلني ربي، فلم يشك المزابلي في صدق القول وأجهش بالبكاء والدعاء، فقال: يا جبرائيل، ومن أنا حتى يرسلك الله إليّ؟ فقال: الرحمن يقرئك السلام ويقول لك موسى الزكوري غداً رفيقك في الجنة، فصعق أبو عبد الله، فتركه موسى فرجع.

فلما كان من الغد، كان يوم الجمعة أقبل المزابلي يخبر الناس بمسألة جبرائيل ويقول: تمسحوا بابن الزكوري واسألوه أن يجعلني في حل واطلبوه لي، فأقبل العامة إلى دار ابن الزكوري يطلبونه ويستحلونه.

عن أبي النقاش، عن شيخ له، قال: كنت في جامع واسط[١] ورجلان يحدثان في حديث جهنم، فقال أحدهما: بلغني أن الله عز وجل يعظم خلق الكافر حتى يكون ضرسه مثل أُحد، فقال له الآخر: ليس هذا أمره. وإلى جانبهما شيخ متأله كثير الصلاة فالتفت إليهما، فقال: لا تنكروا هذا، إن الله على كل شيء قدير، وتصديق ما كنتما فيه كتاب الله، قالا: وما ذاك يا عم؟ قال: قوله تعالى: (فأولَئِكَ يُبَدِّلُ الله سنانهم خشبات)[٢] فهو ما يبدل السن خشبة إلّا وهو قادر على أن يجعله مثل أُحد.

عن الزهري، قال: بلغني عن حجاج الشاعر، أنه مر يوماً في درب وفي آخره ميزاب، قال: أصابني لم يصبني أصابني، فلما طال عليه ذلك، جاء وجلس تحته وقال: استرحت من الشك.

عن أبي علي الطائي، قال: قرأ رجل عند بعض المتزهدين وكان مغفلاً: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امـرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾[٣]؛ فقال لنا: دعنا من آيات الفجار.

---

(١) واسط: مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة. وهي مدينة الحجاج، توجد خرائبها اليوم بجوار مدينة الحلّة في جنوب العراق. (راجع معجم البلدان ٥: ٣٤٧).

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٠، وتصويبها: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٠.

عن محمد المخرمي[1]، قال: كنا في مجلس، فشممت رائحة أنكرتها، فنظرت فإذا رجل قد وضع في شاربه عذرة[2]، فقلت له: ما هذا؟ قال: تواضعاً لربي عز وجل.

قال طاهر بن الحسين[3] للمرزوي: منذ كم دخلت العراق؟ قال: منذ عشرين سنة، وإني أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة، قال طاهر: سألتك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين.

عن أبي عثمان الجاحظ، قال: أخبرني يحيى بن جعفر، قال: كان لي جار من أهل فارس وكان بلحية ما رأيت أطول منها قط، وكان طوال الليل يبكي، فأنبهني ذات ليلة بكاؤه ونحيبه وهو يشهق ويضرب على رأسه وصدره ويردد آية من كتاب الله تعالى، فلما رأيت ما نزل به، قلت: لأسمعن هذه الآية التي قتلت هذا وأذهبت نومي، فتسمعت عليه فإذا الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً﴾[4]، فعلمت أن طول اللحية لا يخلف.

وعنه، قال: أخبرني النظام[5] قال: مررت بناحية باب الشام، فرأيت شيخاً قاعداً على باب داره وبين يديه حصى ونوى وهو يسبح ويعد بهما ويقول: حسبي الله حسبي الله، فقلت: يا عم، ليس هذا هو التسبيح، قال: كيف هو

---

(١) محمد المخرمي: هو محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي، بالولاء، أبو جعفر المخرمي: قاضي حلوان في العراق، من حفّاظ الحديث الثقات. روى عنه البخاري وأبو داوود والنسائي. توفي سنة ٢٥٤هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٩: ٢٧٢).

(٢) العذرة: البراز والغائط.

(٣) طاهر بن الحسين: من كبار الوزراء والقواد أدباً وحكمةً وشجاعة. وهو الذي وطّد الملك للمأمون العباسي. ولّاه المأمون شرطة بغداد، ثم ولّاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب سنة ١٩٨، وخراسان سنة ٢٠٥هـ. توفي سنة ٢٠٧هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ١: ٢٣٥، والبداية والنهاية ١٠: ٢٦٠، وابن الأثير ٦: ١٢٩، والطبري ١: ٢٦٥).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٥) النظام: هو إبراهيم بن سيّار بن هانيء. توفي سنة ٢٣١هـ.

التسبيح عندك؟ قلت: سبحان الله، قال: يا أحمق، هذا تسبيح تعلمته بعبادان[1] منذ ستين سنة أسبح به، فاتركه لقولك يا جاهل.

وقال: رأيت أبا محمد السيرافي: وكان طويل اللحية يدعو ربه وقد رفع يديه إلى السماء وهو يقول: يا منقذ الموتى، ومنجّي الغرقى، وقابل التوبات، وراحم العثرات، أنت تجد من ترحمه وأنا لا أجد من يعذبني سواك.

قال: رأيت أبا سعيد البصري يدعو ربه، وكان طويل اللحية أحمق، وهو يقول: يا رباه، يا سيداه، يا مولاه، يا جبرائيل، يا إسرافيل، يا ميكائيل، يا كعب الأحبار[2]، يا أويس القرني[3].. بحق محمد وجرجيس عليك، ارخص أمتك على الدقيق.

عن بشر بن عبد الوهاب، قال: كان يجلس إلى عمود في دمشق رجل جميل الهيأة، فرأيته يوماً وقد سجد ويقول في سجوده: سجد لك خضرتي وحمرتي وصفرتي وبياضي وسوادي، خاشعاً ضارعاً خاضعاً ماصاً لبظر[4] أمه، ومن أنا عندك الزاني ابن الزانية حتى لا تغفر له؟

---

(١) عبادان: بلدة بين النهرين (راجع معجم البلدان ٤: ٧٤).

(٢) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هم من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي فيها سنة ٣٢هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ١: ٤٩، وحلية الأولياء ٥: ٣٦٤، والإصابة ت: ٧٤٩٨، والنجوم الزاهرة ١: ٩٠، وهو فيه: كعب بن نافع).

(٣) أويس القرني: أحد النساك العباد المقدمين من سادات التابعين. أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال. أدرك حياة النبي ﷺ ولم يَرَه، فوفد على عمر بن الخطاب، ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفّين مع عليّ ويرجّح الكثيرون أنه قُتل فيها وذلك سنة ٣٧هـ. (راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ١١١، والشريشي ٢: ٢١٧، وتاج العروس ٤: ١٠٢، وابن عساكر ٣: ١٥٧).

(٤) البظر: اللحمة الزائدة بين شفري فرج المرأة.

كان لأبي العتاهية تلميذ تصوّف وتزهّد وقيّر[1] إحدى عينيه، وقال: النظر إلى الدنيا بعينين إسراف.

قال بعضهم: كان لي عم له سبعون سنة، فسمعته يقول في دعائه: بمن كان محمد وآله من النبيين والمرسلين، فقلت له: يا عم، أسمعك تدعو بهذا الدعاء، فمن كان بين محمد وآله من النبيين والمرسلين؟ فقال: العشرة الذين بايعوه تحت الشجرة.

قال بعض معارفنا: إنه حضر في بعض البلاد عند متزهد، وحضر جماعة يتبرّكون به، منهم قاضي البلد، فجرى ذكر لوط (عليه السلام)، فقال المتزهد: عليه لعنة الله، فقيل له: ويحك هذا نبي، فقال: ما علمت، ثم التفت إلى القاضي، فقال: خذ علي التوبة مما قلت، فتاب، ثم أفاضوا في الحديث، فجرى ذكر فرعون، فقالوا له: ما تقول فيه؟ فقال: أنا الآن تبت فلا أدخل بين الأنبياء.

* * *

(١) قيّر عينه: طلاها بالقار، والقار مادة سوداء تطلى بها السفن والإبل وغيرها، وقيل: هو الزفت.

الباب الثاني والعشرون:

في ذِكْر المغفلين من المعلمين

وهذا شيء قلَّ أن يخطىء ونراه مطرداً، ولا نظن السبب في ذلك إلاّ معاشرة الصبيان، وقد بلغني أن بعض المؤدبين للمأمون أساء أدبه على المأمون وكان صغيراً، فقال المأمون: ماظنك بمن يجلو عقولنا بأدبه ويصدأ عقله بجهلنا، ويوقرنا بزكانته ونستخفه بطيشنا، ويشحذ أذهاننا بفوائده ويكل ذهنه بغينا، فلا يزال يعارض بعلمه جهلنا، بيقظته غفلتنا، وبكماله نقصنا، حتى نستغرق محمود خصاله ويستغرق مذموم خصالنا، فإذا برعنا في الاستفادة برع هو في البلادة، وإذا تحلَّينا بأوفر الآداب تعطل من جميع الأسباب، فنحن الدهر ننزع منه آدابه المكتسبة فنستفيدها دونه، ونثبت فيه أخلاقنا الغريزية فينفرد بها دوننا، فهو طول عمره يكسبنا عقلاً، ويكتسب منا جهلاً، فهو كذبالة[1] السراج ودودة القز.

قال الجاحظ: كان ابن شبرمة لا يقبل شهادة المعلمين. وكان بعض الفقهاء يقول: النساء أعدل شهادة من معلم.

وقد روينا أن الشعبي قال: سمعت أبا بكر يقول: مررت بمؤدب وقد تلا على غلام (فريق في الجنة وفريق السعير)، فقلت: ما قال الله من هذا شيئاً، إنما هو ﴿فَريقٌ في الجَنَّةِ وفَريقٌ في السَّعير﴾[2]، فقال: أنت تقرأ على حرف أبي عاصم ابن علاء الكسائي، وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة ابن عاصم المدني، قلت: معرفتك بالقراء أعجب وأغرب.

---

(١) الذبالة: الفتيلة.

(٢) سورة الشورى: الآية ٧.

قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال بعض المجان: مررت ببعض دور الملوك، فإذا أنا بمعلم خلف ستر قائم على أربعة ينبح نبح الكلاب، فنظرت إليه فإذا صبي خرج من خلف ستر، فقبض عليه المعلم، فقلت للمعلم: عرفني خبرك، قال: نعم هذا صبي يبغض التأديب ويفر ويدخل إلى الداخل ولا يخرج، وإذ طلبته بكى، وله كلب يلعب به، فأنبح له فيظن أني كلبه ويخرج إلي فخذه.

عن الكسائي، قال: كان الذي دعاني أن أقرأت بالري أني مررت بمعلم صبيان يقرأ (ذواتى أكل خمط وأتل) بالتاء، فتجاوزته فإذا معلم آخر قد ذكرت له ذلك فقال: أخطأ، الصواب (وابل)، فدعاني أني أقرأت الصبيان.

قال الجاحظ: قلت لبعض المعلمين: مالي لا أرى لك عصا؟ قال: لا أحتاج إليها، إنما أقول لمن يرفع صوته أمه زانية، فيرفعون أصواتهم، وهذا أبلغ من العصاة وأسلم.

قال: وقلت لمعلم: لِمَ تضرب غلمانك من غير جرم؟ قال: جرمهم أعظم الأجرام، يدعون لي أن أحج، وإن حججت تفرقوا في المكاتب، فمتى أحج، أنا مجنون؟

قال غلام للصبيان: هل لكم أن يفلتنا الشيخ اليوم؟ قالوا: نعم، قال: تعالوا لنشهد عليه أنه مريض، فجاء واحد منهم، فقال: أراك ضعيفاً جداً وأظنك ستحمّ، فلو مضيت إلى منزلك واسترحت، فقال لأحدهم: يا فلان يزعم فلان أني عليل، فقال: صدق والله، وهل يخفى هذا على جميع الغلمان إن سألتهم أخبروك، فسألهم، فشهدوا، فقال لهم: انصرفوا اليوم وتعالوا غداً.

ضرب معلم غلاماً، فقيل: لِمَ تضربه؟ فقال: إنما أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب.

قيل: إن معلماً جاء إلى الجاحظ، فقال: أنت الذي صنعت كتاب المعلمين تعيبهم؟ قال: نعم، قال: وذكرت فيه بعض المعلمين جاء إلى الصياد وقال: إيش تصطاد طرياً أم مالحاً؟ قال: نعم، قال: ذلك أبله ولو كان فيه ذكاء كان يقف،

فينظر إن خرج طري علم أو خرج مالح علم.

قال الجاحظ: مررت بمعلم وصبيانه يتصافعون وبعضهم يصفع المعلم، فقلت لهم: ما هذا؟ قال: يكون لي عليهم دين، فقلت له: ينسى ويقضي لا أراه يحصل شيئاً.

قال: مررت بمعلم وقد كتب لغلام (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك، فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً، فمهل الكافرين أمهلهم رويداً)، فقلت له: ويحك، فقد أدخلت سورة في سورة، قال: نعم، إذا كان أبوه يدخل شهراً في شهر، فأنا أيضاً أدخل سورة في سورة، فلا آخذ شيئاً ولا ابنه يتعلّم شيئاً.

قال الجاحظ: ومررت وهو جالس وحده وليس عنده صبيانه، فقلت له: ما فعل صبيانك؟ قال: ذهبوا يتصافعون، فقلت: إذهب وانظر إليهم، فقال: إن كان ولا بد، فغط رأسك لئلا يحسبوك أنا، فيصفعوك حتى تعمى.

ورأيت معلماً قد جاءه غلامان قد تعلّق كل واحد منهما بالآخر، فقال: يا معلم هذا عض أذني، فقال: الآخر ما عضضتها وإنما عض أذن نفسه، فقال: يا ابن الخبيثة، جمل حتى يعض أذن نفسه؟

قال الجاحظ: مِن أعجب ما رأيت معلماً بالكوفة وهو شيخ جالس ناحية من الصبيان يبكي، فقلت له: يا عم مِمَّ تبكي! قال: سرق الصبيان خبزي.

قال أبو العنبس[1]: كان ببغداد معلم يشتم الصبيان، فدخلت عليه وشيخ معي، فقلنا: لا يحل لك، فقال: ما أشتم إلاّ من يستحق الشتم، فاحضروا حتى تسمعوا ما أنا فيه، فحضرنا يوماً فقرأ صبي: (عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون)، فقال: ليس هؤلاء ملائكة ولا أعراب ولا أكراد.. فضحكنا حتى بال أحدنا في سراويله.

---

(١) أبو العنبس: هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري. توفي سنة ٢٧٥هـ.

وقرأ عليه آخر: (وهم الذين يقولون لا تنفقوا إلّا من عند رسول الله)، فقال: يا ابن الفاعلة أتلزم النبي بنفقة مال لا تجب عليه؟

قال بعضهم: مررت بمعلم، الصبيان يضربونه وينتفون لحيته، فتقدمت لأخلصه، فمنعني، وقال: دعهم، بيني وبينهم شرط، فإن سبقتهم إلى الكتاب ضربتهم وإن سبقوني ضربوني، واليوم غلبني النوم فتأخرت، ولكن وحياتك ألا أبكرت غداً من نصف الليل وتنظر فعلي بهم، فالتفت إليه صبي، وقال: أنا أبيت الليلة ها هنا حتى تجيء وأصفعك.

عن أبي الفتح محمد بن أحمد الحريمي، قال: كان عندنا بخراسان إنسان قروي فكان له عجل، فدخل داره وأدخل رأسه في جب الماء ليشرب، فبقي رأسه في الجب، فجعل يعالج رأسه ليخرجه من الجب فلم يقدر، فاستحضر معلم القرية فقال: قد وقعت واقعة، قال: فما هي؟ فأحضره وأراه العجل، فقال: أنا أخلصك، أعطني سكيناً. فذبح العجل فوقع في الجب، وأخذ حجراً وكسر الجب. فقال القروي: بارك الله فيك، قتلت العجل وكسرت الجب.

* * *

الباب الثالث والعشرون:

في ذِكْر المغفلين من الحاكة

عن أبي عبيد الله ـ يعني أحمد بن حنبل رضي الله عنه ـ قال: حدثنا سفيان عن أبي هارون ـ يعني موسى بن أبي عيسى ـ أن مريم ذهبت تطلبه ـ يعني عيسى ـ حائكاً، فلقيت فقال: ذهب هكذا، قال سفيان كذبها، فقالت: اللهم توهه فلا تجده إلّا تائهاً. وسألت رجلاً خياطاً فأرشدها، فدعت له، فهو يجلس إليهم.

وعن موسى بن أبي عيسى أن مريم فقدت عيسى، فدارت تطلبه، فرأت حائكاً فلم يرشدها، فدعيت عليه فلا تزال تراه تائهاً، ورأت خياطاً فأرشدها، فدعت له فهو يأنس إليهم ويجلس معهم.

* * *

الباب الرابع والعشرون:

في ذِكْر المغفلين على الإطلاق

عن أبـي العيناء، قال: قال لي الجاحظ: كان لنا جار مغفل جداً وكان طويل اللحية، فقالت له امرأته: من حمقك طالت لحيتك، فقال: من عبر عير.

قال: وقد رأى عـلى بابه قذراً، فقال: هذا الذي قذر خلفنا إن كـان صادقـاً، فليقذر في وجوهنا حتى نعلم.

وولد له ولد، فقيل له: ما تسميـه؟ فقال: عمـر بن عبد العـزيز، وهنؤوه بـه، فقال: إنما هو من الله ومنكم.

وعن أحمد بن عمر البـرمكي[1]، قال: قـال أبو المنـذر: مرت بـي آيـة وهي قوله تعـالى: ﴿لا أَمْلِكُ إلاَّ نَفْسي وأخِي﴾[2]، فلم يرضَ موسى أن ادعى ملك نفسه حتى ادعى ملك أخيـه، رحم الله موسى مـا كان إلاّ قـدرياً[3] صـرفاً، أسـأل الله أن لا يؤاخذه.

عن إسماعيل بن زياد، قال: نشزت[4] على الأعمش امرأته، وكان يأتيه رجل يقـال لـه (أبـو البـلاد) فصيـح يتكلم العـربيـة، يـطلب منـه الحـديث، فقـال لـه:

---

(١) أحمد بن عمر البرمكي: كان صدوقاً، توفي سنة ٤٤١هـ.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٥.

(٣) القدرية: هـو مذهب في علم الكـلام الإسلامي، يـرى أصحابـه أن الإنسان حـر مختار في أفعاله وإلاّ لبطل الثواب والعقاب. وكان على رأس هذا المذهب في العصـر الأموي (٤٠ ـ ١٣٢هـ). الحسن البصري، وقد انبثق منه مذعب الاعتزال.

(٤) نشزت: استعصت، وساءت أخلاقها.

يا أبا البلاد: إن امرأتي قد نشزت عليَّ وغمتني، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها فقال: إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ ديننا وحلالنا وحرامنا، لا يغرك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه. فغضب الأعمش عليه وقال: أعمى الله قلبك، قد أخبرتها بعيوبي كلها، اخرج من بيتي، فأخرجه.

عن محمد بن سلام، قال: قال الشعبي[1]: كان شاب يجلس إلى الأحنف، فأعجبه ما رأى من صمته إلى أن قال له ذات يوم: أود أن تكون على شرف هذا المسجد وأن لك مائة ألف درهم، فقال له: يا ابن أخي، والله إن مائة الألف لمحرص عليها، ولكني قد كبرت وما أقدر على القيام على هذه الشرفة، وقام الفتى، فلما ولى قال الأحنف:

وكأيِّنَ مِنْ صَامتٍ لك معجبٌ زِيادتُهُ أو نَقْصهُ في التّكلُّمِ
لسانُ الفتى نِصفٌ ونِصفٌ فُؤاده فَلَمْ يَبقَ إلاَّ صورةَ اللّحمِ والدّمِ

عن نافع، قال: كان ابن عمر يمازح جارة له فيقول: خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام، فتغضب وتصيح وتبكي ويضحك ابن عمر.

عن محمد بن الحسن بن زياد، عن بعض ولد الشوارب ــ وكان أحمق ــ أن أباه أمره بتقيير[2] حب فقيَّرهُ من خارج، فقال له أبوه: ما هذا الفعل؟ قال: إذا شئت أن تقبله فاقبله.

وحكي أن هذا المذكور قد احتلم ليلة في وقت بارد، وكره أن ينغمس في

---

(١) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يُضرب المثل بحفظه. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. هو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً شاعراً. توفي سنة ١٠٣هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٥: ٦٥، والوفيات ١: ٢٤٤، وحلية الأولياء ٤: ٣١٠، وتهذيب ابن عساكر ٧: ١٣٨).

(٢) تقيير الحب: طلاؤه بالقار.

الماء البارد وطلب شيئاً يسخن فيه الماء فلم يجد، فنزع ثوبه وعبر النهر سباحة حتى استعار شيئاً يسخن فيه الماء ورجع سباحة ثم سخن فيه واغتسل.

عن أبي العيناء، أنه قال: رأيت يوماً في الوراقين منادياً مغفلاً في يده مصحف مخلق الأداة، فقلت له: ناد عليه بالبراءة من العيب، وأنا أعني به الأداءة، فأقبل ينادي بالبراءة مما فيه، فأوقعوا به.

عن البحتري، قال: قال لي السراج: منذ أربعين سنة لم أوتر خلافاً لمن يوجبها، قلت: انظر إلى تغفيل هذا الرجل كيف ترك واجباً عند قوم، وسُنّة عنه الأكثرين، وما يضر من أوجبها من تركه إياها.

عن معمر أنه قال: دخلت مسجد حمص، فإذا أنا بقوم لهم روّاد؛ فظننت فيهم الخير فجلست إليهم، فإذا هم ينتقصون علي بن أبي طالب ويقعون فيه، فقمت من عندهم، فإذا شيخ يصلي ظننت فيه الخير، فجلست إليه، فلما أحس بي وسلّم قلت: يا عبد الله ما ترى هؤلاء القوم ينتقصون علياً ويشتمونه، وجعلت أحدثه بمناقبه وأنه زوج بنت رسول الله ﷺ وأبو الحسنين وابن عم الرسول، فقال: يا عبد الله، ما لقي الناس من الناس، ولو أن أحداً نجا من الناس، لنجا منهم أبو محمد رحمه الله، هوذا يشتم وحده، قلت: ومن أبو محمد؟ قال: الحجاج بن يوسف، وجعل يبكي، فقمت عنه وقلت: لا يحل لي أن أبيت في هذه البلدة، فخرجت من يومي.

قال: وفي هذا المعنى، قال ابن الماجشون(١): كان لي صديق مدني فقدته مدة ثم رأيته، فسألته عن حاله فقال: كنت بالكوفة، فقلت: كيف أقمت بها وهم يسبون أبا بكر وعمر؟ فقال: يا أخي، قد رأيت منهم أعجب من ذا، قلت: وما هو؟

---

(١) ابن الماجشون: هو عبد الملك بن مروان بن عبد العزيز بن عبد الله التميمي، بالولاء، أبو مروان. فقيه مالكي فصيح، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه قبله. أضرّ في آخر عمره. كان مولعاً بسماع الغناء في إقامته وارتحاله. توفي سنة ٢١٢هـ. (راجع ترجمته في ميزان الاعتدال ٢: ١٥٠، والانتقاء ٥٧، وابن خلّكان ١: ٢٨٧، وفيه ثلاثة أقوال في وفاته: سنة ٢١٢ و٢١٣ و٢١٤).

قال: يفضلون الكباشي على معبد[1] في الغناء، فسمع المهدي بذلك، فضحك حتى استلقى.

وعن علي بن مهدي، قال: مر طبيب واسع فشكا إليه ريحاً في بطنه، فقال له: خذ الصعتر. فقال: يا غلام، دواة وقرطاس، وقال: قلت: ماذا أصلحك الله؟ كَفَّ صعتر ومكوك شعير، فقال: لِمَ لَمْ تذكر الشعير أولاً؟ قال: ما علمت أنك حمار إلّا الساعة.

وعن أبي خلف، قال: كان رجل يعرف بالمسكي يدعى البصر بالبراذين[2]، فنظر يوماً إلى برذون واقف، قد بلع رأس اللجام، فقال: العجب، كيف لا يزرعه القيء، أنا لو أدخلت أصبعي في حلقي لما بقي في جوفي شيء، قال: قلت الآن علمت أنك بصير بالبراذين.

قال: وسأل أبو نواس[3] أحد الوراقين الذين كانوا يكتبون في حانوت أبي داوود: أي أسن أنت أم أخوك؟ قال: إذا جاء رمضان استوينا.

قال: وسرقت منه دراهم، فقيل له: نرجو أن تكون في ميزانك، فقال: من الميزان سرقت.

وقيل لسورة الواسطي ــ وأراد سفراً: أحسن الله صحابتك، قال: ما احتاج، الموضع أقرب من ذلك.

---

(١) معبد: هو معبد بن وهب، أبو عباد المدني: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. كان مولى لبني مخزوم، ونشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشتغل بالتجارة. ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة. ثم رحل إلى الشام، فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه. كان أديباً فصيحاً، وعاش طويلاً. مات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ. (راجع ترجمته في الأغاني طبعة الدار ١: ٣٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٦٥، ورغبة الآمل ٦: ٤، ١٧ ــ ٤٢).

(٢) البراذين: جمع برذون وهو نوع من الحمير.

(٣) أبو نواس: هو الحسن بن هانىء. الشاعر المعروف. المتوفى سنة ١٩٦هـ.

عن أبي حصين، قال: عاد رجل عليلاً فعزاهم فيه، فقالوا له أنه لم يمت، فقال: يموت إن شاء الله.

وعن أبي عاصم[1]، قال: قال رجل لأبي حنيفة: متى يحرم الطعام على الصائم؟ قال: إذا طلع الفجر، قال: وإذا طلع الفجر نصف الليل؟ قال: قم يا أعرج.

عن أبي بكر بن مروان، قال: كان يجلس إلى أبي حنيفة رجل يطيل الصمت، فأعجب ذلك أبو حنيفة وأراد أن يبسطه، فقال له: يا فتى، مالك لا تخوض فيما نخوض فيه؟ فقال الفتى: متى يحرم على الصائم الطعام؟ فقال أبو حنيفة: أنت رجل أعرف بنفسك.

وعن طاهر الزهري، قال: كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم؟ قال: بلى، متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي لنطقك، ثم قال:

عَجِبتُ لازْراءِ العيي بنفسه ... وصمت الذي كان بالصّمت أعْلَمَا
وَفي الصمت سِتْرٌ للعييِّ وإنمّا ... صحيفة لبِّ المرءِ أنْ يتكلّمَا

عن أبي الحسن المدني، قال: سرق لأبي الجهم بن عطية حمار، فقال: لا والله يا رب، ما أخذ حماري غيرك، وأنت تعرف موضعه فاردده عليَّ.

عن مسعود قال: وجَّه عمرو بن سلمة ابن قتيبة ليشتري لأمه كفناً، فقال للبائع: لا تنتخبه فإنها، رحمها الله، كانت رديئة اللبس.

قال الدارقطني: عن أبي الحسين بن عبد الرحيم الخياط، قال: كنت جالساً عند أحمد بن الحسين، فجاءته امرأة برقعة فيها مسألة، فقال لي: اقرأها عليَّ

---

(١) أبو عاصم: هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني. حافظ للحديث. توفي سنة ٢١٢هـ.

يا أبا الحسين، فقرأتها فإذا فيها: رجل قال لامرأته: أنتِ طالق إن، ثم وقف عند إنْ، فقال لها: فما حال وقف إن؟ قالت: لست أعرف عند إن. فقال لي: أعد القراءة، فأعدت عليه كما قرأت أول مرة، فقال لها: فثم وقف عند إن هذه ولم يتم، قالت: لا والله ما أعرف وقف عند إن.

قال: وكان في المسجد جماعة، فقال لهم: انظروا، فقرأوا كلهم كما قرأت، ثم تنبه بعضهم لذلك، فقال: إنما هو رجل، قال لامرأته: أنت طالق (إن) ثم وقف عند (إن).

وعن الملازبان، قال أبو عثمان البصري: كان أخوة ثلاثة، أبو قطيفة والطبلي وأبو كلير، وهم ولد غياث بن أُسيد، فأما أحدهم فكان يحج عن حمزة بن عبد المطلب[1]، ويقول: استشهد قبل أن يحج، والآخر يضحي عن أبي بكر وعمر، ويقول: غلطا في ترك الأضحية، والآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق[2]، ويقول: غلطت في صوم أيام العيد، فمن صام عن أبيه فأنا أفطر عن أمي عائشة.

قال أبو عثمان: وذكر لأبي شعيب البلال عبد الله بن حازم وحميد الطوسي[3] ويحيى الحرمي وما كانوا فيه من كثرة القتل والضرب والعذاب، فقال: ويحهم كيف يجسرون على ذاك الأسد! يعني الله تعالى عما قال.

قال أبو عثمان: وسمع الحمقى مؤذناً يؤذِّن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الأحمق: أشهدها مع كل شاهد وأجحدها مع كل جاحد.

---

(١) حمزة بن عبد المطلب: أبو عمارة، من قريش، عمّ النبي ﷺ وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والإسلام. توفي سنة ٣هـ. (راجع ترجمته في أُسد الغابة، وابن سعد، والإصابة، وتاريخ الخميس، ١ : ١٦٤، وتاريخ الإسلام ١ : ٩٩، والروض الأنف ١ : ١٨٥).

(٢) أيام التشريق: ثلاثة أيام بعد الأضحى لأن لحوم الأضاحي تشرّق فيه. والتشريق أيضاً: صلاة العيد، لأنها تكون عقب الشروق.

(٣) حميد الطوسي: من كبار قواد المأمون العباسي. كان جباراً، فيه قوة وبطش. وكان المأمون يندبه للمهمات. توفي سنة ٢١٠هـ. (راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ٢ : ١٩٠).

وعن علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه، قال: تقدم إليَّ في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة. وأنا أتقلَّد القضاء بالأهواز[1] في مجلس حكم، رجلان، ادعى أحدهم على الآخر دعوى، فسألته عنها فأنكرها، فطالبت المدعي ببينة فعدمها وطلب استحلاف الخصم، فقلت له: أتحلف؟ فقال: ليس له عليَّ شيء كيف أحلف؟ ولو كان له عليَّ شيء لحلفت له وأكرمته.

وعن ثمامة بن أشرس[2]، قال: شهدت رجلاً وقد قدم خصماً له إلى بعض الولاة، فقال: أصلحك الله، أنا رافضي ناصبي، وخصمي جهمي مشبه مجسم قدري، يشتم الحجاج بن الزبير الذي هدم الكعبة على عليّ بن أبي سفيان ويلعن معاوية بن أبي طالب؛ فقال له الوالي: ما أدري مم أتعجب، من علمك بالأنساب أم من معرفتك الألقاب، قال: أصلحك الله، ما خرجت من الكتّاب[3] حتى تعلمت هذا كله.

وعن محمد بن المبرد، عن الحسن بن رجاء أن الرشيد لمّا غضب على ثمامة دفعه إلى سلام الأبرش، وأمره أن يضيق عليه، وأن يدخله بيتاً ويطين عليه ويترك فيه ثقباً، ففعل دون ذلك، وكان يدس إليه الطعام، فجلس سلام عشية وهو يقرأ المصحف، فقرأ: ﴿ويل يومئذٍ للمكذَّبون﴾، فقال ثمامة: إنما هو (المكذبين)، وجعل يشرح ويقول: المكذبون هم الرسل، والمكذبين هم الكفار، فقال: قد قيل لي أنك زنديق ولم أقبل، ثمَّ ضيق عليه أشد الضيق.

قال: ثم رضي الرشيد عن ثمامة فجالسه، فقال: أخبروني عن أسوأ الناس حالاً، فقال: كل واحد شيئاً، قال ثمامة وبلغ القول إليَّ، فقلت: يا أمير المؤمنين، عاقل يجري عليه حكم جاهل، فتبينت الغضب في وجهه، فقلت: يا أمير المؤمنين ما أحسبني وقعت بحيث أردت، قال: لا والله، فانشرح، فحدثته بحديث سلام، فضحك حتى استلقى وقال: صدقت، والله لقد كنت أسوأ الناس حالاً.

(١) الأهواز: سبع كور بين البصرى وفارس (راجع معجم البلدان ١ : ٢٨٥).
(٢) ثمامة بن أشرس: من كبار المعتزلة. توفي سنة ٢١٣هـ.
(٣) الكتّاب: موضع التعليم.

عن المـرزبان قـال: أخبرني بعض أصحـابنا قـال: قال رجـل لرجـل في يوم بارد: أصبّ عليك جـرة ماء وأعـطيك درهمـاً! فتلكأ، فقـال آخر: إفعـل ذلك عليَّ والدرهم بيني وبينه.

وعن ابن المرزبان، قـال: أخبرني بعض الأدبـاء قال: قـال رجل من العـراق لرجل من الشام في كلام جرى بينهما: حلق الله لحيتك، قال: بمكة إن شاء الله.

كـذلك قـال بعض الأدباء، قـال: سُئل خـطيب أيّ أفضل: معـاوية أم عيسى ابن مريم؟ فقال: لا إلّه إلّا الله، أتقيس كاتب الوحي بنبي النصارى؟

قال: تقدم رجل إلى بعض الفقهاء فقـال له: الـرجل إذا خـرجت منه الـريح تجوز صلاته، قال: لا، قال: قد فعلت أنا وجاز.

وعن ابن المرزبان، قال: دعا رجل من الأشراف بمكـة فقال: اللهم إن كنت ما تعرفني فأنا فلان بن فلان، وأني مررت بعبدك فـلان وهو يقـول شيئاً فيـه فحش، فرفسته فانبطح يفحص برجليه ميتاً، اللهم قد أقررت لك الآن فاغفر لي كما تريد.

وخرج رجل إلى السوق يشتري حماراً، فلقيه صـديق له فسـأله، فقـال: إلى السوق لأشتري حماراً، فقال: قل إن شاء الله، فقـال: ليس ها هنـا موضـع إن شاء الله، الدراهم في كمي، والحمار في السوق، فبينما هـو يطلب الحمـار سُرقت منـه الدراهم فرجع خائباً. فلقيه صديقه، فقـال له: مـا صنعت؟ فقال: سُرقت الدراهم إن شاء الله، فقال له صديقه: ليس ها هنا موضع إن شاء الله.

قال: وركب أحمقان في قارب وتحركت الريح، فقال أحدهما: غرقنـا والله، وقال الآخر: إن شاء الله، قال: لا تستثنِ حتى تسلم.

قال: وأخبرني بعض أصحابنا، قال: تزوج رجل امرأة صغيـرة، فقيل لـه في ذلك: فقال: إنما المرأة شر، وكلما أقللت من الشر كان خيراً.

عن أبـي علي البصري، قال: أُخبرت أن رجلاً ورث مـالاً جزيـلاً فعمل فيـه ما اشتهى، فقال: أريـد أن تفتحوا عليَّ صنـاعة لا يعـود عليَّ منها شيء فـأتلف بها هذا المال، فقـال له أحـد جلسائـه: اشترِ التمـر من الموصـل واحمله إلى البصرة،

وقال آخر له: اشترِ من أبر الخياطة التي ثلاثة بدرهم، فإذا جمعت عشرة أرطال[1] أسكبها نقداً تبيعها بدرهمين، وقال آخر: اشترِ ما شئت واخرج إلى الأعراب فبعه منهم، وخذ (سفاتجهم)[2] إلى الأكراد، وبع من الأكراد وخذ (سفاتجهم) إلى الأعراب، فكان يفعل ذلك حتى فني ماله.

عن الحارثي، قال: قال رجل لامرأته وقد غضب عليها: يا هذه، أنا الذي إذا رأيت المرأة تأتي بقبيح أهينها وأهين من يهينها.

قال الحارثي: وكان يلزم القاضي أبا الحسن الهاشمي رجل في البصرة من أهلها يقال له أبو فضالة، وكان ربما سأل القاضي عن مولده فيقول: ولدت في سنة خمس وسبعين ومائتين، فلما رآه يكثر في طول هذه المدة، فإذا الكبر يكون عنده بقدم المولد إلى فوق.

قال: وكنا نتماشى في ليلة مقمرة فرأى سنوراً أبيض، أسود الذنب، فقال لي: يا أحمد ما ترى هذه السبيكة التي في طرفها المصباح ترى ممن سقطت؟ وجاء ليأخذها فوثبت عليه ونهشت يده فأفلتها.

عن الهذيل أنه قال: كان عندنا بالمدينة لحّام، فجاءته عجوز فقالت: أعطني بدرهم لحماً وطيبه لي وأخبرني باسمك حتى أدعو لك، فأعطاها شر لحم وقال: اسمي (من تمد)، فلما أفطرت العجوز جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه، فجعلت تقول لعن الله (من تمد) فتلعن نفسها.

وحُكي أن قصاباً كان ينادي على اللحم، سري تعالوا على أربعة.

عن محمد الداري قال: كان عندنا رجل بدارا وكان فيه غفلة، فخرج من دارا ومعه عشرة أحْمُرٍ، فركب واحداً وعدها، فإذا هي تسعة، فنزل وعدها فإذا هي

(١) الأرطال: جمع رطل، وكان في ما مضى يقرب من الأوقيتين.
(٢) السفتجة: هي أن تعطي مالاً لرجل فيعطيك خطاً يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر. والجمع: سفاتج.

عشـرة، فلا زال كـذلك مـراراً، فقال: أنـا أمشي وأربـح حمـاراً خيـر من أن أركب ويذهب مني حماراً، فرأيته يمشي حتى كاد يتلف إلى أن بلغ قريته.

قال: وطلقت امرأة أبـي الهـذيل فقـالوا لـه: امضِ خلف القابلة، فجـاءها، فقـال: امضِ إلى بيتنا حتى تقبلي امـرأتي واحـرصي أن يكـون غـلامـاً ولـك عليَّ دينار.

عن أبـي العينـاء قال: كـان عندنـا بـالبصـرة رجـل يُكنّى أبـا حفص، ويلقب ببلاغة، قال: كان يمر بالقوم فيقول: أنتم لا صبَّحكم الله إلاَّ بالخيـر، ويمر بـآخرين ويقول: أنتم لا مسّاكم الله إلاَّ بالكرامة، وكان لا يمر آخر كلامه حتى يسبِّح.

عن أبـي سعيـد الحـربـي قـال: كـان إبـراهيم بن الخصيب أحمق وكـان لـه حمار، وكان بـالعشي إذا علق الناس المخـالي أخذ مخـلاة حماره فقـرأ عليها (قـل هو الله أحد)، وعلَّقها عليـه فارغة وقال: لعن الله من يرى أن مكـوك شعير خيـر من (قل هو الله أحد)، فما زال حتى نفق الحمار، فقـال: والله ما ظننت أن (قـل هو الله أحد) تقتل الحمير، هي والله للناس أَقْتَل لا قرأتها ما عشت.

عن أبـي إسحاق الجوزي قال: كان لنا جار نحـاس يُقال لـه عباس، قـد أتى عليه خمس وثمانون سنة؛ قال: فسألتـه إمرأة عن مسـألة فقـالت له: زوجي طلَّقني ثلاثاً، فقال: أرضيَ أبوك وأمك؟ قالت: لا، قال: فإذ يجوز العود حتى يـرضى أبوك وأمـك، قـالت: قـد سـألت أبـا إسحـاق فقـال لي قـد طلقت، فقـال: ومـا يـدري أبا إسحاق، أنا أبصر منه وأعلم منه وأكبـر منه، أنـا ألقيت على أبـي إسحاق مسـألة فلم يخرج منها.

عن المـروزي قال: اشتـرى أبو عبـد الحميـد سمكـة، فنـام إلى أن تستـوي فجيء بالسمكة فأكلتها امـرأة مع نسـاء، ثم مسحت شفتيه وأطـراف أصابعـه منها، فانتبه فدعا بالغداء وقال: هاتوا السمكة، فقالت له امرأته: يا مخبل أَلَسْتَ قد أكلتها

---

(١) المكوك: مكيال معروف لأهل العراق. وهو صاع ونصف.

ونمت ولم تغسل يديك؟ فشم يده فوجد ريح السمك، فغسل يده وقال: ما رأيت سمكة أمرأ من هذه، قد جعت فهيِّئوا لي الغداء.

عن يحيى بن معين[1] قال: اشترى غندر سمكاً فقال لأهله أصلحُوه، ونام، فأكل عياله السمك ولطخوا يده، فلما انتبه قال: قدّموا السمك، قالوا: قد أكلت، قال: صدقتم، ولكني ما شبعت.

وقيل لغندر: إن الناس يعظمون أمر السلامة التي فيك، فحدثنا منها بشيء صحيح، قال: صمت يوماً فأكلت ثلاث مرات ناسياً، أكلت ثم ذكرت أني صائم، ثم نسيت ثم ثنَّيت؛ ثم ثلَّثت فأتممت صومي.

وقال: سمعت أبي يقول: قال المأمون: اختر لي إسماً أُسمي به جاريتي هذه، قال: سمِّها (مسجد دمشق) فإنه أحسن شيء.

عن أبي بكر بن زياد[2] قال: مات جار لمكي فلم يتبع جنازته، فقال له: ويحك لِمَ لَمْ تتبع جنازته؟ فقال: أنتم مجانين أذكر بنفسي.

عن سفيان[3] قال: كان رجل يقول لعمرو بن دينار[4]: أنا أبصر بالنجوم،

---

(١) يحيى بن معين: من أئمة الحديث ومؤرِّخي رجاله. نعته الذهبي بسيِّد الحفّاظ. وقال العسقلاني: إمام الجرح والتعديل. وقال ابن حنبل: أعلمُنا بالرجال. ومن كلامه: كتبت بيدي ألف ألف حديث. توفي سنة ٢٣٣هـ. (راجع ترجمته في التذكرة ٢: ١٦؛ والتهذيب ٢٨٠ ـ ٢٨٨، والوفيات ٢: ٢١٤، وطبقات الحنابلة ٢٦٨، وتاريخ بغداد ١٤: ١٧٧).

(٢) ابن زياد: هو عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، أبو بكر: حافظ للحديث، كان إمام الشافعية في عصره بالعراق. له تصانيف. توفي سنة ٣٢٤هـ. (راجع ترجمته في تذكرة الحفاظ ٣: ٣٧، وطبقات الشافعية ٢: ٢٣١).

(٣) سفيان: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. توفي سنة ١٦١هـ.

(٤) عمرو بن دينار: أبو محمد الأثرم، فقيه، كان مفتي أهل مكة، فارسي الأصل. قال ابن شعبة: ما رأيت أثبت في الحديث منه. وقال النسائي: ثقة ثبت. اتّهمه أهل المدينة بالتشيّع والتحامل على ابن الزبير ونفى الذهبي ذلك. قال ابن المديني: له خمسمائة حديث. توفي سنة ١٢٦هـ. (راجع ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١١٤، وخلاصة تذهيب الكمال ٢٤٤، وتهذيب التهذيب ٨: ٣٠).

فقال عمرو: أتعرف الهقعة والقنعة والوقعة؟ قال: نعم، قال: الآن لا تعلم من النجوم شيئاً.

دخل على حاتم العقيلي شيخ من أهل الريّ، فقال: أنت الذي تروي أن النبي ﷺ أمر بقراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام؟ قال: قد صح الحديث عن النبي ﷺ في ذلك، فقال له: كذبت، إن فاتحة الكتاب لم تكن في عهد رسول الله ﷺ، إنما نزلت في عهد عمر بن الخطاب.

قال المدائني: سمع أسماء بن خارجة[1] نادبة، فقالت:

فَمَنْ لـلمنَـابـرِ والـخـافِقَـاتِ ... والجُـرْدِ بعـدَ إمَـامِ العـربِ

ومَـنْ للطّعّـان غَـداةَ الـهيـاجِ ... وَمَن يَمْنَعِ البيضَ عِنْد الهَرَبِ

وَمَن للعفَـاةِ[2] وفكِّ العُتَـاةِ وَ ... مَنْ يُفَرِّج الكَرْبَ عِنْدَ الكَرْبِ

فقال أسماء: إنها لتندب رجلاً شريفاً فمن هو؟ فقيل له: إنه فلان البقار ابن وردان الحائك، فقال: هذه أعظم من المصيبتين.

عن المدائني: لقي رجل رجلاً ومعه كلبان، فقال: هِبْ لي أحدهما، فقال: أيهما تريد؟ فإن الأسود أحب إليَّ من الأبيض، قال: فَهِبْ لي الأبيض، قال: الأبيض أحب إليَّ من كليهما.

قال طارق: ودخل رجل على بلال فكساه ثوبين، فقال: كساني الأمير ثوبين، فاتزرت بالآخر، وارتديت بالآخر.

---

(١) أسماء بن خارجة: تابعي من رجال الطبقة الأولى من أهل الكوفة. كان سيّد قومه، جواداً مقدماً عند الخلفاء. قال له عبد الملك بن مروان: بِمَ سدت الناس يا أسماء؟ فقال: هو من غيري أحسن. فعزم عليه. فقال: ما سألني أحد حاجة إلاّ رأيت له الفضل عليَّ. وزوّج ابنة له فقال يوصيها: يا بنية: كوني لزوجك أمة يكن لكِ عبداً، ولا تدني منه فيملّك ولا تتباعدي عنه فيتغير عليك. توفي سنة ٦٦هـ. (راجع ترجمته في وفات الوفيات ١ : ١١، وتاريخ الإسلام ٢ : ٣٧٢، والنجوم الزاهرة ١ : ١٧٩، والكامل لابن الأثير: حوادث سنة ٦٦).

(٢) العفاة: الذين يسألون المعروف.

قال طارق: ووقع بين جار وجـار له يُكنّى أبـا عيسى كلام، فقـال: اللهم خذ مني لأبـي عيسى، فقالوا: تدعو على نفسك؟ قال: فخذ لأبـي عيسى مني.

قـال ابن الفرج: حـدثني أبـي قال: رأيت إنسـاناً يـدغدغ نفسـه، فقلت له: لِمَ تفعل هذا؟ قال: اغتممت فأردت أن أضحك قليلاً.

قال ابن خلف: وقيل لهبيرة لمّا ماتت امرأتـه: اندبهـا؛ اذكرهـا بشيء، قال: يا فلانة رحمك الله، لقد كان بابك مفتوحاً ومتاعك مبذولاً.

عن عبد الرحمن بن داوود: لقي تاجر تاجراً فقـال له: مـا اسمك ولا تـطول، فقال: (أبو عبد منزل القـطر عليكم من السماء تنـزيلاً الـذي يمسك السمـاء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه)، فقال: مرحباً بك يا ثلث القرآن.

وذكر ابن حبيب[1] أن أخاً لعثمان بن سعيد سقط في البئر، فقال أخـوه: أنت في البئر؟ قال: أما تراني! قال: لا تذهب حتى أجيئك بمن يخرجك.

قال ابن خلف: قال محمد: أخذ «شراعة العسس»[2] فـأمر بـه إلى السجن، فقال: أصلحك الله، عليَّ يمين ألاّ أبيت عن أهلي.

وقال: أخبرني بعض أصحابنا، قال: أراد ناجية الخروج إلي بغـداد، فوضـع سلماً وجعل يصعد وينزل، فقيل له: ما تصنع؟ قال: أتعلَّم السفر.

قال: ودخل الماء إلى كعبة فصـاح الغرق، فقيـل له في ذلـك، فقال: أردت أن آخذ بالوثيقة.

---

(١) ابن حبيب: هو محمد بن حبيب بن أُمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفـر البغدادي، من مـوالي بني العباس، عـلاّمة بـالأنساب والأخبـار واللغة والشعـر. مولـده ببغداد ووفـاته بسامراء. كان مؤدباً. قال ابن النديم: وكتبه صحيحة. توفي سنة ٢٤٥هـ. (راجـع ترجمتـه في بغيـة الـوعـاة ٢٩، وإرشـاد الأريب ٦:٤٧٣، وآداب اللغـة ٢:١٩٣، وتـاريـخ بغـداد ٢:٢٧٧، والأعلام ٦:٧٨).

(٢) العسس: رجال الأمن الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة.

وعنه: دخل على أبي يعقوب وهو يجود بنفسه، فقيل له: قل لا إلّه إلّا الله، فقال:

أمِثلي يَرُعُ بالنّائبا ... تِ ويَخْشَى حَوادثَ صَرْفِ الزّمنِ
أذلّني الله ذلّ الحمـ ... ـارِ وأدْخَلَني حِرِ[1] أمي إذنِ

وعنه: حدثني عبد الرحمن بن محمد، قال: اشترى رجل جوزاً وجعل يقلبه، فأخذ جوزة في يده فقال: ما أرى في جوفها شيئاً، ثم قال: أستغفر الله لا أكون اغتبتها.

وعنه: ذكر عن حباب بن العلاء، قال: كنت بالمدينة فحضرت قاضياً بها، فإذا رجل قد أقبل يقود حماراً ومعه رجل آخر، فأخبر أن حماره سُرق وأنه وجده مع هذا، فسأله القاضي، فقال: الحمار لي وهو في يدي، فقال للمدعي: ألك بيِّنة! قال: نعم، فقال: احضرهم، فقام وركب الحمار ومضى عليه، فأقبلت على الذي كان الحمار في يده فقلت له: كيف أعطيته الحمار بعدما رأيت من دعواه! فقال: استعاره مني.

قال ابن خلف: وأخبرني أبو صالح البصري قال: وُلد لرجل ابن في غيبته، فكتبت إليه امرأته تبشِّره بالمولود، فكتب إليها: بلغني أنك ولدت ابناً فأحسن الله جزاءك وأعان على مكافأتك وقد سميته محمد بن عبد الله (ﷺ).

قال: وأخبرني بعض أهل الأدب قال: أراد رجل أن يختن[2] ابنه، فقال للحجام: ارفق به، فإنه ما اختتن قط.

قال عثمان بن عمر[3]: نزل الموت بزوج امرأة، فقيل لها: لو دخلت على زوجك وودعتيه، قالت: أخاف أن يعرفني ملك الموت.

---

(١) الحِرُ: الفَرْج.

(٢) ختم الحجام الصبيّ: قطع قلفته، فالصبي مختون.

(٣) عثمان بن عمر: هو عثمان بن عمر بن موسى التيمي: قاض، من أهل المدينة. وفد على عبد الملك بن مروان سنة ٧٥هـ. وَوُلِّيَ قضاء المدينة في زمن مروان بن محمد. ثم وُلِّي =

كان لإبراهيم وكيل يُقال له خليل، فقدم من ضيعته، فقال له: متى قدمت! قال: غداً يا سيِّدي، قال: فأنت إذن في الطريق.

قال: سمعت أبا بكر بن محمد يقول: قلت لأبي عمر: لقد أسرع إليك الشيب، قال: وكيف لا يسرع إليَّ الشيب وأنا أبكر كل يوم إلى من لو كان أمره إليَّ أن يسرح مع النعاج ويلقط مع الدجاج، هذا (ابن حمدان) يملك ألف ألف درهم قصدته يوماً فبينا أنا عنده عطس، قلت له: يرحمك الله، فقال لي: يعرفك الله.

قال الحاكم: سمعت أبا الحسن بن عمر يقول: بعت داراً لي، فكنت كلما أذنت بباب المسجد أنسى أني بعتها فأصلي وأرجع إليها وأفتح الباب وأدخل، فيصحن بي النساء يا رجل اتَّقِ الله فينا، فأقول: اعذرنني، فإنني وُلدت في هذه الدار، وأنسى كل يوم، إلى أن أتى على ذلك مدة.

قال: كان عبدان الأسدي الشاعر أحمق: فيقال أنه كان يأتي ابن بشر فيقول له: أخمسمائة اليوم أحب إليك أم ألف في القابل[1]! فيقول: ألف في قابل: فإذا أتاه قابلاً قال له: ألف أحب إليك أم ألفان في القابل! فلم يَزل كذلك حتى مات.

وعن أبي الحسن الدامغاني ـ حاجب معز الدولة ـ قال: كنت في دهليز معز الدولة، فصاح صائح: نصيحة، فاستدعيته وقلت: ما نصيحتك؟ قال: لا أذكرها إلَّا للأمير، فدخلت فعرفته، فقال: هاته، فأحضرته بين يديه، فقال: ما عندك؟ قال: أنا رجل صياد بناحية المدائن[2]، وكنت أصيد فعلقت شبكتي بأسفل جرف، فاجتهدت في تخليصها فتعذَّر عليَّ ذلك حتى نزلت وغصت في الماء، فإذا هي معلقة بعروة حديد، فحفرت فإذا قمقم مملوء مالاً فرددته مكانه وناديت لأعرف الأمير، قال الدامغاني، فانحدرت معه في الوقت إلى المدائن العتيقة

= القضاء للمنصور العباسي، فكان معه بالحيرة، قبل بناء بغداد إلى أن مات. توفي نحو سنة ١٤٥هـ. (راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٧: ١٤٣).

(١) القابل: أي العام القادم.

(٢) المدائن: مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية في العراق (راجع معجم البلدان ٥: ٧٤).

وقصدنا الجرف فوجدنا القمقم وعلقناه، وسعيت في نفسي في تتبع الموضع فتقدمت إلى الصياد استقصاء الحفر، فوجدنا سبعة قماقم أُخَر مملوءة مالاً، فحملنا الجميع إلى معز الدولة، فسرَّ به فأمر للصياد بعشرة آلاف درهم فامتنع من قبولها وقال: الذي أريده غيرها، قال: ما هو! قال: تجعل لي صيد تلك الناحية وتمنع كل أحد غيري من الصيد. فضحك الأمير وعجب من جهله وحمقه، وأمر بما سأل.

عن المدائني، عن عمرو بن الحسن قال: خرج أهل بيت من اليمن من منازلهم حتى صاروا إلى شعب[1] من الجبل، فاختفوا فيه وقالوا: نهرب من شهر رمضان لا يدخل علينا.

قال أبو علي الداراني: كان الطالقاني من أصحاب أبي حنيفة، وكان شديد الغفلة، فقال يوماً لابن عقيل: كيف مذهبكم في المرأة، هل يجوز أن يزوجها ابنها؟ قال له ابن عقيل: في ذلك تفصيل، إن كانت بكراً جاز؟ وإن كانت ثيباً[2] لا يجوز، فقال: ما سمعت هذا التفصيل قط.

قال: وكان الطالقاني يسأل، فيُقال له: ما تقول في فأرة ميتة مشت على شيء هل ينجس؟ فيقول: لا.

حدثني بعض أصدقائنا قال: كان بواسط رجل من المعدلين، إلى جانب داره اصطبل، فقال له أهله: إنا نغسل الثياب في السطح فيطير بعضها إلى الاصطبل فلا يردونه علينا، فقال: وأنتم إذا طار لهم شيء فلا تردوه، قالوا: أي شيء يطير من أرض الاصطبل إلى سطحنا؟ قال: أي شيء طار. مثل لجام ومقود وفرس وغيره.

قيل: إن رجلاً من (السندية) وهي على ستة فراسخ من بغداد، جاز بدجاج ليبيعه قريباً من دجلة ببغداد، فأفلتت دجاجة، فطلبها فلم تقع بيده، فقال لها: إذهبي إلى القرية حتى أبيع الباقي، ثم جاء وباع البواقي ورجع إلى القرية وجعل

---

(١) الشعب: الطريق الضيّق.

(٢) الثيّب: التي افتضّت بكارتها.

يتفقد الدجاجة فلم يرها، فقال لزوجته: أين الدجاجة الرقطاء[1]؟ فقالت: لا أدري، فقال: تركتها من بغداد لترجع إليكم فما جاءت.

قال ابن ناصر: كتب بعض الأدباء (الحمام التي)، فقيل له: إن الحمام مذكَّر، قال: هو حمام النساء.

قال: دُعي بعض المغفلين إلى دعوة، فاشتغل الناس بالأكل وجعل هو ينظر إلى الستور المغلقة، وكانت الحيطان كلها قد سترت، فقيل له: ما لك لا تأكل؟ فقال: والله لقد طال تعجبي من هذه الستور الطوال كيف دخلت من هذا الباب القصير؟

عن إبراهيم بن دينار قال: كان رجل يقول إنه فقيه يكنى أبا الغوث وفيه تغفل، فقلت له: ما تقول فيمن نذر صوم عاشوراء، فاتفق عاشوراء في رمضان هل يجزئه عنها؟ قال: الخرقي: فقد، نص على أنه يجزئه، فقلت: ما تقول فيمن طلق امرأته، ثم وقفها، هل يفتقر في هذا الوقف إلى حكم حاكم؟ قال: أما مذهب أبي حنيفة فيفتقر إلى حكم حاكم، وأما مذهبنا مذهب الشافعي فيصح الوقف.

دخل بعض المغفلين، على مريض يعوده، فلما خرج التفت إلى أهله وقال: لا تفعلوا بنا كما فعلتم في فلان، مات وما أعلمتمونا، إذا مات هذا فاعلمونا حتى نصلي عليه.

عن الصقلاطي: أن رجلاً كان عندهم بالجانب الغربي له غلام، فبعثه إلى قرية ليأتيه منها بغنم، فبعثوا معه من الحملان عشرة، وكتبوا معه بعددها رقعة، فجاء الغلام بتسعة، فقال له سيده: كم سلَّموا إليك! قال: عشرة، قال: هذه تسعة، قال: عدّها، فجعل يعدّها، يقول: واحد، اثنين، ثلاثة.. إلى أن قال تسعة، فقال الغلام: والله ما أدري ما تقول، وما هي إلاَّ عشرة، فقال: ويحك إني أعدّها، قال: ما هي إلاّ عشرة وإلاّ فتدخل إلى الدار عشرة من الرجال وتمسك كل

---

(١) الرقطاء: السوداء يشوبها نقط بياض أو عكسه.

واحد حملاً، قال: إفعل؛ فأدخلوا عشرة ومسك كل رجلاً حملاً وبقي واحد، فقال له السيد: هذا ما معه شيء، فقال: هذا مدير، كان يدخل ويأخذ في الأول.

حُكي أن رجلاً أراد السفر إلى (عكبرى)[1]، فصادف زورقاً مصعداً فاكترى[2] فيه بدرهم، فلما ساروا قليلاً قالوا: ليت لنا مداداً نكتريه، فقال: أنا، فأعطوه الدرهم وقام بمدهم.

قال: دخلت عجوز على قوم تعزيهم بميت، فرأت في الدار عليلاً، فرجعت وقالت: أنا والله يشق عليَّ المشي، وأحسن الله عزاءكم في هذا العليل أيضاً.

قال البزار: دخلنا إلى أبي حامد وهو عليل، فقلنا: كيف تجدك؟ فقال: أنا بخير لولا هذا الجار، دخل عليَّ أمس وقد اشتدت بي العلة، فقال: يا أبا حامد علمت أن زنجويه مات! فقلت: رحمه الله.

قال: دخلت على المؤمل بن الحسن اليوم وهو في النزاع، فقال: يا أبا حامد، ابن كم أنت؟ قلت: في السادسة والثمانين، قال: أنت إذن أكبر من أبيك يوم مات.

عن أبي الفضل أحمد الهمذاني قال: جاءت امرأة إلى القاضي وذكرت أن زوجها طلَّقها، فقال القاضي: لك بيِّنة؟ فقالت: نعم، جار لنا، قال: فأحضرته، فقال القاضي: أسمعت طلاق هذه المرأة؟ فقال: يا سيدي خرجت إلى السوق، فاشتريت لحماً وخبزاً ودبساً وزعفراناً، فقال له القاضي: ما سألتك عن هذا، هل سمعت طلاق هذه المرأة؟ قال: ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطباً وخلاً، فقال: دَعْ هذا عنك، فقال: ما أحسن الحديث من أوله، ثم قلت: جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث، فما أدري أهي طلقته أم هو طلقها.

---

(١) عكبرا: بلدة من نواحي دجيل قرب صريفين بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (راجع معجم البلدان ٤ :١٤٢).

(٢) اكترى: استأجر.

قال: حدثني جماعة من أهل سابور فيهم كتّاب وتجار وغير ذلك، أنه كان عندهم في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة، شاب من كتّاب البلد، وهو ابن أبي الطيِّب القلانسي الكاتب، فخرج إلى بعض شأنه في الرستاق[1]، فأخذه الأكراد وعذبوه، فطلبوا منه أن يشتري نفسه منهم فلم يَفعل، فكتب إلى أهله: اهدوا لي أربعة دراهم أفيون واعلموا أنه هو دواء أشربه، فيلحقني سكتة فلا يشك الأكراد إني ميت، فيحملوني إليكم، فإذا جعلت عندكم فادخلوني الحمام واضربوني ليحمى بدني وشكوني بالأبار فإني أفيق، وكان الفتى متخلفاً وقد سمع أنه من شرب الأفيون اسكت، فإذا دخل الحمام وضرب كما ذكر برأ، ولم يدر مقدار شربه من ذلك فشرب أربعة دراهم، فلم يشك الأكراد في موته فلفوه وأنفذوه إلى أهله، فلما حصل عندهم أدخلوه الحمام وضربوه وشكّوه فما تحرك، وأقام في الحمام أياماً فرآه الأطباء، فقالوا هذا قد تلف، كم شرب من الأفيون؟ قالوا: أربعة دراهم، قالوا: هذا لو شوي في جهنم ما عاش، إنما يجوز أن يفعل هذا بمن شرب أربعة دوانيق[2] أو وزن درهم، فأما هذا فقد مات. فلم يقبل أهلوه وتركوه في الحمام حتى تغير فدفنوه، وانعكست حيلته على نفسه.

ذكر أبو الحسين بن برهان أنه عاد رجلاً مريضاً، فقال له: ما علّتك؟ قال: وجع الركبتين، فقال: والله لقد قال جرير بيتاً ذهب مني صدره وبقي عجزه وهو قوله: «وليس لداء الركبتين طبيب»، فقال المريض: لا بشّرك الله بالخير، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه.

دخلت مرة على بعض أصدقائي وفيهم مريض العين ومعي بعض المغفلين، فقال له المغفل: كيف عينيك؟ قال: تؤلمني، فقال: والله إن فلاناً آلمته عينه أياماً ثم ذهبت. فاستحييت واستعجلت الخروج.

عن علي بن المحسن، عن أبيه قال: بلغنا أن رجلاً أسرع في ماله فبقي منه

---

(١) الرستاق: السواد (فارسي معرّب، راجع اللسان: مادة رستق).

(٢) دوانيق: جمع دانق، والدانق سدس الدرهم.

خمسة آلاف دينار، فقال: أشتهي أن يُفنى بسرعة حتى أنظر إيش أعمل بعده، فقال له بعض أصحابه: تبتاع زجاجاً بمائة دينار وتبقيه، وتنفق خمسمائة دينار في أجور المغنيات في يوم واحد مع الفاكهة والطعام، فإذا قارب الشراب أن يفنى أطلقت فأرتين بين الزجاج وأطلقت خلفهما سنوراً فيتعادون في الزجاج فيتكسر وننهب نحن الباقي، فقال: هذا جيد، فعمل ذلك وجعل يشرب، فحين سكر وأطلق الفأرتين والسنور وتكسر الزجاج وهو يضحك، فقام الرفقاء وجمعوا الزجاج المكسر وباعوه.

قال الذي أشار عليه: فمضيت إليه بعد، فإذا هو قد باع قماش بيته وأنفقه، ونقض داره وباع سقوفها حتى لم يَبق إلاّ الدهليز وهو نائم فيه على قطنٍ متغظٍ بقطن، فقلت: ما هذا؟ قال: ما تراه، فقلت: بقيت في نفسك حسرة؟ قال: نعم، أريد أن أرى المغنية، فأعطيته ثياباً فلبسها، فرحنا إليها فدخل عليها فأكرمته وسألته عن خبره فحدثها بالحال، فقالت: قم لئلا تجيء ستي[1] فتراك وليس معك شيء فتحرد عليَّ لِمَ أدخلتك، فاخرج حتى أكلمك من فوق. فخرج وجلس ينتظر أن تخاطبه من الطاقة، فسكبت عليه مرقة سكباج فصيرته فضيحة، فبكى وقال: يا فلان لا تبلغ من أمري هذا، أشهد الله وأشهد إني تائب، قلت: إيش تنفعك التوبة الآن ورددته وأخذت ثيابي، وبقيت ثلاث سنين لا أعرف له خبراً.

فبينا أنا في باب الطاق يوماً إذ رأيت غلاماً خلف راكب، فلما رآني قال: فلان. فعلمت أنه صاحبي وأن حاله قد صلحت، فقبلت فخذه، فقال: قد صنع الله وله الحمد البيت، فتبعته، فإذا بالدار الأولى قد رمَّها[2] وجعل فيها أسباباً، وأدخلني حجرة أعدّها له وفيها فرش حسان وأربعة غلمان، وجاء بفاكهة متوسطة وطعام نظيف، إلاّ أنه قليل، فأكلنا ومدّ ستارة فإذا بغناء طيب، فلما طابت نفسه قال: يا فلان تذكر أيامنا الأول؟ قلت: نعم قال: أنا الآن في نعمة متوسطة، وما وهب لي من العقل والعلم بأبناء الزمان أحب إلي من تلك النعمة، تذكر يوم عاملتني المغنية

---

(١) ستّي: سيّدتي.

(٢) رمّها: أصلحها من جديد وأعاد بناءها.

بما عاملتني به؟ فقلت: من أين لك هذا المال! قال: مات خادم لأبي وابن عم لي بمصر في يوم واحد، فخلّفا لي ثلاثين ألف دينار، فحُملت ووصلت إليَّ وأنا بين القطن كما رأيت، فعمرت الدار واشتريت ما فيها بخمسة آلاف دينار، وجعلت خمسة آلاف تحت الأرض للحوادث، واشتريت عقاراً بعشرة آلاف وأمري يمشي، وأنا في طلبك منذ سنة لترى رجوع حالي، ومن دوام صلاح حالي أن لا أعاشرك، أخرجوه يا غلمان، قال: فجرّوا برجلي وأخرجوني، وكنت ألقاه بعد في الطريق فإذا رآني ضحك.

دخل ربيعة بن عقيل اليربوعي على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين أعني على بناء داري، فقال: أين دارك؟ قال بالبصرة وهي أكثر من فرسخين في فرسخين، فقال له: فدارك في البصرة أم البصرة في دارك!

قال ابن سلام: وهب المهدي لبعض ولد يعقوب بن داوود[1] وزيره جارية، فلمّا كان بعد أيام سأله فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعت بيني وبين الأرض مطية أوطأ منها حاشا السمع؛ فالتفت المهدي إلى يعقوب فقال له: من ترى يعني أنا أو أنت؟ فقال يعقوب: من كل شيء يتحفظ الأحمق إلّا من نفسه.

دخل رجل على المهدي، فأنشده شعراً فقال فيه: (وجوار زفرات)، فقال المهدي: أي شيء زفرات؟ قال: أوما تعرفها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا والله؛ قال: فأنت أمير المؤمنين وسيد المرسلين ما تعرفها أعرفها أنا كلا والله.

ذكر عن عبد الله بن ظبيان أنه خطب، فقال الناس: أكثر الله فينا مثلك، قال: لقد كلفتم ربكم شططا.

حكى إسحاق بن إبراهيم قال: حضرت جنازة لبعض القبط فقال رجل منهم: مَن المتوفى؟ فقلت: الله، فضُربت حتى كدت أموت.

دخل أبو تمام[2] على أبي طالب في صبيحة ليلة باردة، فقال له: البارحة

---

(١) يعقوب بن داوود: وزير المهدي العباسي. توفي سنة ١٨٧هـ.

(٢) أبو تمام: هو حبيب بن أوس الشاعر المعروف. توفي سنة ٢٣١هـ.

نالني البرد، وكان عندي لحاف فيه أربعة أمنان[1] قطن، فطويته طاقين فصار ثمانية أمنان قطن وتغطيت به.

قال أبو سيار: كان بيني وبين جار لي بئر، فوقعت فيه فأرة فبقيت متحيِّراً لأجل الوضوء، فقال لي جاري: لا تضيق صدرك تعال استق من عندنا وتوضأ.

ضاع لرجل ولد، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه، وبقوا على ذلك أياماً، فصعد أبوه يوماً الغرفة فرآه جالساً في زاوية من زواياها، فقال: يا بني أنت بالحياة، أما ترى ما نحن فيه؟ قال: قد علمت، ولكن ها هنا بيض قد قعدت مثل القرقة[2] عليه، ما يمكنني أن أبرح، أريد فريخات أنا أحبهم، فاطلع أبوه إلى أهله؟ فقال: قد وجدت ابني حيّاً ولكن لا تقطعوا اللطم عليه، الطموا كما كنتم.

كان بعض المغفلين يأكل مع ابنه رأساً، وكان أبوه أكثر تغفلاً منه، فقال: يا أبتِ إن خرج عليك الكعب فاعطني إياه لألعب به، فقال أبوه: سخنت عينك هو سمك مشوي حتى يكون فيه كعب!

قال بعضهم: دخلت الكوفة فرأيت صبياً قائماً عند شق حائط ومعه خبز وهو يكسر اللقمة ويتركها في شق الحائط ويأكلها، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما يفعل فقال: إيش تصنع؟ قال: يا أبتِ هؤلاء قد طبخوا سكباجة ويأتي النسيم بريحها فآكل خبزي، فلطمه أبوه وقال: تتعود من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلّا بإدام.

رأى بعض المغفلين صديقاً له فقال: طلبتك اليوم عشرين مرة وهذه الثالثة. ورأى صديقاً له فقال له: أطلبك فإذا وجدتك تنسل مني كأنك دبق.

مرض بعض المغفلين فدخل عليه طبيب فسأله عن حاله، فقال: قد اشتهيت الثلج، فقال: الثلج يزيد في رطوبتك فينقص من قوتك، فقال: أنا أمصه وأرمي تفله.

---

(١) المن: كيل أو ميزان وهو شرعاً ١٨٠ مثقالاً، وعرفاً ٢٨٠ مثقالاً. والجمع أمنان.

(٢) القرقة: الدجاجة التي تحضن البيض.

وقف شيخ بباب مسجد والمؤذن يقيم الصلاة، فدخل فرأى المؤذن هيبته وشيبته، فسأله أن يصلي بهم، فامتنع، فتقدم المؤذن وصلى بهم، فلما فرغ أقبل على الشيخ فقال له: ما منعك أن تصلي بنا فتكسب أجراً؟ فقال: أنا وحقك إذ كنت على غير طهارة لم أُصلِّ أماماً.

حكى عبد الله النوفلي، قال: قال مدني: إني أحب رسول الله ﷺ حباً لم يحبه أحد قط، قيل: وما بلغ من حبك له؟ قال: وددت أن عمه أبا طالب أسلم ويُسَرّ النبي بذلك وأموت كافراً بدله.

قال: ذهب بصر عمرو بن هذاب، فدخل عليه إبراهيم بن مجاشع، فقام بين يديه، فقال: يا أبا سيد، لا تجزعن من ذهاب عينيك وإن كانتا كريمتين عليك، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ورجليك ودق ظهرك وأدمى ظلفك، قال: فصاح به القوم وضحك بعضهم، فقال عمرو: معناه صحيح ونيته حسنة وإن كان قد أخطأ في اللفظ.

جاء بعض المغفلين إلى أمه، فقال لها: معي قيراطان[1]، إلاّ حبة فاحفظيهما لي، ثم عاد فأخذها فوزنها، فقالوا له: نصف دانق، فجاء وخاصم أمه، فدخل أبوه فقال: لِمَ تخاصمها؟ فقال: أعطيتها إلاّ حبة فردّت عليَّ نصف دانق، فقال أبوه: ما تستحي من الله، تخاصم أمك على نقصان حبتين.

قال أحمق لغلامه: إذا مررنا بالطبيب فذكرني وجع ضرسي حتى أسأله عن الدواء، فقال: يا مولاي، إن كان ضرسك يوجعك فسوف تذكره.

كان بعض الحمقى إذا غضب يقول: الله المستعين.

دخل أحمق على مريض فقال: إذا رأيتم المريض على هذه الحال فاغسلوا أيديكم منه.

دعا بعض الحمقى لبعض الولاة فقال: كتب الله سعادتك وضاعف عليك العدو.

---

(١) القيراط هنا: الحبة.

قيل لكثيِّر: إن الناس محدثـون إنك الـدجال، فقـال: والله لئن قلتم هذا أني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

وقـال: ضـرط أبـو المنجم في ليلة ضـرطتين، فخـاف أن تكـون امـرأتـه قـد سمعته، فقال: أسمعت شيئاً؟ قالت: لا، ما سمعت منهما شيئـاً، فقال: لعنـك الله فمن أعلمك أنهما اثنتان؟

قال بعضهم: رأيت رجلاً محموماً مصدعاً يأكل التمر ويجمع النـوى، فقلت: ويحك، أنت بهذه الحال وتأكل التمر؟ فقال: يا مولاي، عندي شاة ترضـع وما لهـا نوى، فأنـا آكل هـذا التمر مـع كراهيتي لـه لأطعمها النـوى، فقلت: أطعمها التمـر والنوى، قال: أوَيجوز ذلك؟ قلت: نعم، قال: والله لقد فرَّجت عني، لا إلّه إلا الله ما أحسن العلم.

أجـريت خيل فـطلع منها فـرس سابق، فجعـل رجل يثب من الفـرح ويكبر، فقال له رجل إلى جانبه: أهذا الفرس لك؟ قال: لا، ولكنّ اللجام لي.

رأى قبيصة بن المهلب جراداً يطير، فقـال لمن حولـه: لا يهولنكم مـا ترون، فإن علامة ذلك موتي.

دخل بعض المغفلين على رجل يعزيه بأخٍ له، فقال: أعظم الله أجرك ورحم أخاك وأعانه على ما يرد عليه من مسألة ياجوج وماجوج، فضحك من حضر وقـالوا: ويحـك أو يأجوج ومأجـوج يسائـلان الناس؟ فقـال: لعن الله إبليس، أردت أن أقول هاروت وماروت[1].

مـاتت امرأة، فـاشترى لهـا زوجها كفنـاً قصيراً، فقـالت لـه الغـاسلة: الكفن قصير، فقال: ألبسيها خفها.

وعظ بعض القصّاص، فقال: إذا كان يوم القيامة خرج من النار رأس عظيم،

---

(١) هـاروت وماروت: همـا الملكان اللذان أُرسـلا إلى بابـل ليعلّما أهلهـا السحر ابتـلاءً لهم، ووردت قصتهما في سورة البقرة.

من صفته كذا وكذا، وفي المجلس رجل يميد من الخوف، فقال له: ما الذي بك؟ أتنكر قدرة الله؟ قال: لا، بل إني رجل مزيّن فلو كُلِّفت حلق هذه الرأس كيف كنت أعمل؟

سمع بعض المغفلين أن صوم يوم عاشوراء يعدل صوم سنة، فصام إلى الظهر وأكل، وقال: يكفيني ستة أشهر.

اعترض الأسد قافلة، فرآه رجل منهم فخرَّ إلى الأرض، فركبه الأسد، فشدَّ القوم بأجمعهم على الأسد واستنقذوه، فقالوا له: ما حالك؟ قال: لا بأس علي، ولكن خري الأسد في سراويلي.

دخل بعض المغفلين حماماً وقد بخر، فظن غباراً فقال للقيِّم: كم قلت لك لا تغبر يوم أدخل الحمام.

مات لأبي العطوف ابن، فقال للحفار: اضجعه على جنبه الأيسر فإنه أهضم للأكل.

وحضر رجل مع قوم في جنازة رجل، فنظر إلى أخ الميت فقال: هذا الميت أم أخوه؟

قال المأمون لمحمد بن العباس: ما حال غلتنا بالأهواز وسعرها؟ قال: أما متاع أمير المؤمنين فقائم على سوقه، وأما متاع أم جعفر فمسترخٍ، فقال: أغرب[1] لعنك الله.

اشترى لقمان بن محمد فرواً فقال: أرى شعره قصيراً، أترى ينبت؟.

قال أبو العيناء: كنت بحمص فمات لجار لي بنت، فقيل له: كم لها؟ قال: ما أدري، ولكنها ولدت أيام البراغيث.

قال الأصمعي: قلت لرجل: أين كنت؟ قال: ذهبت في جنازة ابن فلان، قلت: فأي ولده كان؟ قال: كانوا اثنين فمات الأوسط.

---

(١) اغرب: اذهب وابتعد.

قال ثمامة: جاءني رجل فقال: رأيت البارحة أمير المؤمنين يسارّك وأنت تنظر إليَّ، فبالله أي شيء؟ قال: لك في أمري؟

حُكي أن بعض المغفلين مسك كلباً وعضه فقال: هذا عضني منذ أيام وأنا أريد أن أخالف قول القائل:

شَاتَمَني عَبْدُ بني مَسْمَعِ ... فَصِنْتُ عَنْه النّفسَ والعِرْضَا
ولم أَجَبْهُ لاحتقاري له ... ومَنْ يعضّ الكلبَ إنْ عَضّا

قيل لمغفل: قد سُرق حمارك، فقال: الحمد لله الذي ما كنت عليه.

نظر رجل في الجب، فرأى وجهه فعاد إلى أمه، فقال: في الجب لص، فجاءت الأم فاطلعت فقالت: أي والله ومعه فاجرة.

ذكر رجل بين يدي رجل، فقال: إنه رجل سوء، قيل له: من أين علمت؟ قال: أفسد بعض أهلي، قيل: ومن أفسد؟ قال: أمي، صانها الله.

سُئل بعضهم عن مولده، فقال: وُلدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام، احسبوا الآن كيف شئتم.

كتب بعضهم إلى أبيه: كتابي إليك يوم الجمعة، عشية الأربعاء لأربعين ليلة خلت من جمادى الأوسط، وأعلمك أني مرضت مرضة لو كان غيري كان قد مات، فقال أبوه: أمك طالق ثلاثاً، لو مت لمّا كلمتك أبداً.

دعا بعض المغفلين فقال: اللهم ارزقني خمسة آلاف درهم حتى أصدق منها بألفي درهم، وإن لم تصدقني فادفع إلي ثلاثة آلاف درهم واحبس الباقي، فإن تصدقت وإلّا فتصدَّق بها على من شئت.

خرج بعض المغفلين من منزله ومعه صبي عليه قميص أحمر، فحمله على عاتقه ثم نسيه، فجعل يقول لكل من رآه: رأيت عليه قميصاً أحمر؟ فقال له إنسان: لعله الذي على عاتقك؟ فرفع رأسه ولطم الصبي، وقال: يا خبيث، ألم أقل لك إذا كنت معي لا تفارقني.

نظر بعض المغفلين إلى منارة الجامع، فقال: ما كان أطول هؤلاء الذين عمّروا هذه؟ فقال آخر: اسكت ما أجهلك، ترى أنه في الدنيا أحد طول هذه؟ وإنما بنوها على الأرض ثم رفعوها.

قال: ورأيت رجلاً طويل اللحية على حمار يضربه، فقلت: ارفق به، فقال: إذا لم يقدر يمشي فَلِمَ صار حماراً؟

تفاخر مصري ويمني، فقال المصري: هلكت والله اليمن إذ لم يكن منها رسول الله ﷺ، ولا يدخل الجنة أهلها، فقال اليمني: فابن المهلب وأولاده يحاربون عليها حتى يدخلوها بالسيف.

كان بعض المغفلين يقول: اللهم اغفر لي من ذنوبي ما تعلم وما لا تعلم.

قدم رجل من الحمقى، سأله رجل متى قدمت؟ قال: غداً، قال: لو قدمت اليوم سألتك عن إنسان، فمتى تخرج؟ قال: أمس، قال: لو أدركتك، كتبت معك كتاباً.

كان لبعض الأدباء ابن أحمق، وكان مع ذلك كثيرالكلام، فقال له أبوه ذات يوم: يا بني، لو اختصرت كلامك إذ كنت لست تأتي بالصواب؟ قال: نعم، فأتاه يوماً، فقال: من أين أقبلت يا بني؟ قال: من (سوق)، قال: لا تختصرها هنا، زد الألف واللام، قال: من (سوقال)، قال: قدم الألف واللام، قال: من (ألف لام سوق)، قال: وما عليك لو قلت: (السوق) فوالله ما أردت في اختصارك إلا تطويلاً.

وقال هذا الولد يوماً لأبيه: يا أبت اقطع لي جباعة، قال: وما جباعة في الثياب؟ قال: ألست قلت لي اختصر كلامك، يعني جبة ودراعة[1].

اشترى بعض المغفلين نصف دار فقال يوماً: قد عزمت على بيع نصف الدار الذي لي وأشتري بثمنه النصف الآخر حتى تصير الدار كلها لي.

كتب بعض المغفلين إلى رجل يعزيه بابنته: بلغني مصيبتك وما هي بمصيبة،

---

(١) الدراعة والمدرعة: جبة مشقوقة المقدم.

وقد جاء بالخبر عن النبي ﷺ أنه قال: من توفيت له بنت كان له من الأجر ذهب والله عني، ومن توفيت له ابنتان كان له من الأجر مثل الذي ذهب عني مرتين، وبعد، فقد ماتت عائشة بنت النبي ﷺ، فمن ابنتك البظراء[1] حتى لا تموت.

كان محمد بن أبي سعيد سليم الجانب، وقد سمع من أبي الحسين الطيوري، يسأل بعض من يعرف الأدب أن يعلّمه شيئاً من العربية، فقال: إذا دخلت على أحد فقل: أنعم الله صباحك، فربما كان يدخل على أحد آخر النهار، فيقول: أنعم الله صباحك. فيضحك.

حكى أقضى القضاة، الماوردي[2]، قال: كنت جالساً في مجلس مقبلاً على تدريس أصحابي، فدخل علينا شيخ قد ناهز الثمانين، أو جاوزها، فقال لي: قد قصدتك في مسألة اخترتك لها، فقلت: وما هي؟ وظننته يسأل عن حادثة حدثت له، فقال: أيها الشيخ أخبرني عن نجم إبليس ونجم آدم ما هما؟ فإن هذين لا يُسأل عنهما لعظم شأنهما إلاّ علماء الدين، قال: فعجبت منه وعجب من في المجلس من سؤاله، وبدر جماعة بالإنكار عليه والاستخفاف به، فكففتهم وقلت: هذا لا يقنع مما ظهر من حاله إلاّ بجواب مثله، فأقبلت عليه وقلت: يا هذا، إن نجوم الناس لا تُعرف إلاّ بمعرفة موالدهم، فإن ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله، فقال: جزاك الله خيراً وانصرف مسروراً، فلما كان بعد أيام وعاد، وقال: ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولد هذين.

قيل للفضل بن عبد الله: مالك لا تتزوج؟ قال: إني دفع لي أبي جارية

---

(١) البظراء: ذات البظر، والبظراء اللحمة الناتئة بين شفري فرج المرأة.

(٢) الماوردي: هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي. أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة. وُلِّيَ القضاء في بلدان كثيرة ثم جُعل أقضى القضاة في أيام القائم بأمر الله العباسي. كان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء. توفي سنة ٤٥٠هـ. (راجع ترجمته في السبكي ٣:٣٠٣، والوفيات ١:٣٢٦، والشذرات ٣:٢٨٥، وآداب اللغة ٢:٣٣٣، والأعلام ٤:٣٢٧).

ولأخي، فقيل: ويحك، دفع إليك وإلى أخيك جارية واحدة؟ قال: وإيش تتعجب من هذا، هوذا جارنا فلان له جاريتان.

قال أبو العنبس: اجتزت في بعض الطريق لحاجة، فإذا امرأة عرضت لي: هل لك أن أزوجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت: نعم، قالت: وتدخله الكتّاب[1] فينصرف، فيلعب، فيصعد إلى السطح فيقع، فيموت، وصرخت: ويلاه، ولطمت. ففزعت، وقلت: هذه مجنونة، وهربت من بين يديها، فرأيت شيخاً على باب، فقال: ما لك يا حبيبي؟ فقصصت عليه القصة، فلما انتهيت إلى موضع لطمها استعظم ذلك وقال: لا بد للنساء من البكاء إذا مات لهنّ ميت، فإذا هو أحمق منها وأجهل.

قال رجل آخر: رأيت البارحة أباك في المنام وثيابه وسخة، فقال: قد كفنته أمس في أربعة أثواب جدد، وما ينبغي أن تكون قد اتسخت ثيابه.

وقيل لبعض أهل الموصل: كم بينكم وبين موضع كذا؟ قال: ثلاثة أميال ذاهب وميلين جاي.

قال ثمامة لحاجبه: عجل الفراغ مما أمرتك به فقد قصر النهار، فقال: أي والله يا سيدي، والليل أيضاً قد قصر.

دعا بعض المغفلين فقال: اللهم اغفر لأمي وأختي وامرأتي، فقيل له: لِمَ تركت ذكر أبيك؟ قال: لأنه مات وأنا صبي لم أدركه.

قال عبد الله بن محمد: قلت لرجل مرة: كم في هذا الشهر من يوم؟ فنظر إليّ وقال: لست أنا والله من هذا البلد.

قال أبو العباس: سألت رجلاً طويل اللحية فقلت: إيش اليوم؟ فقال: والله

---

(١) الكتّاب: مكان التعلم، كالمدرسة في وقتنا الحاضر.

ما أدري، إني لست من هذا البلد، أنا من دير العاقول[1].

انكسرت خشبة في سقف بعضهم، فمضى يشتري عوضها، فقيل: كم تريد طولها؟ فقال: سبعة في ثمانية.

قال بعضهم: ولد لي غلام الليلة فسميته باسم خالته.

أصيب بعضهم بمصيبة، فقيل له: عظَّم الله أجرك، فقال: سمع الله لمن حمده.

قال الجاحظ: دخلت الكوفة، فبينا أطوف أنا في طرقاتها رأيت شيخاً ذا هيبة جالساً على باب داره ومن جانب الدار صياح، فقلت له: يا عم، ما هذا الصياح؟ فقال: هذا رجل افتصد[2]، فبلغ موضع شاذروانه، فمات يريد شريانه.

قال الحجاج بن هارون لصديق يحبه: أنا والله لك مائق، يريد وامق[3].

شهد رجل عند والٍ فقال: سمعت بأذني (وأشار إلى عينيه)، ورأيت بعيني (وأشار إلى أذنيه)، بأنه جاء إلى رجل فتلبب[4] بعنقه (وأشار إلى صدره)، وما زال يضرب خاصرته (وأشار إلى فكه)، فقال له الوالي: أحسبك قد قرأت «كتاب خلق الإنسان»، قال: نعم، قرأته على الأصمعي.

قيل لبعض المغفلين: سأل عنك فلان، فقال: يسأل الله عنه وملائكته.

دخل بعض المغفلين إلى بعض القضاة، فجلس بين يديه، فقال: أعدمني الله القاضي، مات فلان والذي ما خلفوا بعدي سواهم وهو ذا يظلموني

---

(١) دير العاقول: بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطىء دجلة. كان عنده بلد عامر وأسواق أيام كون النهروان عامراً. بالقرب منه دير قُنَّى. (راجع معجم البلدان ٢ : ٥٢٠).

(٢) الفصد: شقّ العرق لاستخراج الدم الفاسد.

(٣) وامق: أي محبّ. والفعل ومق. والمقة: المحبة.

(٤) لبّب فلاناً: أخذه بتلبيبه وجرّه.

إخـوتي، نسيبـاتي تسعـة وهم واحـد وكـل يـوم يجعلون عمـامتي في عنق القـاضي يجرونه إليَّ، فقال القاضي: ليس الممتحن غيري.

وقال أبو العنبس: صحبني رجل في سفينة فقلت له: ممن الرجـل؟ فقال من أولاد الشام، ممن كان جدي من أصدقاء المنصور علي بن أبـي سالم شاعر الأنبار، وكان من الذين بايعوا تحت الشجرة مع أبـي سالم بن يسار في وقعة الفاروق، أيـام قتـل الحجاج بن يـونس بالنهـروان على شاطىء الفـرات مـع أبـي السـرايـا. قـال أبـو العنبس: فلم أدرِ على أي شيء أحسده، على معـرفته الأنسـاب، أم على بصره بأيام الناس، أم حفظه للسير.

عزى رجل رجلاً بابنه فقال له في الجواب: رزقنا الله مكافأتك.

قـال الحسن بن يسار[1]: قلت لبعضهم: إن فـلاناً ليس يعـدك شيئاً، فقـال: والله لو كنت أنا أنا، وأنا ابن من أنا منه، لكنت أنـا أنا وأنـا ابن من أنا منـه، فكيف وأنا أنا وأنا ابن من أنا منه.

سمع بعض الحمقى قومـاً يتذاكـرون الموت وأهـواله، فقـال: لو لم يكن في الموت إلّا أنك لا تقدر أن تتنفس لكفى.

قال ثمامة لخادمه: اذهب إلى السوق واحمل كذا وكذا، فقال: يـا سيدي أنـا ناقة، وليس في ركبتي دماغ، فقال ثمامة: ولا في رأسك.

ورئي أعمى يمشي في الطريق ويقول: يا منشىء السحاب بلا مثال.

دخـل رجل على المعتضـد[2]، فقال: يـا أميـر المؤمنين، إن فـلانـاً العـامـل

---

(١) الحسن بن يسار: إمام أهل البصرة. توفي سنة ١١٠هـ.

(٢) المعتضد: هو أحمد بن طلحة بن جعفر. خليفة عباسي. بُويـع له بـالخلافـة بعد وفـاة عمه المعتمد سنة ٢٧٩هـ. كان شجاعاً ذا عزم. توفي سنة ٢٨٩هـ. (راجـع ترجمتـه في النجوم الـزاهـرة ٣: ١٢٨، وشـذرات الـذهب ٢: ١٩٩، وفـوات الـوفيـات ١: ٤٥د، وابن الأثيـر ٧: ١٤٧).

ظلمني، قال: ومن فلان؟ قال: والله لا أدري اسمه، ولكن في خده الأيمن خال، أو ثؤلول، أو أثر لطمة، أو أثر حرق نار، أو أثر مسمار أو في خده الأيسر.

وكان له مرة غلام، يُقال له جرر أو نجم إلّا أن في اسمه طاء أو لام، فضحك المعتضد، وقال: كأنه موسوس؟ قال: سلني، عما شئت حتى أجيبك، قال: كم أصبع لك؟ قال: ثلاثة أرجل. فأمر بإخراجه، فقال: ما أقول لبنتي إذا دخلت وقد فتحت حجرها لأطرح فيه الجوز يوم العيد؟ فأمر المعتضد أن يحمل معه إلى منزله طعام وجائزة.

دخل بعضهم إلى المستراح[1]، فأراد أن يحل لباسه، فأحل أزراره وخرى في لباسه.

حكي أن جماعة من أهل حمص تذاكروا في حديث الأعضاء ومنافعها فقالوا: الأنف للشم، والفم للأكل، واللسان للكلام، فما فائدة الأذنين؟ فلم يتوجه لهم في ذلك شيء، فأجمعوا على قصد بعض القضاة ليسألوه، فمضوا فوجدوه في شغل، فجلسوا على باب داره، وإذا هناك خياط فتل خيوطاً ووضعها في أذنه، فقالوا: قد أتانا الله بما جئنا نسأل القاضي عنه، وإنما خلقت للخيوط، وانصرفوا مسرورين مما استفادوه.

قال الجاحظ: مررت بحمص، فمرَّ عنز يتبعه جمل، فقال رجل لرجل معه: هذا الجمل من هذا العنز؟ فقال له: لا، ولكنه يتيم في حجرها.

عرض هشام بن عبد الملك الجند، فأتاه رجل حمصي بفرس، كلما قدمه نفر، فقال هشام: ما هذا؟ قال الحمصي: يا سيدي، هو جيد، لكنه شبَّهك ببيطار كان يعالجه فنفر.

اجتاز أهل حمص بشيخ لهم، لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل والكمال، فأوفدوهم إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم، فلما

(١) المستراح: بيت الخلاء، المرحاض.

وردوا البـاب وأذن لهم دخل الشيـخ فقال: السـلام عليك يـا أبا مـوسى، فعلم أنـه أحمق وأمره بالجلوس، ثم قال: أحسبك طلبت العلم وجالست العلماء؟ قـال: نعم يا أبا موسى، قال: من جـالست من العلماء؟ قـال: أبـي، قال: ومـا كان يقـول في عذاب القبر؟ قال: كان يكرهه. فضحك الرشيد ومن حضر، ثم قال: يا شيـخ، من حفر البحار فيما سمعت؟ فسكت الشيخ، فقال أحد ولديه: قـد حفرهـا موسى حين طرق له، قال: فأين طينها؟ فقال الولد الثاني: الجبال، ففرح الشيخ بحسن جـواب ولديه، وقال: والله ما علَّمتهما، ما هو إلاّ إلهام من الله تعالى وله الحمد.

وفد على الرشيد ثلاثة من حمص، فدخـل أحدهم فـرأى غلامـاً على رأسه، فظنه جارية، فقـال: السلام عليـك يا أبـا الجاريـة، فصفع وأخـرج، فدخـل الثاني فقال: السلام عليـك يا أبـا الغلام، فصفـع وأخرج، فـدخل الثـالث فقال: السـلام عليـك يـا أميـر المؤمنين، فقـال لـه: كيف صحبت هـذين الأحمقين؟ قـال: يا أمير المؤمنين لا تتعجب منهـم، فـإنهم لمّا رأوك بهـذا الزي ورأوا لحيتـك طويلة قدروا أنك أبو فلان، فقال الرشيد: أخرجوه، قبَّح الله بلدة هؤلاء خيارهم.

قال بعضهم: رأيت رجلاً ألحى قـائماً في حلقـة قاصّ يقص مقتـل عثمان بن عفان، فلما فرغ قال الألحى: أعيذك بالله ما أحسن ما تروي كلام منصور بن عمار.

قال الجاحظ: مررت بمنجد في (قـنطرة بردان) طـويل اللحيـة وامرأة تـطالبه بشيء لها عنده وهو يقول: رحمك الله، متاعك جاءني يحتاج إلى حشو كثير، وأنت من العجلة تمشين على أربع.

قال أبو حاتم: سأل رجـل أبا عبيـدة عن اسم رجل، قـال: ما أعـرف اسمه، فقـال له بعض أصحـابه: أنـا أعرف النـاس به، اسمـه خراش أو خـداش أو ريـاش أو شيء آخر.

خـرج عبادة ذات يـوم يريـد السوق، فـنظر في بعض طرقـه إلى شيخ طـويل اللحية، كلما أراد أن يتكلم بادرته لحيته، فمرة يدسها في جيبـه ومرة يجعلهـا تحت ركبته، فقال له عبادة: يا شيخ، لِمَ تترك لحيتك هكذا؟ قال: أفتريد أن أنتفهـا حتى تكون مثل لحيتك؟ قال عبادة: فإن الله يقـول: **﴿قد أفلح من زكـاها وقـد خاب من**

دساها﴾، وقال رسول الله ﷺ: «احفوا[1] الشارب واعفوا اللحى». ومعنى عفو اللحى أن يُزال أثرها، فقال الشيخ: صدق الله ورسوله، فحلق لحيته وجلس في دكانه، فكان كل من رآه وسأله عن خبره قرأ عليه الآية وروى له الحديث.

قيل لمريض: كيف نجدك؟ فقال: أنا علة، قيل: وما معنى علة؟ قال: أليس يقال للصحيح ليس به علة؟ قالوا: نعم، قال: أنا كما قال، أنا علة.

قيل لرجل: عندك مال وليس لك والدة عجوز، إن مت ورثت مالك وأفسدته، فقال: إنها لا ترثني، قيل: وكيف؟ قال: أبي طلقها قبل أن يموت.

قال أبو الأسود[2] لابنه: يا بني، إن ابن عمك يريد أن يتزوج ويحب أن تكون أنت الخاطب فتحفظ خطبة، فبقي الغلام يومين وليلتين يدرس خطبة، فلما كان في اليوم الثالث قال أبوه: ما فعلت؟ قال: قد حفظتها. قال: وما هي؟ قال: إسمع: الحمد لله، نحمده ونستعينه ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح، فقال له أبوه: أمسِك، لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء.

أسلم رجل ولده إلى الكتّاب[3]، فلما كان بعد حين قال له والده: تعلمت شيئاً من الحساب؟ قال: نعم، قال: فخذ خمس وخمسين وخمسين كم تعد؟ قال: أربعين، قال: يا مشؤوم، ثلاث خمسينات ما يحصل معك منها خمسين؟ ثم حبسه عن الكتّاب وقال: لا أفلحت.

---

(١) احفوا: قصّوا وحلقوا.

(٢) أبو الأسود: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، واضع علم النحو. كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب من التابعين. رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذه عنه جماعة. سكن البصرة في خلافة عمر، وَوُلِّيَ إمارتها في أيام عليّ، استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص إلى الحجاز. توفي سنة ٦٩هـ. (راجع ترجمته في في الإصابة ت:٤٣٢٢، وصبح الأعشى ٣:١٦١، ووفيات الأعيان ١:٢٤٠، وتهذيب ابن عساكر ٧:١٠٤، والمرزباني ٢٤٠، والأعلام ٣:٢٣٦).

(٣) الكتّاب: مكان التعليم.

يا مشؤوم، ثلاث خمسينات ما يحصل معك منها خمسين؟ ثم حبسه عن الكتّاب وقال: لا أفلحت.

مرض صديق لحامد بن العباس[1]، فأراد أن ينفذ ابنه إليه ليعود، فأوصاه وقال: يا بني، إذا دخلت فاجلس في أرفع المواضع، وقل للمريض: ما تشكو؟ فإذا قال: كذا وكذا، فقل له: سليم إن شاء الله، وقل: من يجيئك من الأطباء؟ فإذا قال: فلان، فقل: ميمون، وقل: ما غداؤك؟ فإذا قال: كذا وكذا، فقل: طعام محمود.

فذهب، فدخل على العليل وكان بين يديه منارة، فجلس عليها لارتفاعها، فوقعت على صدر العليل فأوجعته، ثم قال للمريض: ما تشكو؟ فقال: أشكو علة الموت، فقال: سليم إن شاء الله، فمن يجيئك من الأطباء؟ قال: ملك الموت، قال: مبارك ميمون، فما غداؤك؟ قال: سم الموت، قال: طعام طيب محمود.

تقدم رجل إلى معلم ابنه، فسأله أن لا يعلِّمه سوى النحو والفقه، فعلمه مسألتين من النوعين (ضرب زيد عمراً) ارتفع زيد بفعله وانتصب عمرو بوقوع الفعل عليه، والأخرى من الفقه (رجل مات وخلف أبويه، فلأمه الثلث ولأبيه الباقي) فقال له: أفهمت؟ قال: نعم، فلما انصرف إلى البيت قال له أبوه: ما تقول في (ضرب عبد الله زيداً)؟ قال: أقول ارتفع بفعله وما بقي للأب.

كان لبعض التجار المياسير ابن أبله فقضي أن صار الأب إلى حانوته يوماً، فوجد اللصوص قد أخذوا صندوقاً له كان فيه صامت كثير وأسباب جميلة، فجلس الرجل والناس يعزونه ويدعون له بالخلف، فبينما هم كذلك إذ أقبل ابنه، فلما قرب

---

(١) حامد بن عباس: هو أبو محمد، وزير من عمال العباسيين. كان يلي نظر فارس وأُضيفت إليها البصرة، ثم طُلب إلى بغداد وَوُلِّيَ الوزارة للمقتدر سنة ٣٠٦هـ. وانتهى أمره بأن عزله المقتدر سنة ٣١١هـ. وقُبض عليه وأُرسل إلى واسط، فمات فيها مسموماً. كان جواداً ممدوحاً من كتّابه: ابن مقلة. توفي سنة ٣١١هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير، والنجوم الزاهرة، والمنتظم ٦: ١٨٠).

من حانوت أبيه، ورأى الناس سأل عن الخبر، فقالوا: دخل اللصوص حانوت أبيك وأخذوا الصندوق الذي كان فيه ما كان، فضحك وقهقه وقال: لا بأس ما فاتنا شيء، فظن الناس أنه خبأه أو يعرف خبره، فأسرعوا إلى أبيه فبشروه بأن ابنه قال: كذا، فقال له أبوه: ما الخبر؟ وأي شيء عندك في هذا الأمر؟ قال: مفتاح الصندوق عندي فلا يقدرون أن يفتحوه، فقال أبوه: عجبت والله أن يكون عندك فرح.

قال بعضهم: دخلت على نصر الرصيفي في منزله، فإذا ابنه يصايحه في شيء وقد ارتفعت أصواتهما، فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا يزعم أن علي بن أبي طالب هاشمي، فقلت أنا: بل علوي، فاحكم بيننا، فقلت أنا: هو علوي، ألا ترى إلى اسمه (علي)، فقال لي: ابصق في وجهه؟ فقلت كلاكما يستحق ذلك.

كان بسجستان[1] شيخ يتعاطى النحو، وكان له ابن، فقال لابنه: إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك، وفكِّر فيه بجهدك، حتى تقوِّمه، ثم أخرج الكلمة مقومة، فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء والنار تتقد، وقعت شرارة في جبة خز كانت على الأب وهو غافل والابن يراه، فسكت ساعة يفكر ثم قال: يا أبت، أريد أن أقول شيئاً فتأذن لي فيه؟ قال أبوه: إن حقاً فتكلم، قال: أراه حقاً، فقال: قل: قال: إني أرى شيئاً أحمر، قال: وما هو؟ قال: شرارة وقعت في جبتك. فنظر الأب إلى جبته وقد احترق منها قطعة، فقال للابن: لِمَ لَمْ تعلمني سريعاً؟ قال: فكرت فيه كما أمرتني، ثم قوَّمت الكلام وتكلمت فيه، فحلف أبوه بالطلاق أن لا يتكلم بالنحو أبداً.

دق رجل دار نحوي، فقال: من ذا؟ فقال: أنا الذي أبو عمرو الجصاص عقد طاق باب هذا الدار، فقال النحوي: ما ترى لك في صلة الذي شيئاً، فانصرف راشداً.

جاءت امرأة إلى جارة لها تستعير منها إزاراً لتمضي في حاجة وترده من

(١) سجستان: مدينة، جنوبي هراة، أرضها سبخة. (راجع معجم البلدان ٣: ١٩٠).

ساعتها، فقالت: قد غزلت من إزاري عشرة أساتير، فاصبري حتى أتم غزله وأسلمه إلى الحائك ويفرغ منه وأعطيك إياه ولا تمري بمسمار فإنه جديد.

وقالت امرأة لأخرى: اليوم مشيت إلى قبر أحمد فدخل في رجلي مسمار، فقالت لها: وكان الخف الجديد في رجلك؟ قالت: لا، قالت لها: فاحمدي الله.

قال بعضهم: مررت بسوق وقد اجتمع فيه قوم على رجل يضربونه، فقلت: ما ذنب هذا؟ قالوا: شتم معاوية بن أبي سفيان، صديق النبي ﷺ ومَن صلى معه أربعين سنة على طهر واحد، وكان من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان، وسمي خال المؤمنين لأنه كان أخا حواء من أمها وأبيها.

قال بعضهم: مررت على قوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فتقدمت إلى شيخ كان يجيد قتله، فقلت: يا شيخ ما قصة هذا؟ قال: لا تكونن منهم، هذا رافضي يقول نصف القرآن مخلوق ونصفه لا، وليس في القوم خير من النبي ﷺ وبعده الخضر، فبادرني الضحك فرددته مخافة الضرب وقلت: يا شيخ، زده فإنك مأجور.

قال: ومررت بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فقلت: لرجل يجيد ضربه: ما حال هذا؟ قال: والله ما أدري ما حاله، ولكنني رأيتهم يضربونه، فضربته معهم لله عز وجل وطلباً للثواب.

قال بعضهم: رأيت رجلاً يبيع الرمان في الأسواق ويطعمه أهل سوقه، ويسألونه عن مسائل تقع لهم في الفقه وهو يكنى أبا جعفر، فجاءته امرأة فقالت: يا أبا جعفر، مريم بنت عمران كانت نبية؟ قال لا يا غافلة، قالت: وإيش كانت؟ قال: من الملائكة.

قال الجاحظ: دخلت واسط، فبكرت يوم الجمعة إلى الجامع، فقعدت، فرأيت على رجل لحية لم أرَ أكبر منها، وإذا هو يقول لآخر: إلزم السنّة حتى تدخل الجنة، فقال له الآخر: وما السنّة؟ قال: حب أبو بكر بن عفان، وعثمان الفاروق، وعمر الصديق، وعلي بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي شيبان؟ قال:

ومَن معاوية بن أبي شيبان؟ قال: رجل صالح من حملة العرش، وكاتب النبي ﷺ، وختنة على ابنته عائشة.

قال بعضهم: مررت على قوم اجتمعوا على رجل يضربونه، فقلت لشيخ منهم: ما ذنب هذا؟ قال: يسب أصحاب الكهف، قلت: ومن أصحاب الكهف؟ قال: لست مؤمناً؟ قلت: بلى، ولكني أحب الفائدة. قال: أبو بكر وعمر ومعاوية بن أبي سفيان، ومعاوية هذا رجل من حملة سرادق العرش، فقلت له: يعجبني معرفتك بالأنساب والمذاهب، فقال: نعم. خذ العلم عن أهله، فقال واحد منهم لآخر: أبو بكر أفضل أم عمر، قال: لا بل عمر، قال: وكيف علمت؟ قال: لأنه لمّا مات أبو بكر جاء عمر إلى جنازته، ولمّا مات عمر لم يجيء أبو بكر لجنازته.

مرض بعض المغفلين، فأُتي بطبيب، فقال الطبيب: إذا كان غداً فاحفظوا البول حتى أجيء وأنظره، فلما خرج الطبيب من عنده بقي لا يبول إلى الغد. فلمّا جاء الطبيب، قال له المريض: يا عبد الله، قد كانت مثانتي تنشقّ من إحباسي البول، فلماذا تأخّرت؟ فقال: إنما أمرتك أن تحفظ البول في إناء. فلمّا كان الغد، جاء الطبيب، فإذا هو قد أخذ برنية[1] خضراء، فقال الطبيب: ما هذا، أخطأت ألم يكن في الدنيا شيء من الزجاج كنت تأخذه في قارورة أو في قدح. فلمّا كان من الغد، أخذ البول في قدح من الخشب فعرضه عليه، فقال له: أنت في حرج، ألا نظرت إلى هذا الماء، فاصدقني في أمري، هل يخاف عليَّ من هذه العلة؟ قال: أما إذ حلفتني فلا بد أن أقول: أنا خائف أن تموت من هذا العقل لا من هذه العلة.

دخل بعض الحمقى من الأطباء على عليل، فشكا إليه العليل ما يجد، فقال: خذ مثل رأس الفأرة كلنجبين وصب عليه مقدار محجمة ماء واضربه حتى يصير مثل المخاط واشربه، فقال العليل: قم، لعنك الله، فقد قذرت إليَّ كل دواء في الأرض.

---

(١) برنية: أي وعاء.

كان طبيب أحمق قد أعطى رجلاً من جيرانه شربة، فأقامته قياماً حتى مات منه، فجاء الطبيب يتعرف خبره، فوجده قد مات، فقال: لا إلّه إلّا الله من شربة ما كان أقواها، لو عاش ما كان يحتاج إلى أن يشرب الدواء سنة أُخرى.

سُرقت ثياب رجل من الحمّام، فخرج عرياناً وعلى باب الحمّام طبيب أحمق، فقال له: ما قصتك؟ فقال: سُرقت ثيابي. قال: بادر وافتصد تخف عنك حرارة الغم.

أُصيب بعضهم بأمه، فقعد يبكي ويقول: يا أمي، أماتني الله قبلك، أمي زانية إن لم تدخل الجنة، لا دخلتها امرأة أبداً.

مات ولد لرجل فقيل له: ادع فلاناً يغسله، فقال: لا أريد، لأن بيني وبينه عداوة، فيعنف بابني في الغسل حتى يقتله.

اجتمع رجلان في طريق الحج، فقال أحدهما للآخر: كم قد حججت؟ قال: مع هذه التي نحن فيها واحدة.

ماتت جارية لرجل، فلمّا دفنها قال: لقد كنتِ تقومين بحقوقي، فلأكافئنك، اشهدوا على أنها حرّة.

وقفت سائلة على باب قوم، فقال لها رجل: إذهبي يا زانية، فقالت: إذا لم تعطيني فَلِمَ تسبّني؟ قال: والله ما أردت بهذا إلّا الخير، أردت أن تؤجري وآثم.

حُكي أن بعض المغفلين اشترى بقطعة شيرجاً في غضارة[1]، فامتلأت الغضارة، فقال البقال: قد بقي لك من الشيرج في أي شيء تأخذه؟ فقلب الغضارة وقال: في هذه وأشار إلى كعبها، فطرح البقال الباقي في ذلك الكعب، فأخذه الرجل ومضى، فلقيه رجل فقال: بكم اشتريت هذا الشيرج؟ فقال: بقطعة، فقال: هذا القدر فقط؟ فقلبها وقال: هذا أيضاً.

كان لرجل على رجل أربعة دراهم، فجاء يوماً يقتضيه، فقال: غداً أعطيك،

---

(١) الغضارة: القصعة الكبير، الإناء الواسع.

فقال: لا أذهب حتى تحلف لي أنك تعطينها غداً، فحلف له إنك إن جئت (لا تذهب إلّا وهي معك)، فأشهد عليه بذلك ومضى، فجاء من الغد فقال له: ما عندي، وإنما حلفت إنك لا ترجع إلّا وهي معك أعني (لحيتك)، فأشهد عليه بهذا القول وذهب سريعاً إلى الحجام[1] وحلق لحيته وجاء إليه، وما برح حتى أخذ دراهمه.

وقال قوم لغلام: املأ بيت الماء، فنقل ماء كثيراً وأبطأ عليهم، فقالوا: ما هذا الإبطاء؟ فصعدوا إليه، فإذا به يقلب الماء في بيت الماء، فقال: كلفتموني أن أملأ هذا وما أظنه يمتلىء في شهر.

حكى لي بعض أصدقائنا، قال: كان عندنا رجل اتهم بسرقة، فأخذ وجرت له قصة، فجاءني بعد أيام فقال لي: عندك الخبر، مضيت إلى المنجم فأعطيته قطعة، فحسب لي وقال: والله إنك بريء مما اتهمت به وإنك ما سرقت شيئاً.

رأى بعضهم جنازة قد أقبلت، فقال: ربي وربك الله لا إلّه إلَّا الله، فقال آخر: أخطأت، إذا رأيت جنازة فقل: اللهم البسنا العافية، فتشاجرا في ذلك، فاحتكما إلى آخر، فقال: إذا رأيتم جنازة فقولوا: «سبحان الله من يسبِّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته».

قال منجِّم لرجل من أهل طرطوس[2]: ما نجمك؟ قال: (التيس)، فضحك الحاضرون، وقالوا: ليس في النجوم والكواكب تيس، قال: بلى، قد قيل لي وأنا صبي منذ عشرين سنة: نجمك (الجدي)، فلا شك أنه قد صار تيساً منذ ذلك الوقت.

كان لبعض الكتّاب غلام، فأمسى السيد عند بعض أصدقائه، فقال للغلام: إذهب إلى البيت هات شمعة، فقال: يا سيدي، أنا لا أجسر أذهب وحدي في هذا الوقت، فأحب أن تقوم معي حتى أحمل الشمعة وأجيء معك.

---

(١) الحجام: الحلّاق.

(٢) طرطوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. (راجع معجم البلدان ٤: ٢٨).

وقال رجل لغلام: هات ناراً واشعلها، قال: يا مولاي، لأي شيء تريد النار؟ قال: أريد أتخذ عصيدة[1]، فقال: يا مولاي، لقمني حتى أجيء بالعجلة.

لَكَمَ رجل رجلاً فصاح: أدميتني، فلم يرَ دماً، فقال: أين الدم؟ فقال: أنا أرعف من الداخل.

وقع رجلان على قافلة فيها ستون رجلاً، فأخذوا مالهم وثيابهم، فقيل لبعضهم: كيف غلبكم رجلان وأنتم ستون؟ فقال: أحاط بنا واحد وسلبنا الآخر، كيف نعمل.

كلّم رجل رجلاً بشيء يغضبه، فقال: أتقول لي هذا وأنا رجل من (الأنصار)؟ قال له: النصارى واليهود عندنا في الحق سواء.

عن ابن الرومي، قال: قال طبيب لتلميذه: إذا دخلت إلى مريض فانظر إلى أثر ما عنده من طعام أو شراب، فانهه عما لا يصلح من ذلك. فدخل الغلام يوماً على مريض فنظر إلى حداجة[2] جمل في الدار، فقال للمريض: أنا والله لا أصف لك دواء، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك قد أكلت جملاً، قال: لا والله ما أكلت جملاً قط، فقال: هذه الحدجة من أين؟

عن إبراهيم بن القعقاع: انتبه قوم ليلة في رمضان وقت السحور، فقالوا لأحدهم: انظر هل تسمع أذاناً؟ فأبطأ عنهم ساعة، ثم رجع فقال: اشربوا، فإني لم أسمع أذاناً إلّا من مكان بعيد.

كتب رجل من آل أبي رافع على خاتمه: أنا فلان ابن فلان، رحم الله من قال: آمين.

مرض رجل مرة، فلما اشتدَّ به المرض، أمر بجميع العيدان والطنابير والمزامير إلى بيته، فأنكروا عليه ذلك، فقال: إنما فعلت ذلك لأني سمعت أن

---

(١) العصيدة: دقيق يلتّ بالسمن ويُطبخ (راجع اللسان: مادة عصد).

(٢) الحداجة: ما تركب فيه النساء على البعير، والحدج: الحمل.

الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلات الملاهي والفجور، فإن كان ملك الموت من الملائكة دفعته عني بهذه الأشياء.

غصب رجل رجلاً شيئاً وتصدَّق بـه، فقيل لـه في ذلك، فقـال: أخذي إيـاه سيئة، وصدقتي به عشر حسنات، فمضى واحدة وبقيت له تسعة.

سُئلت امرأة عن حرفة زوجها، فقالت: متولي أخـرج المساكين من المسجد الجامع، وقد أرجعت له المقصورة.

قيل لبعضهم: كُلْ، قال: ما بـي أكل، لأني أكلت قليل أرز فأكثرت منه.

جاء قوم إلى رجل من الوجوه يسألونه كفناً لجارية له مـاتت، فقال: مـا عندي شيء فتعودون، قالوا: فنحملها إلى أن يتيسَّر عندك شيء.

سُئل بعض المشايخ المغفلين: أتذكر أن حجَّ الناس في رمضان؟ ففكر ساعة ثم قال: بلى، أظن مرتين أو ثلاثة.

قيل لمغفل: كيف دملك سكن وجعه؟ قال: والله ما أرى اسألوا أمي.

قال بعض الناس لمملوكه: أخرج وانظر هل السماء مصحية أو مغيمة، فخرج ثم عاد، فقال: والله ما تركني المطر أنظر هل هي مغيِّمة أم لا.

قال بعضهم لآخر وكان أحمق: المستشار مؤتمن، وإني أريد أن أغسل ثيابـي غداً، أفترى تطلع الشمس أم لا؟.

جـاء رجل إلى أبـي حكيم الفقيـه وأنا حـاضر ومـع الرجـل ابنته ليـزوجها من رجل، فقال له الشيخ: أَبِكْر ابنتك أم ثيب[1]؟ فقال: والله يا سيدي، ما هي لا بكر ولا ثيب، ولكنهـا وسـطة، فقـال الشيـخ: فـأيش هي، عـوان بين ذلـك؟ فضحـك الجماعة وذلك الوالد لا يدري.

عن أبـي محمـد بن معـروف، قـال: كـان يلزمني فتى نصـراني حسن الخط

(١) الثيِّب: التي افتضّت بكارتها.

مليح الشعر، إلّا أنه كان سوداوياً، فحكم لنفسه أنه يموت في اليوم الفلاني، فجاء ذلك اليوم وهو صحيح، فخاصم امرأته وترقى الشر بينهما إلى أن أخذ عمود الهاون ودقَّ به رأسها فماتت، فجزع جزعاً شديداً، فقال: قد علمت أنه يوم قطع علي، ولا بد أن أموت فيه، والساعة يجيء أصحاب الشرطة، فيأخذوني فيقتلوني، فأنا أقتل نفسي عزيزاً أحب إليَّ، فأخذ سكيناً فشقَّ بها بطنه، فأدركته حلاوة الحياة، فلم يتمكن من تخريقها، فسقطت السكين، فقال: هذا ليس بشيء، فصعد إلى السطح فرمى نفسه إلى الأرض فلم يمت واندقت عظامه، فجاء صاحب الشرطة فأخذوه، فلمّا كان آخر الليل مات.

عن أبي الحسين علي بن نظيف المتكلِّم، قال: كان يحضر معنا ببغداد شيخ، فحدَّثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع، قال: فوجدته وبين يديه سنور وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأسها، وعيناها تدمعان كما جرت عادة السنانير، وهو يبكي بكاءً شديداً، فقلت له: لِمَ تبكي؟ فقال: ويحك ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها، هذه أمي لا شك، وإنما تبكي حسرة من رؤيتها إليَّ، قال: فأخذ يخاطبها بخطاب من عنده ظاناً أنها تفهم عنه، وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً، فقلت له: فهي تفهم عنك ما تخاطبها به؟ قال: نعم، فقلت له: أتفهم أنت عنها خطابها؟ قال: لا، قلت: فأنت إذن الممسوخ وهي الإنسان.

قال الجاحظ: مررت يوماً بقطان في الكرخ في دكانه وعليه لحية طويلة وقميص جديد غليظ، وكان يوماً صائفاً شديد الحر، فتعجبت منه، فقال لي: ما وقوفك أعزك الله؟ قلت: أتعجب من صبرك على هذا القميص الجديد في هذا الحر الشديد! قال: صدقت أعزك الله، عندي غزل كثير، وعزمي أن أسلم منه إلى الحائك قميصاً خلقاً[1] أتخفف به طول هذه الصيفية، فقلت: الصواب ما رأيت.

وقال: دخلت يوماً على بعض أخواني من التجار أعوده، وكان طويل اللحية فقلت له: ما أكلت؟ فقال: شووا لي خاسرة، وأكلت، يعني (خائرة).

---

(١) القميص الخلق: الرثّ، الممزّق.

وقال: أخبرت عن الأصمعي، قال: عرض الرشيد خيل مصر فما مر به فرس إلّا وعليه سمة (نتاج الفخر الجنيدي)، فقال: ويلكم من هذا الجنيدي الذي له كل هذا النتاج؟ وأمر بأشخاصه، فكتب إلى عامل مصر فأشخصه، فلما دخل عليه نظر إليه من أول الدار، فإذا عليه لحية قد أخذت لسرته طولاً ولآباطه عرضاً، وإذا هو مستعجل في مشيه ينظر إلى أعطافه، فلمّا رآه قال: أحمق ورب الكعبة، فلمّا دنا منه قال: يا جنيدي، من أين لك هذه الخيل؟ قال: من رزق الله وأفضاله، فلمّا رآه هالكاً قال: ما أحسن لحيتك يا جنيدي، قال: أقبلها يا أمير المؤمنين خلعة لك، والخيل معك فبك فداهما الله، فإن قدرك عندي أعظم القدور وكرامتك عندي عزيزة جداً، فصاح به: أعزب[1]، عليك لعنة الله، ثم قال: أخرجوه، فقد أسمعني كل مكروه، لعن الله هذا وخيله معه.

قال ابن قتيبة[2]: حدث جار لأبي حية النميري[3]، قال: كان لأبي حية سيف ليس بينه وبين الخشبة فرق، وكان يسميه «لعاب المنية»، قال: فأشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيت داره وقد سمع حساً وهو يقول: أيها المغتر بنا والمجترىء علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته لا تخاف نبوته، أخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك، إني والله أن أدع قيساً تملأ الفضاء خيلاً ورجلاً، يا سبحان الله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً[4].

---

(١) اعزب: اذهب وابتعد.

(٢) ابن قتيبة: هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. توفي سنة ٢٧٦هـ.

(٣) النميري: هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، شاعر مجيد، توفي سنة ١٥٨هـ.

(٤) ذكر صاحب الأغاني هذه الطرفة بشكل أوضح، إذ قال:

«دخل ليلة إلى بيته كلب، فظنّه لصّاً، فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه ـ الذي كان يسميه لعاب المنية ـ وهو واقف في وسط الدار وهو يقول: أيها المغترّ بنا والمجترىء علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك. إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورَجْلاً سبحان الله! ما أكثرها وأطيبها! =

قال الفضل بن مرزوق: أتدرون لأي شيء كثر مالي؟ قالوا: لا، قال: لأني سميت نفسي بيني وبين الله محمد، وإذا كان اسمي عند الله محمداً فما بالي ما قال الناس.

عن المزرودي، قال: اشترى أحمد الجوهري كساءً أبيضاً طبرياً بأربعمائة درهم، وهو عند الناس فيما تراه عيونهم (قوهي) يساوي مائة درهم، قال: إذا علم الله أنه طبري فما علي من الناس.

قال الجاحظ: كان أبو خزيمة يُكنى (أبا جاريتين)، فقلت له يوماً: كيف اكتنيت بهذه الكنية وأنت فقير لا تملك جاريتين؛ أفتبيعهما الساعة بدينار وتُكنى أي كنية شئت؟ قال: لا والله ولا بالدنيا وما فيها.

وقال: عن ثمامة بن أشرس، قال: كان رجل يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم، فلا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجزع ذاهباً وجائياً في شدة البرد والحر حتى إذا أمسى نزل إلى النهر فتوضأ وصلى، وقال: اللهم اجعل لي من هذا فرجاً ومخرجاً، ثم انصرف إلى البيت، فكان كذلك حتى مات.

قال: وحدَّثني يزيد مولى إسحاق بن عيسى، قال: كنا في منزل صاحب لنا إذ خرج واحد منا ليقيل[1] في البيت الآخر، فلم يلبث ساعة حتى سمعناه يصيح: أواه، فنزلنا بأجمعنا إليه فزعين وقلنا: ما لك؟ وإذا هو على شقه الأيسر، وهو قابض بيده على خصيته، فقلنا له: لِمَ صحت؟ قال: إذا غمزت خصيتي اشتكيها وإذا اشتكيتها صحت، فقلنا: لا تغمزها، قال: نعم، إن شاء الله جزاكم الله خيراً.

قال: وحدَّثني ثمامة، قال: مررت يوماً وإذا شيخ أصفر كأنه جرادة وزنجي

= فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب، فقال: الحمد لله، الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً. (راجع الأغاني ١٦: ٣٣١ ــ ٣٣٢، دار الكتب العلمية بشرحنا.

(١) يقيل: ينام في منتصف النهار.

يحجمه[٢] قد مصَّ دمه حتى كاد يستفرغه، فقلت: يا شيخ، لِمَ تحتجم؟ قال: لمكان هذا الصفار الذي بي.

كان لرجل من أصدقائنا غلام، فأعطاه قطعاً ليشتري بها شيئاً، وكان فيها قطعة رديئة، فقال له: يا سيدي هذه ما يأخذها الرجل، فقال: اجتهد أن تصرفها كيف اتفق، فلمّا اشترى وجاء قال: وقد صرفتها، قال: كيف فعلت؟ قال: تركته يرن الذهب وتغفلته فرميتها في ميزانه.

حكى لي بعض إخواننا أن رجلاً أتى مفسر المنامات، فقال: رأيت كأن معي رجلين ونحن نمضي إلى فلان في حاجة، فقال له: أتعرف؟ قال: أعرف أحدهما ومنزله في باب البصرة، فأريد أن أسأل صاحبي عن ذلك الرجل الآخر.

سمع رجل في زماننا قوماً يتكلمون في القرآن، ويقول بعضهم ليس بقديم، فقال: ما أبله هؤلاء قد تكلَّم الله بالقرآن منذ خمسمائة سنة، فكيف لا يكون قديماً؟

اشترى رجل في زماننا من بقال رطلين دبساً، فأعطاه طاساً ليجعله فيها، فغرف بالطاسة من التغار وترك صنجة الرطلين، فلمّا رآها ترجح صب من الدبس ثم أعادها إلى الميزان، فرجحت فجعل يصب ثم يعيدها وهي ترجح، فقال لصاحبها: ما أرى يبقى لك شيء، فقال له صاحبها: هذه الطاسة فيها ثلاثة أرطال، فإن أردت أن تستوي الميزان، فاكسر من جانب الطاسة، وإلّا ما تستوي.

قرأت بخط بعض المغفلين وقد نظر في كتاب عليه: «نظرت في هذا الكتاب والأقوات رخيصة، والكارة السميد تساوي ديناراً ودانقاً، والخشكار بثمانية عشر قيراطاً، والله تعالى يديم ذلك».

وكتب آخر على كتاب: «نظر فيه ابن فلان وأنا من ولد داوود بن عيسى بن موسى، وموسى هو أخو السفاح.

---

(١) يحجمه: يعالجه بالمحجم، وهو آلة كالكأس يفرغ من الهواء ويدفع على الجلد فيحدث فيه تهيجاً ويجذب الدم بقوة.

حدَّثني بعض إخواني أنه كان بتكريت[1]، وأن رجلاً اشترى من خباز مائتين وأربعين رطلاً من الخبز بدينار، ثم كان يأخذ كل يوم شيئاً إلى أن تحاسبا يوماً، فقال: قد أخذت مائة وعشرين رطلاً وبقي لك مائة وعشرين، فقال له: أنذر هذه واعطني الدينار، فجعل الرجل يستغيث ويقول: كيف أفعل بهذا؟ فيقول: أليس لك عندي مائة وعشرين ولي عندك مائة وعشرين؟ فيقول: بلى، فيقول: أنذر هذه واعطني الدينار، فاجتمع الناس عليهم على ذلك إلى أن رُفعت قصتهم إلى الأمير.

رجع بعض القريشيين إلى امرأته وكانت أحسن النساء شَعْراً. فقال: ما خطبك؟ فقالت: أردت أن أغلق الباب فلمحني رجل ورأسي مكشوف فحلقته، وما كنت لأدع شعراً رآه من ليس لي بمحرم.

ومثل هذا بلغني عن بعض القصّاص أنه قال لأصحابه: احلقوا اللحى التي تنبت في مواقف الشيطان.

حدَّثني بعض العلماء أن رجلاً مغفلاً نظر في المصحف فقال: قد وجدت فيه غلطتين فأصلحوهما، قالوا: وما هما؟ قال: (كُلُّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ) هذا غلط إنما يجب أن يكون (كل بناء وجصّاص)، والأخرى ﴿والتِّينِ والزَّيْتُونِ﴾ إنما هي (والجبن والزيتون).

حدَّثني بعض الأصدقاء أن رجلاً وقف بباب داره يوم الجمعة والمطر يأتي سيلاً، فقال لرجل من المارين: يا أخي هوذا الذي يجيء مطر؟ فقال له: أما ترى؟ فقال: أردت أن أقلد غيري في انقطاعي عن الجمعة ولا أعمل بعلمي.

وروى أبو بكر الصولي عن إسحاق، قال: كنا عند المعتصم، فعرضت عليه جارية، فقال: كيف ترونها؟ فقال واحد من الحاضرين: امرأتي طالق إن كان الله عز وجل خلق مثلها، وقال الآخر: امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها، وقال الثالث:

---

(١) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب. (راجع معجم البلدان ٢ : ٣٨).

امرأتي طالق وسكت، فقال المعتصم: إن كان ماذا؟ فقال: إذا كان لا شيء، فضحك المعتصم حتى استلقى وقال: ويحك ما حملك على هذا؟ قال: يا سيدي هذان الأحمقان طلقا لعلة، وأنا طلقت بلا علة.

قيل لبعض البُلْه، وكان يتحرى من الغيبة: ما تقول في إبليس؟ فقال: اسمع الكلام عليه كثيراً والله أعلم بسريرته.

حكى لي بعض الإخوان أن بعض المغفلين كان يقود حماراً، فقال بعض الأذكياء لرفيق له: يمكنني أن آخذ هذا الحمار ولا يعلم هذا المغفل، قال: كيف تعمل ومقوده بيده؟ فتقدَّم فحلَّ المقود وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه: خذ الحمار واذهب، فأخذه، ومشى ذلك الرجل خلف المغفل والمقود في رأسه ساعة، ثم وقف، فجذبه فما مشى، فالتفت فرآه، فقال: أين الحمار؟ فقال: أنا هو، قال: وكيف هذا؟ قال: كنت عاقاً لوالدتي فمُسخت حماراً، ولي هذه المدة في خدمتك، والآن قد رضِيَت عني أمي فعدت آدمياً، فقال: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، وكيف كنت أستخدمك وأنت آدمياً؟ قال: قد كان ذلك، قال: فاذهب في دعة الله.

فذهب ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته: أعندك الخبر؟ كان الأمر كذا وكذا، وكنا نستخدم آدمياً ولا ندري فماذا نكفِّر وبماذا نتوب؟ فقالت: تصدَّق بما يمكن، قال: فبقي أياماً، ثم قالت له: أما شغلك المكاراة فاذهب واشترِ حماراً لتعمل عليه، فخرج إلى السوق، فوجد حماره يُنادَى عليه، فتقدَّم وجعل فمه في أذنه وقال: يا مدبر، عدت إلى عقوق أمك؟.

ماتت قريبة لأبي منصور بن الفرج، وكان رئيساً، فاجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم لقضاء حقه، وخرجت الجنازة وجعل النساء يلطمن ويقلن: واستّاه واستّاه[1]، على ما جرت به العادة، فأنكر زوج المرأة هذا وقال: لا ست إلّا الله وصاح عليهنّ، فضحك الناس وصار المقام هزلاً بعد الحزن.

---

(١) الستّ: بمعنى السيّدة. واستّاه: سعني واسيّدتاه.

دخل على موسى بن عبد الملك[1] يوماً صاحب خزانة السلاح، فقال له: قد تقدَّم أمير المؤمنين ـ يعني المتوكل ـ ليبتاع ألف رمح، كل رمح أربعة عشر ذراعاً، فقال: هذا الطول، فكم يكون العرض؟ فضحك الناس ولم يفطن لما غلط به.

قال المبرد: قرأ ابن رباح بحضرة المنتصر[2] «كتاب الصدقات»، فقال: في كل ثلاثين بقرة تبيع، فقال المنتصر: ما التبيع؟ فقال أحمد بن الخصيب: البقرة وزوجها.

سمع أحمد بن الخصيب مغنية تغني:

«إنَّ العُيُون التي في طَرْفِها مَرَضٌ[3]   قَتَلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحيين قَتْلانا».

فقال: هذا الشعر لأبي.

كان سهل بن بشر ممن ارتفع في الدولة الديلمية وكان رقيعاً[4]، فشتم

---

(١) موسى بن عبد الملك الأصبهاني: أبو عمران، من أصحاب ديوان الخراج في الدولة العباسية. كان من فضلاء الكتّاب وأعيانهم. تنقل في الخدم أيام جماعة من الخلفاء، وَوُلِّيَ ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل. كان مترسلاً، له ديوان رسائل. توفي سنة ٢٤٦هـ. (راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٢: ١٤١).

(٢) المنتصر: هو محمد (المنتصر بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية. بُويع الخلافة بعد أن قُتل أباه سنة ٢٤٧هـ. وفي أيامه قويت سلطة الغلمان، فحرضوه على خلع أخويه المعتزّ والمؤيد (وكانا وليَّي عهده)، فخلعهما. وهو أول من عدا على أبيه من بني العباس، ولم تطل مدته. توفي سنة ٢٤٨هـ. (راجع ترجمته في الكامل لابن الأثير ٧: ٣٢، والطبري ١١: ٦٩، والأغاني طبعة الدار ٩: ٣٠٠، والأعلام ٦. ٧٠).

(٣) رواية الديوان:
إن العيون التي في طرفها «حور». والحور: هو اشتداد بياض العين وسواد سوادها.
والبيت من قصيدة لجرير، مطلعها:
بان الخليط ولو طوّعت ما بانا   وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا
(راجع شرح ديوان جرير ص ٤٤٩، دار الكتب العلمية).

(٤) الرقيع: الأحمق القليل الحياء.

فراشاً، فردَّ عليه، فقام يعدو خلفه، فوقعت عمامته، فأخذها سهل وما زال يعضها ويخرقها ويقول: اشتفيت والله. ثم عاد إلى مكانه.

شهد رجل عند بعض القضاة على رجل، فقال المشهود عليه: أيها القاضي تقبل شهادته ومعه عشرون ألف دينار ولم يحجّ إلى بيت الله الحرام؟ فقال: بلى حججت، قال: فاسأله عن زمزم[1]، فقال: حججت قبل أن تحفر زمزم فلم أرها.

قال أبو الحسن بن هلال الصابىء: أحضر إنسان بنّاء لمشاهدة حائط في داره قد عاب، فاتفق أن أمه تغسل الثياب، فأخرج إلى البناء تراباً من تراب ذلك الحائط في طشت وقال: ما يمكن أنك اليوم تدخل فهذا من ترابه فانظر إليه واعرف ما يريد، فقال: أنا أرجع إليك غداً، فضحك منه وانصرف.

قال: وكان في جوارنا فقيه يُعرف بالكشفلي من الشافعيين، تقدَّم في العلم حتى صار في رتبة أبي حامد الإسفراييني[2] وقعد بعد موته مكانه، قال: فأهديت إليه عمامة عريضة قصيرة من خراسان، فقلت له: أيها الشيخ، اقطعها وألفقها ليمكنك التعمُّم بها، فلما كان من الغد رأيتها على رأسه أقبح منظر، فتأملها وإذا به قد قطعها عرضاً ولفقها فصار عرضها أربعة عشر شبراً وطولها نصف ما كان، فتعجبت منه ولم أراجعه.

أخبرني أبو عيسى اللحام، قال: جاءني رجل له منظر ليشتري مني إلية، فأخرجت له إلية صغيرة، فقال لي: أتهزأ بي؟ هذه إلية البقر وأنا أريد إلية الضأن،

---

(١) زمزم: هي البئر المباركة المشهورة. قيل: سمّيت زمزم لكثرة مائها، وقيل: سمّيت بضمّ هاجر أم إسماعيل، عليه السلام، لمائها حين انفجرت وزمّها إيّاه، وهو قول ابن عباس. (راجع معجم البلدان ٣: ١٤٧).

(٢) الأسفراييني: هو أحمد بن محمد بن أحمد الأسفراييني، أبو حامد. من أعلام الشافعية. وُلِدَ في أسفرايين (بالقرب من نيسابور)، ورحل إلى بغداد، فتفقّه فيها وعظمت مكانته. وألّف كتباً، منها: مطوّل في «أصول الفقه»، ومختصر في الفقه سماه «الرونق». توفي ببغداد سنة ٤٠٦هـ. (راجع ترجمته في طبقات الشافعية ٣: ٢٤، والبداية والنهاية ١٢: ٢، وابن خلّكان ١: ١٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٣، وياقوت ١: ٢٤٧).

فقلت لـه: ليس للبقر إليـة، فقال: حـدِّث بهذا غيـري ولا تستهبلني، فـطالعت لـه غيرها فأعجبته ورضي بها.

وقع جرف[1] في بعض السنين، فقـال بعض المغفلين: مات في هـذه السنة مَن لم يمت قط.

هذا آخر ما آنتهى إلينا من أخبار الحمقى والمغفلين

والحمـد لله وحـده.

* * *

(١) الجرف: الطاعون.

فهرس

● ● ●